



مرسى عطا الله

٦ أكتوبر ..

حرب الـ ٦ سنوات



مختار الفارعة المجتمع
١٩٩٨

مكتبة
١٩٩٨

الاعمال الخاصة



الجمعية
العلمية

٦ أكتوبر... حرب الـ ٦ سنوات



mohamed khatab

٦ أكتوبر ... حرب الـ ٦ سنوات

موسى عطا الله





مهرجان القراءة للجميع ٩٨

مكتبة الاسرة

برعاية السيدة سميرة مبارك

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الطاقة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة التنمية الرياضية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التكليف: الهيئة العامة للمكتبات

١ أكتوبر... هرب الـ ٦ سنوات

تأليف: مرسى عفا الله

الطبعة

الإشراف الفني

للطبعة: حمود الهندي

المشرف العام

د. مسعود سرحان

على سبيل التقديم

تواصل مكتبة الأسرة ٩٨ ومبالتها التذكيرية
وامتدادها النبيلة بربط الأجيال بترانها الحضاري
التمهيد منذ فجر التاريخ ولتاحة الفرصة أمام القارئ
للتواصل مع الثقافات الأخرى، لأن الكتاب مصدر
الثقافة الفالد هو فلعنا الحمسية وسلاحنا الماضي
في مواكبة عصر المعلومات والمعرفة.

د . سمير مرهان

المؤلف

- رئيس تحرير الأهرام المسائي.
- ٣٠ عامًا من العمل الصحفي في «الأهرام» تتدرج خلالها من محرر عسكري إلى نائب رئيس التحرير قبل أن يتحمل مسؤولية إصدار «الأهرام المسائي».
- عمل مساعدًا للمتحف العسكري المصري الرسمي خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣.
- قام بتدوير إعلامي بارز عن التصدي لجريمة الغزو العراقي للكويت خصوصًا على شاشة التلفزيون المصري... وحصل من الرئيس مبارك على ميدالية حرب تحرير الكويت عام ١٩٩١.
- عضو المجلس الأعلى للصحافة.
- عضو المجلس القومي للثقافة والآداب والفنون.
- أصدر عدة مؤلفات أهمها كتابان عن حرب أكتوبر... أولهما باسم «حرب أكتوبر من غرفة العمليات»... والثاني باسم «قصة الثورة في الدفوس».



من الضربة الجوية إلى الدولة العصرية ١

تمام القوات الجوية .. المهمة تم تنفيذها بالكامل في أوقاتها المحددة عانت جميع طائرات عدا طائرة واحدة لم تشهد قائدها.

كل هذا هو نص مكالمة تلفزيونية أجراها اللواء محمد حمدي مبارك قائد القوات الجوية من داخل غرفة العمليات الرئيسية للطيران في حوالي الساعة الثانية و ٤٥ دقيقة بعد ظهر يوم السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣.

كان على الطارب الأخير الفريق أول أحمد إسماعيل على وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة الموجود في مركز القيادة الرئيسي "مركز رقم ٢٠" الذي سره ما أنه به مصره يميناً إلى الرئيس السادات الذي كان قد وصل إلى المركز قبل لحظات ليبلغه بالنتائج المظلمة.. واقتطعت وجود جميع القاذفة والاطمئنان.

وتصدر التعليمات بإذاعة البيان رقم ٣٠ وهذا نصه: "إحالة البيان رقم ٢ نفذت قواتنا الجوية مهامها بنجاح وأصبحت مواقع العدو أهدافاً مباشرة وهانت جميع طائراتنا إلى قواعدنا سالمة عدا طائرة واحدة". وتمت إذاعته بالفعل في تمام الساعة الثالثة ودقيقتين.

كان البيان رقم ٣٠ قد أُنشِئ في الساعة الثانية و ٢٥ دقيقة متضمناً ما يلي بالحرف الواحد: "رداً على العدوان الذي قام به العدو ضد قواتنا في كل من مصر وسوريا يقوم حالياً بمجنون من تشكيلاتنا الجوية بقصف قواعد العدو وأهدافه العسكرية في الأراضي المحتلة".

وهكذا بدأ دور حيلة حرب أكتوبر المبددة بالضربة الجوية الأولى كان مسمى ما حدث خلال الساعات الأولى من الحرب في الضربة الجوية قد نجحت في تحقيق كل أهدافها وأكثر!

كل على الجانب المصري إحصاءات صارت بالثقة في النفس خصوصاً من جانب قواتنا التي كانت تتأهب لبدء مهمة عبور قناة السويس وقد أعطاها وزير الطائرات في رحلة العودة إحساساً يقرب بلوغ الأمل المنشود

لقد مرى بدأ نجاح الصرية الجوية في صفوف المقاتلين ليرفع روحهم المعنوية إلى السماء، بعد أن سقطت أسطورة الدراج الطويلة لإسرائيل باسم التفوق الجوي والقوة التكنولوجية والتدريب الدقيق

أما على الجانب الآخر فقد أصبحت كل مستويات القيادة المركزية والميدانية بالمثل، ليس من حول المعالجة فصح، وإنما من دقة نجاح الصرية الجوية وما ترتب عليها من حاسرات موجهة لم تتوقعها إسرائيل بأي مقولتين.
كانت مصر كلها تعيش أسعد لحظاتها، ولكن رجلاً واحداً كانت لحاسمته في هذه اللحظة تتجاوز حدود الفرح والسمعة والانتصار

كان هذا الرجل هو اللواء محمد حنفي مبارك الذي اختارته المقادير ليحمل مسئولية الصرية الجوية الأولى في أصعب ظروف يمكن أن يواجهه أي قائد عسكري محترف خصوصاً بعد ما وقع في نكسة يونيو ١٩٦٧ من ذلعاتها، كانت كلها بالحساب الدقيق تُحسب لصالح الأسطورة الإسرائيلية وتتصادم مع الطام المصري في التصحيح والتعويض.

لقد تحمل المسئولية بكاملها من لحظة إعادة بناء القوات الجوية بعد يونيو ١٩٦٧ إلى لحظة إصدار الأمر الكودي بالقلمة الكودية "صدام" إلى جميع مراكز وعرف عمليات التشكيلات والقواعد والمطارات الجوية فوق مصر، ظهر يوم السادس من أكتوبر لبدء قادة هذه المراكز والتشكيلات في فتح الأطراف المختلفة التي تحوى تعليمات تتعدى المهمة الكبرى.

كانت عين الرئيس جمال عبدالناصر قد وقعت عليه واختارته لمصعب مدير الكلية الجوية في نوفمبر عام ١٩٦٧، لكي يبدأ أهم مشوار في صيرج جديد جديد من النصر للذين سيمتدون مسئولية عمل على الهزيمة ورد الاعتيل لمصر وعندما اطعم الرئيس عبدالناصر إلى أن مبارك أدى هذه المهمة بكفاءة وفخار في زمن قياسي لم يتجاوز ٢٠ شهراً، كان القرار التقى بلحيلوه رئيساً لأركان حرب القوات الجوية في ٢٣ يونيو ١٩٦٧ لكي يتحمل مسئولية القيادة لما هو قائم من مهام جسام

وعندما تولي الرئيس أنور السادات مسئولية الحكم لم يجد سوى اللواء محمد حسنى مبارك لكى يستأجر إليه منصب قائد القوات الجوية فى ٢٣ أبريل عام ١٩٧٢
كان إحصائى مبارك يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣ إحصائياً مطلقاً تماماً عن
أحاسيس ومشاعر الآخرين، فقد كان كل عقله وجهته المتمثل فى أصبح فى الميراث
كأن ينظر لى يرى بكل الشوق والهمة نتائج جهده خلال توليه مسئولية قيادة الكلية
الجوية منذ نوفمبر ١٩٦٧ وحتى يونيو ١٩٦٩ فى إطار الجهد الشامل لإعادة بناء
قوات المسلحة بزيادة القاعدة الأساسية لجول جديد من الطيارين القادرين على عبور
الهزيمة وإثبات القدرة على الأداء البطولى فى الاختبار الحقيقى عندما تعبر ساعة
معركة استردك الكرامة.. وقد حالت اللحظة بالقليل

وكان ينظر لى يرى نتائج عمله وإيداعه وتخطيطه لخدمة هذا اليوم للمجدد،
من خلال خطة خداع باؤعة للقوات الجوية فى إطار خطة الخداع الاستراتيجى
الشاملة للقوات المسلحة، ومن خلال تقنين دقيق ومحكم للأهداف والمواقع التى سوف
تتم مهاجمتها وتدميرها فى الضربة الجوية الأولى التى يتولف عليها مصير العرب
فقد كان هو نفسه الرجل الذى عهدت إليه القيادة السياسية بمسئولية رئاسة أركان
القوات الجوية ثم بقيادة القوات الجوية فى ظروف حرب الاستنزاف ثم الاستعداد
لمعركة العبور.

كانت مقاييسه فى حساب النجاح والفشل جد مختلفة عن حسابات الآخرين
لأنه كان يعرف أكثر من غيره حجم الفرق والدم الذى بذله الرجال إلى حد الاستشهاد
فى ساحات للتدريب، لكى يكوموا عند مستوى المسئولية بالجزء أكبر مهمة فى تاريخ
مصر الحديث والمعاصر، وهى مهمة الضربة الجوية الأولى فى حرب أكتوبر
١٩٧٣.

وقد عبر اللواء محمد حسنى مبارك عن هذه المقاييس التى أجرى بها تعيماً
للأداء الجوى فى حرب أكتوبر بعد انتهاء الحرب بحدود شهرين خلال الندوة التى أقيمتها
القوات المسلحة لشرح وتحليل ظروف النصر ومطابقته بقوله:

في حرب أكتوبر ليست فقط البطولات التي تحققت وليست المعارك الجوية الضارية التي دارت فوق سيناء أو غرب القناة فصب، بل هي برنامج الإعداد بكل أحجاسه والتخطيط بكل أشكاله المتعددة والمتجددة يوماً والتدريب الجيد والتنسيق مع الأسلحة الرئيسية الأخرى لتقوية المسلحة ثم التجهيز والتنفيذ والأداء في النهاية يمكن أن يتحول كل هذا الجهد إلى رقم صفر إذا لم يكن الطيار وفوق قدراته البشرية كل إمكانيات الطائرة بأجهزتها الإلكترونية المعقدة وقوتها التكنولوجية المتقدمة.

هكذا كانت نظرتنا إلى الإنسان وإلى المقاتل تسبق نظرتنا إلى السلاح وإلى المعدات، وبالتالي فقد كان هو أكثر الناس إحصائياً في تلك اللحظات بقيمة ومصدقته رحلته على رجليه الذين استعدوا لهذه اليوم الموعود بالتدريب الشاق والإرادة الصلبة والإصرار على بلوغ الهدف المنشود.

والأول إلينا نقول بأن الضربة الجوية كانت هي مفتاح النصر، إننا نقولها من واقع الشهادات المؤيدة للقادة المصريين والإسرائيليين الذين شاركوا في هذه الحرب وتولوا بعد ذلك مهمة رصد حصصها

كان حصاد الضربة الجوية الأولى على جبهة قناة السويس وسيناء مثملاً لهما يلي:

(١) ضرب القواعد الجوية الإسرائيلية التي تتمركز فيها طائرات الخط الأمامي في سيناء

(٢) تدمير مراكز القيادة ومحطات الرادار ومراكز الإعاقة والوشوشة الإلكترونية.

(٣) تدمير مواقع الدفاع الجوي خصوصاً مواقع صواريخ "هوك" الأمريكية التي كانت إسرائيل قد تزوت بها حديثاً

(٤) تعطيل مدرج المطارات لكي تتحيز فترة استخدامها لفترة زمنية مقبولة ثم خلالها

مهمة العبور بعيداً من قدرة العمل الجوي الإسرائيلي من هذه المطارات القريبة ثم كان ماكان بعد ذلك من لقاء ومتصل لقواتنا الجوية في تأمين سماء للعبور على امتداد ساحة المواجهة بأكملها، وحماية الصق المصري من محاولات الاحراق الإسرائيلية، فضلاً عن المهام الانتحارية التي قامت بها أسراب الهليكوبتر خلف الخطوط الإسرائيلية طوال مراحل الحرب.

ويزداد اليقين بأن قلته لا يصحح أجز من أصله

والآن فإننا عندما ننظر إلى رحلة الـ ٢٢ عاماً الماضية منذ أن تحقق نصر أكتوبر المجيد وحتى الآن، وببداها ١٤ عاماً مع مبارك في مقعد الاستولية الأولى، كتفقد الوطن كله، لا تجد فيه خلافاً يفكر بين أسلوبه في مهمة إعادة بناء القوة الجوية الفائرة على مجاور محبة للهريمة وبلوغ هدف النصر، وبين أسلوبه في مهمة إعادة بناء الدولة الفائرة على مجاور تركمات سنوات الحروب والصراخ، وبلوغ هدف التنمية والرخاء تحت راية السلام.

إنها نفس الاستراتيجية بنفس الملامح وبذات الإرادة وبفهم التصميم وبإي مختلف التفاصيل.

إن حلم بناء قوة جوية عصرية بماتل حلم بناء دولة عصرية بكل الأمور يحتاج إلى العلم والخطيط والصبر والمثابرة وإلى حسن اختيار للرجال القادرين على تنفيذ المهام.

ولعل نجاحنا في بلوغ الحلم الأول عام ١٩٧٢ هو الذي يزيد من ثقنا في قرب بلوغ الحلم الثاني لبناء الدولة المصرية والذي قطعنا على حربه مشواراً طويلاً حتى الآن !

إن الإنصاف يقتضي أن يسجل للرجل في بداية عامه الخامس عشر في موقع المسئولية الأولى أنه على صافئاً مع نفسه بمقدار حسنة مع شعبه ومع أمته ومع للعالم كله.

لقد أثبت كل قراراته وإجراءاته في الدخل والخارج على حد سواء أن غاية الأولى والأساسية هي بناء مصر كقوة قوية وعصرية من خلال فتح أوسع الأبواب والنوافذ للديمقراطية وإطلاق كل طاقات الوطن نحو خدمة هدف الإنحاح بحب سطره من الاستقرار والأمن والتوازن الاجتماعي

ولعل أعظم ما يسجله التاريخ لمرحلة حكم الرئيس مبارك أنها شهدت تذرع غير مسبوقة على إقامة التوازنات الدقيقة بين الحرية السياسية والتنمية الاقتصادية

والضرورات الأمنية، فلم تصادر الحريات العامة لصالح التنمية الاقتصادية، ولم يأخذ القانون إجازة من أجل الضرورات الأمنية، ورغم أن ظروفًا كثيرة واجهت الوطن كانت تبيع للجوء للإجراءات الاستثنائية.

ثم لي لفة مظرة متصفة ومحادة على علاقات مصر الإقليمية والدولية بعد ١٤ عاماً مع مبارك تكشف بوضوح، كيف أن تسيج هذه العلاقات لم يكن يوماً بمثل هذه الثمالة والجودة، وبها وحدهم أهداف الأمن القومي وأهداف التنمية والاستثمار .
والكثير يخبط بسطر دقيقاً بالحقائق والأرقام.. وليس ببعض ما يكتب لحسابات ومصالح وقائيات حزبية ضيقة !

هذا هو اعتقادي .. وتلك هي شهائتي عن حرب مجيدة كان لي شرف أن أكون أحد جنودها، وعن عصر مجد كان لي حظ أن أعيشه، وأن أستمع بنسمات الحرية والديمقراطية فيه والتي يعرف قيمتها وأهميتها جيداً أصحاب مهنتنا الشاقة..
مهنة البحث عن الحقيقة.

ومازالت أعلامنا مفتوحة من أجل مريد من الديمقراطية ومريد من الحرية مع عصر مبارك على طريق الحلم والأمل في بناء الدولة المصرية !

ولابد بأمر إنشاء من جيش قوى !

وبقي يوم السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ حدثاً مريداً ومجداً مقيماً تتذكره الأجيال العربية جيداً بعد جهل، لكي لا تقع في دائرة الإحباط أو تستسلم لعوامل اليأس مهما حدث من تطورات ومهما وقع من مقهورات؟

بقي يوم السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ حدثاً تاريخياً عظيماً يؤكد قدرة هذه الأمة على أن تلم شتاتها وأن تستجمع قواها وأن تملك لإفنتها لكي تصحح أي خطأ وأن تعيد ترتيب الموازين وأن تثبت أن لإرادة الحياة والبقاء أقوى من كل ترسانات السلاح.

ولقد أصبح في البداية أن مايجري الآن من تطورات وتفاعلات وتدابير على امتداد مساحة الشرق الأوسط.

دو المعنى لتتوقف بالتأمل أمام ذكرى ذلك اليوم المجيد الذى أصبح بمثابة خط فصل بين عصرين فى المنطقة. عصر ما قبل أكتوبر ١٩٧٣ وعصر ما بعد أكتوبر ١٩٧٣ وربما يكون ضرورياً أن نتذكر جيداً كيف كانت الصورة عشية حرب أكتوبر ١٩٧٣ كقرب إلى ما نحن فيه اليوم حيث مظاهر العريضة والتشدد والتفتت الإسرائيلى بعير جدود، بينما الحصب العربي كل تدبلغ درجة من الحق والخيال الذى يلامس خطوط الهأس والإحياط ؟

ثم لطفى لمرار بلوضاح ضرورى هو :

لأنه ليس معنى ذلك أننا على أبواب حرب جديدة، وإنما معناه أن إسرائيل فى ظل حكومة نيتنهاو لم تستوعب دروس الماضى جيداً، وبالتالي فإنها تفتح الأمور إلى حالة الخطر والمواجهة، وهو ما يدفع كل الأطراف إلى إعادة حساباتها من جديد بدون بقطة ومفتوحة قواعد الانتصار لغير السلام واستعقلاته، دون أن نستبعد احتمالات النكوص عنه والفرار من الوفاء بالتزاماته، من نوع ماكتشف من سلوكيات وإجراءات وتوجهات حكومه نيتنهاو حتى الآن.

وفى هذا الإطار يجرى التهم الصحيح والمحايد لمعنى ومغرى المناورة العسكرية المصرية بدر ١٩٦٠.. ويجرى أيضاً التهم الصحيح والمحايد لأبعاد القضية الحصب للتسطينية مؤخراً رداً على أبعاد جريمة حفر وفتح للفق أسفل المسجد الأقصى.

وأعود إلى ملف الذكرى وأورقها لكى تنقلب فى بعض الصفحات وتؤلف أمام عديد من الدروس والعبر ؟

ولنتذكر أن وطأة الإحساس بالخوف من بلوغ مرحلة المجر عن اتخاذ القرار كان مجلس تجمع فى العالم العربى وخاصة فى مصر لتي عليها دتما مسؤولية القرار ومسئولية التتبع أيضاً !

وأشئ أن أحاسيس الخوف والعجز قد تبذنت مع الباعث الأولى لمصلحة المبرر، عندما أكد جنود مصر البولل أنهم لم يجروا قط قلة السويس لتي تعتبر

لصعب حاجر ماتي وإيما عبروا حاجر "الخوف" وأن هؤلاء الرجال المعظم عصف
اعتلوا المواقع الحصينة لخط بارليف لم يحطموا حلقاً من الحصون المنيعة وأب
حطموها حائط "المجهر".

كانت نظيرة السلام من أكتوبر ١٩٧٣ ملحمة قداء وعطاء لصايت الدنيا
كلها بدول مفعي، وكسيت العسكرية المصرية لحرلاً وتقديراً غير مسوق
وربما لهذا السبب... وليس لأي أمياد أخرى. تشق من جانبي على من
سبيل شرف للمشاركة في إعداد الفيلم التاريخي المنتظر من هذه الحرب المجيدة
سواء كإعداد درسي أو إخراج في، لأن ما حدث أكبر من أن تصوره كاميرات أو
كلمات لا يمكن لها أن تعكس بصدق عاصفة الدم والفار واللهب التي جعلت من سطح
مياه القناة الهائلة بحراً هائجاً ومتلاطملاً بأعواج العضب والفار والإصرار على استعادة
الكرامة ورد الاعتبار.

أما أي أحداث في مصر من التشرية أو الفتيق أو حجب الأصره للهذه
لاستحق الثولف أسامها طويلاً، لسبب بسيط هو أن القوات المسلحة المصرية صانعة
المصر هي بصها التي ستولي إنتاج هذا الفيلم والإشراف عليه من الألف إلى الياء...
وهذا في اعتقادي كاف ويدعو للاطمئنان!

إن عظمة حرب أكتوبر أنها حطمت معتقدات بالية وأساطير وغيبيات زهية
في الجانب الإسرائيلي وأعادت لكشف كخور مدفونة وغائبة في الجانب العربي.
إن مجرد شوب للحرب على جبهتين هريش في نوحيات وأحد كتي بعبية رسالة
واضحة من العالم نل فيب، بأن كدوية للمجهر العربي من الفتيق وشكاسم والقندرة
على اتصال للقرار المشترك قد انتهت شاملاً.

ثم إن مشاهد التحطفت الأولى من المولجة فصحت أكاذيب الدعاية
الإسرائيلية التي ظلت تروج لها منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧ بأن الجندى العربي لا يعوى
على مواجهة الجندى الإسرائيلي فقد كفى الاقتحام والإقدام والاستيصال من جانب

طلائع العبور لا يولجيه هي معظم الحالات بتغير التراجع والارتداد ومحاولات الهروب
والاختفاء خلف الحصون والمدفعات.

وفي المحمل العام كان ما حدث في ٦ أكتوبر ١٩٧٣ بمثابة إعلان واضح
وصريح بسقوط أسطورة الجيش الذي لا يقهر، وهي أسطورة كانت قد بلغت مرحلة
التهين وعدم القبول بالشكك فيها خصوصاً لدى أقرب الحلفاء والأصدقاء لإسرائيل
وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية.

ولكى لا نصدنا اليوم أي مواقف طففنا بمراجع واقعة محددة ربما نجيب عن
بعض ما نريد استخلاصه من دروس الذكرى المجيدة، وما نريد لي نفيس عليه الآن
من إجراءات وتصرفات مثالية.

كان للجميع وخصوصاً في أمريكا لا يحالجهم أدنى شك في أن الجيش
الإسرائيلي لا يقهر، وأنه لا قبل للجيش العربي مجتمعة بمجرد التفكير في تحديه ١

وكانت أسباب الولايات المتحدة في هذا الاعتقاد معروفة، فهي التي ملأت
صهبة صدور يونيو ١٩٦٧ بالمدمية وبالقذم، وهي التي عارضت أي اتجاه داخل
مجلس الأمن لربط قرار وقف القتال بالعودة إلى خطوط ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧

ثم أنها أيضاً هي التي ساهمت في دعم الحروب النفسية الشرسة لزرع اليأس في
النفوس العربية ودفعها للانضمام للشروط الإسرائيلية من خلال إمداد إسرائيل على
مدى الساعات التي أعقبت يونيو ١٩٦٧ بأضخم كمية من السلاح الممنوع لكي يظل
المرءى العسكري لصالح إسرائيل.

إن واقع القصة يقول :

عندما وصلت أنباء الحرب يوم ٦ أكتوبر إلى واشنطن في ساعة مبكرة من
الصباح نتيجة هزوق الفوقيت^٢ ليقظ الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون كبير مساعديه
ومستشاريه من نومهم لإعداد تقرير عاجل للموقف ولتحملاته.. وكان الشعور
الأمريكي السائد لحظتها هو الخشية من أن تعبر إسرائيل للثقة لكي تصل إلى القاهرة
ثم تستدير باتجاه سوريا لكي تحتل دمشق.

وسارع الدكتور هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي بالاتصال بالدكتور محمد حسنين المنير وزير خارجية مصر الذي كان موجوداً في نيويورك للمشاركة في اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة.. وكان هدف ومسعى الاتصال الأمريكي هو ضرورة أن يتوقف القتال فوراً لأن واشنطن تخشى من الرد الإسرائيلي المنتظر ولأنه لا يتجلبط حدود الاحتمال لكل من مصر وسوريا.

وعندما أبلغه الدكتور المنير بأن القوات المصرية قد أصبحت على الضفة الشرقية للقناة بامتداد المواجهة من بورسعيد شمالاً وحتى عيون موسى جنوباً، كانت بصبغة كيسنجر هي أن على مصر ألا تصحح الوقت وألا تصبغ فرصة القبول بالترحيل الأمريكي محدد يدعو إلى وقف إطلاق النار وعودة القوات إلى الخطوط التي كانت عليها قبل بدء نشوب القتال.

ولم تقبل مصر طلباً للفرس الأمريكي المجحف والظالم لأن الجنود في ساحة القتال لم يسعوا به ولم يشغلوا به أنفسهم سوى إندثار المهمة التي كلفوا بها. ولعلنا نتذكر جيداً أن إسرائيل ظفقت طوال الأيام الأولى من حرب أكتوبر لمدة أسبوع على الأقل وهي تقوم إمكان القدرة على صد الهجوم المصري بمفردها، وعند اكتشاف جولداماثير أن موسى ديان قد فُهلر وفي القادة العسكريين في الجبهة قد فقدوا صوابهم مارست إلى الاستجد بالرئيس الأمريكي نطلب منه تدخله أمريكياً مباشراً، لأن التأييد السياسي لم يعد كافياً والجسر الجوي والبحري لا يفي باحتياجات المواجهة ولعلنا نتذكر أيضاً كيف أن الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون كان يعاني -ولها- من إغراقه في حرب فيتنام وتساعد الإهمال من هذه في فصحة ووترجيت، مما جعله في موقف صعب أمام القوى اليهودية فراح مسرعاً إلى التوجه إلى تل أبيب يطلب منح إسرائيل سلاحاً عاجلاً قيمته ٢٢٠٠ مليون دولار. وأن يتم السماح للطيارين الأمريكيين تحت مظلة القطوع -بالتوجه للمسلمة في إغراق إسرائيل- وجرى ما جرى من تدخل أمريكي مباشر في مجريات القتال منذ يوم ١٤ أكتوبر مما دعا الرئيس السادات صاحب قرار العزوف إلى أن يقول كلمته الشهيرة لقد

استطاع أولادى^١ أن يصيروا إسرائيل بمعزها، ولكن الموقف الآن قد تغير وبصح
لصحة جديدة بعد أن تخلفت الولايات المتحدة الأمريكية بشكل سافر ومباشر وإنه
لا يمكن بحكم مسؤوليتى عن أنقضى من الضباط والجنود أن أقول لهم حاربوا أمريكا
ليصا^٢ ١

والحقيقة أن ما حدث فى أكتوبر ١٩٧٣ كان شهادة لمصر كلها

كان شهادة لمعلمة إعلاء وبناء القوت المسلحة من جديد وقدرتها الفائقة على
الوقوف على قدميها بعد أسابيع قليلة من كثرة الهزيمة .. ومن معركة رأس العش فى
يونيو ١٩٦٧ إلى إغراق المدمرة ليلانت فى أكتوبر ١٩٦٧ إلى بدء مرحلة الدفاع
للتشيط عام ١٩٦٨ إلى القدرة على خوض حزب استئناف مجيدة عامى ١٩٦٩،
١٩٧٠ اكتملت كل مراحل التطعيم الضرورية للمقاتلين استعداداً ليوم الموعود.
وكان شهادة الجندي المصري الذى استطاع فى شهور قليلة أن يستوعب أحدث
الأسلحة التكنولوجية التى جرى تدريبه عليها.

وكان شهادة للنجدة الدنكية التى أعطت بلا حدود، ووفقت بكل ما تملكه، بدعم
وتشجيع وتؤكد ثقافتها للمعلقة فى أوقاتها الفسحة.

وكان شهادة عظيمة المكرة على إحداث التغيير عندما يكون التغيير ضرورة حياة
وبقاء..

وأتذكر الآن قصة من أوراق ملفات الأسرى التى عاشتها خلال تلك الأيام
للمجيدة، تكلم وحدها للتكليل على دلائل ما أحدثنا من تغيير لأنفسنا بعد يونيو ١٩٦٧.
نقول القصة :

أنه بعد نجاح القوت الجوية المصرية فى توجيهه لضرمة الأرنى التى مهدت
لمنعة العبور، كانت مهمة الدفاع عن سماء الوطن التى خاضها طياروا بكل بسالة
طوال أيام الحرب.

وكن مناطق الأسرى الإسرائيليين فى البحر والبحر والجو حديث الدنيا كلها^٣

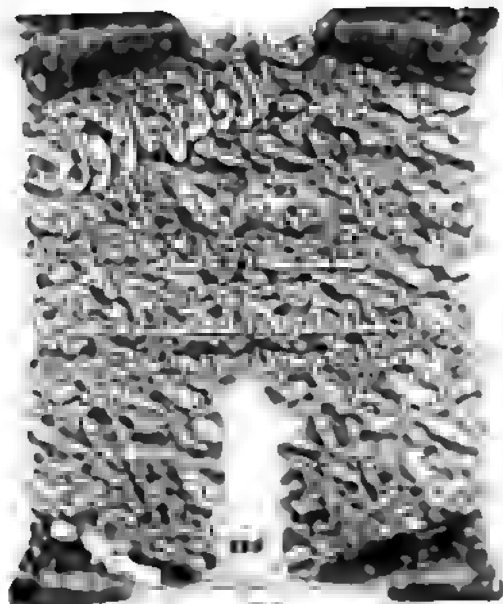
وكانت تجري عمليات استجواب قورية لهؤلاء الأسرى لمحاولة التعرف على أية معلومات السويداء والخطط الإسرائيلية للعجالة

ومن بين هؤلاء الأسرى طيار إسرائيلي كان قد حبط بالمظلة مسلماً بالقرب من إحدى القواعد الجوية بعد أن تحطمت طائرته، وتصادف وجود اللواء محمد حمسي مبارك قائد الذئاب الجوية - آنذاك - في القاعدة لمنفعة الاشتباكات الجوية الصاربية التي كانت قد بلغت ذروتها أيام ١٠، ١١، ١٢، ١٣ أكتوبر -

وطلب القائد المصري أن يرى الطيار الإسرائيلي الأسير وأن يستمع إليه قال القائد المصري للأسير: " لقد نالعت المعركة الجوية ولا عشت أن مستواكم كطيارين قد جاء أقل مما كنا نتوقع . فما هو السبب وما الذي حدث ولدي إلي هذا التغيير ؟ " وكفى رد الأسير الإسرائيلي موجعاً وبلغياً : " سيدي القائد إننا لم نخير ولكنكم أنتم الذين تغيرتم إلي الأحسن " .

وما لكثير الذكريات . . وما أعظم الدروس التي تؤكد حاجتنا إلى أن نملك جيشاً وطنياً وقوياً .

ولنن أن ما نشهده الآن على مسرح القرنى الأوسط يحتم علينا ذلك !



الفصل الأول

سقوط الأتراك .. والإسكندرية .. والمستعجلات

توقعت طويلاً أمام عبارة موجزة وردت في كلمة الرئيس محمد حسني مبارك التي وجهها إلى الأمة بمناسبة حلول الذكرى الـ ٢٤ لاتصال أكتوبر المجيد عبارة تقول، "إن حرب أكتوبر صممت موازين القوى، وغرقت مسار الصراع العربي - الإسرائيلي وفرضت على العالم ضرورة إيجاد حل حقيقي لقضية الشرق الأوسط وفتحت فرص للسلام واسعة النطاق أمام شعوب المنطقة كي تبدأ مرحلة جديدة من التعايش والتعاون على أسس صحيحة قوامها الاعتراف المتبادل وتكافؤ الحقوق والواجبات ورفض دعاوى التفوق والسيطرة ويكون مبدأ الأرض مقابل السلام".

إن هذه العبارة لفصحت كل ما حدث في مساحة العرب قبل ٢٤ عاماً، ثم هسرت ومزال يجري حتى اليوم على سعيد العمل الدبلوماسي من أجل الوصول إلى حل سياسي ومصالحة تاريخية لتراخى العربي - الإسرائيلي.

وربما يكون ضرورياً أن نسترجع معاً صورة الموقف في الشرق الأوسط قبل الصدمة الثانية وه نفاث من ظهر يوم السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣، حتى يستطيع أن يحكم على ما جرى وما نرث على ذلك الذي جرى في هذا اليوم المجدد، ومازالت نتاجه تنكشف حتى اليوم . ولعل في توليفة كززال استراتيجي سوف تستمر لسنوات طويلة قادمة

كانت حالة الانسحاب واللاحق قد طالت بكثير مما ينبغي، رغم ما حققته معاركه حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية من تفوق معنوي وتكتيكي، ساعدت على تخطي صدمة النكسة والهريمة في يونيو ١٩٦٧

كان مسرح العمليات للمنتظر مسرحاً صعباً ومعقداً بكل معاديس الطم الصكري، فقد كانت هناك السويش تمثل حاجزاً ملقياً من أصعب الحواجز التي تعيق العمل

العسكري وكان على الشاطئ الشرقى من قناة السويس خط من التحصينات يسمى خط بارليف يتكون من سلسلة من المواقع الحصينة التى تتفوق على أشهر الحصون المسجلة فى التاريخ العسكرى الحديث، وليرزها خط سيجريد الألففى وخط ماجينو الفرنسى

وكان هناك من الخبراء والأصدقاء من ألحوا على مصر بدعوى الحر من والصبحة بعدم التفكير فى مغامرة عبور القناة ليس فقط لأنها مغامرة شبه مستحيلة، ولكن لأن ما يمكن أن يترتب من تكاليف وتضحيات فوق طاقه احتمال للوطن.

وكانت نوايا الحملة النصفية التى تعاطفت بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ تكى تمجد من قدر العسكرية الإسرائيلية، وتقال من مصحة العسكرية المصرية، تحشش فى بعض النفوس

وكان على من سوف يتحمل مسئولية اتخاذ القرار أن يضع كل ذلك فى اعتباره، وأن يحدد هدفه بوضوح فى اجتياز حاجز القوف، ثم صرب نظرية الأمن الإسرائيلى وصولاً إلى تصحيح موازين القوى بما يسمح بإمكانية فتحه على طريق التسوية الشاملة والمعادلة بعدة من فئاع الغرور والتمالى الذى سيطر على العقيدة الإسرائيلى بعد حرب يونيو ١٩٦٧.

كانت هذه هى الأبعاد الحقيقة لحجم التحدى الذى نواجهه، فما الذى جرى بعد ذلك؟ إن الملاحظة التى دخلت العالم كله. لم تكن مفاجأة العرب دفاتها وإنما كانت المفجأة العظمى فى حجم ما استطاعت القوات المصرية إتجازه فى الساعات الأولى من بداية الحرب، حيث تم عبور القناة وتطعيم خط بارليف واجتياز حائط الخوف من صربة واحدة!

ثم كان ماكان من سقوط أسطورة الجندى الإسرائيلى الذى لا يقهر، وكان السقوط على كل المستويات

سقطت أسطورة التفوق عند مستوى القيلة وثبت المصريون أنهم يستطيعون أن يكتسبوا السر ، وأن يحققوا المعجزة ، وأن يملكو المبدأ وأن يحسوا التخطيط والتعب

وسقطت كدوبة العسكرية الإسرائيلية الشجاعة التي جرى الترويج لها بعد يونيو ١٩٦٦ وثبتت المعارك وشهادات الأسرى تبين قصصهم ، أن الجود المصريين كانوا يهجمون للمواقع بصنوبرهم مهما كان حجم النار واللهب، بينما كان الأسرى يهربون عن ملجأ أو ملجأ للهروب من المواجهة.

وعندما أشرق صباح يوم السابع من أكتوبر كانت كل صحفا العالم، خصوصاً الأمريكية والغربية التي جذت نفسها ٦ سنوات متصلة لجدد الشخصية المصرية، هي نفسها التي تتحدث عن المعجزة المصرية

كان هناك ما يشبه الإجماع بين خبراء الاستراتيجية العالمية على مايلي:

(١) أن لقاء القوات المسلحة المصرية بالقوات القذرية والصناعات بذلك للتخطيط وعظمة التعب

(٢) أن للعالم كله صوف ينتظر - اعتباطاً منذ هذه اللحظة - نظرة احترام للعسكرية المصرية التي حطمت أسطورة التفوق الإسرائيلي

(٣) أنه مهما يكن من أمر الحرب ومسر هزيمتها، فإن من المؤكد أن خريطة الشرق الأوسط قد تغيرت، وأنه لابد من إعادة رسم هذه الخريطة من جديد في ضوء معطيات الأداء العسكري الواقع على جبهة قناة السويس.

وبدأت معاهدة الطوم العسكرية والاستراتيجية في العالم طرح سؤالاً جديداً

ماذا حدث وما الذي تغير في ٦ سنوات؟

وكان الجواب هو

أن إسرائيل لم تتغير ، بل إنها ازدادت قوة وغروراً وبصلاً لدعم العسكري الأمريكي المتواصل لها . ولكن المصريين هم الذين تغيروا بكثير مما كان في حين

واحد

كان حجم التجهيز الذي حدث في مصر منذ لحظة إعادة بناء القوات المسلحة المصرية على الهزيمة هو الذي أدى إلى هذه النتائج المذهلة، حيث استعد العرب تقوم بأنفسهم بينما صاغت هيئة المؤسسات العسكرية الإسرائيلية وصااع معه ربط الثقة الدن كان يهين لها مقومات السيطرة على المؤسسة السياسية في كل أرباب

كان شباب مصر الذين تحركوا في ملك العسكرية المصرية بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ومعلمهم من حملة المؤهلات، أحد أهم ملامح التجهيز الذي أدى إلى سرعة استيعاب برامج التدريب على الأسلحة الإلكترونية المتقدمة، وبشوء مناخ جديد يسمج بعلاقات إنسانية متكافئة بين الصباط والجنود، ولرخصة الثقة بين الجند والسلاح الذي يحملها.

كان الذين طرحوا سؤال البحث عن سر ما جرى، وما الذي تغير في ٦ سنوات فقط، لكي يحدث هذا الانقلاب المعنوي في تصالوهم لأن الصورة في أعقاب هزيمة يونيو ١٩٦٧ كانت قاتمة السواد بالنسبة لنا .. فقد كانت فطائق العلمية للعامة للمؤسسة تقول بما يلي :

- (١) أن القوات المسلحة المصرية خسرت أكثر من ٨٠٪ من حجم معداتها العسكرية، وأن معظمها جرى تكثيره بغير قتال.
- (٢) أن صدمة للهزيمة أدت إلى تمثر وتشتت معظم القوات، خصوصاً تلك التي هاجمت على رجبها في صحراء سيناء وشمسها المعركة.
- (٣) أن المحصلة العامة لقوات المسلحة المصرية يوم ١٠ يونيو ١٩٦٧ الذي صدر فيه قرار وقف إطلاق النار، لم تكن في نهاية قوة قاهرة سواء في الدفاع أو الهجوم.
- (٤) أن الإسراطينيين مجبوا في احتلال شبه جزيرة سيناء كلها وأن قواتهم حصل للصحة الشريفة لقادة السويس بكملها.

٥) مهل يمكن أن يتمكن مصر في ٦ سنوات فقط من إعادة بناء جيش يقدر على معارضة إسرائيل وإحلال الهزيمة الإستراتيجية والتكتيكية بها؟
وكان الجواب في النهاية :

أن المصريين حطموا كل المستحيلات لأنهم وصنعوا كرامة ومنعزل لأنهم في الميراث، لكي يصححوا كل الموازين المخلوطة في منطلقاتهم.

والأولى ، وبعد ٢٢ عاماً من ذكرى هذه الحرب المجيدة قبل لنا أن نقول بكل الاعتزاز والثقة في النفس، أن كل ما نشهده الآن من خطوات على طريق التسوية والمصالحة للتاريخية للفراعنة العربى - الإسرائيلي، هو من نتائج هذه الحرب التى مررت امتنا العربية تستثمر نتائجها الإيجابية حتى اليوم

لقد كان مستبعداً أن يكون هناك اتفاق سلام تسترد به مصر كامل ترابها الوطنى فى ذلك مختلف موازين القوى.

وكان مستبعداً أن نعرف إسرائيل بالتسطينيين، وأن نتفاوض معهم على قدم المساواة فى ظل صلف وشرور القوة الإسرائيلية المطلق

لقد كانت أهمية ماحدث يوم ٦ أكتوبر أنه تبه إسرائيل إلى الحقيقة التى غابت عنها فى ظل عبثة الوهم بالتفوق المطلق بعد حرب يونيو ١٩٦٧.

وفى حين نجحت حرب أكتوبر فى تعطيل نظرية الأمن الإسرائيلى التى كانت ترتكز على كثرة إسرائيل وتغورها بما يمتلكها من فرص لإنهائها، فإن حرب أكتوبر نجحت أيضاً فى أن تثبت قدرة المصريين على تهديد التفوق الإسرائيلى ونهضت للمعاجزة ومثل ذلك وعلم المبادأة والقدرة على تغيير الأوضاع.

كانت أهمية ماحدث يوم ٦ أكتوبر أنه ألقى الإسرائيليين طعم الهزيمة التى عاينوا بها فى يونيو ٦٧.

لقد واجهوا نص ما واجهنا وأكثر ، وكل تلك دلالاته وتكميلاته التى يصعب استراحتها من الضمير الإسرائيلى.

لقد واجهوا محنة الهريمة في أكتوبر ٧٢ يمثل ما واجهها نحن محنة الهريمة في

يوليو ٦٧

لقد أحسناهم على غرة بلحيت ونمكر ولتكني مما أخذوا.

وعندما بدأت الحرب وتوالت نتائجها، كانت أسباب شعائنا بهم نكتسب منطقهم ومعوليه عن أسباب شنائهم فيها

لقد أصيبوا بآلاتهم العسكرية والمسلحة بالقتال القاتل في مركز القيادة، في حين تشرعت قواتهم وتحطمت على طول امتداد قناة السويس

لقد فرضت الحقائق الجديدة للحرب نفسها على إسرائيل، وحثت عليها سرعة التعامل مع هذه الحقائق وأهمها الخروج من وهم التفوق المطلق.

ثم إن هذه الحقائق الجديدة للحرب هي التي أدت لنا صحة الاعتقاد بأن السلام لا يستطيع أن يعيش في غيبة من قوة قلقة على أن يصونه وأن تحميه

والخيراً لقد يسألني أحد القراء

هل يمكن أن نظل حركتنا السوفية خصوصاً على طريق البحث عن سلام شامل وعادل مرنكز على نصر أكتوبر وحده ؟

والقول صادقاً

إن ما يحدث حتى اليوم من خطوات على طريق التصوية والمصالحة التاريخية بين العرب وإسرائيل، هو شئناج حرب أكتوبر . وإن الذين يتحدثون عن انتهاء العصر الأثراصي لاستثمار نتائجها، يتجاهلون أن قيمة ماحدث في أكتوبر لم يكن مجرد استرداد قطعة من الأرض لحقتها إسرائيل، وإنما القيمة الأسلمية هي أن تثبت لإسرائيل أن معاميتها خلقة وفي كفة موازين القوى لا يمكن أن ترجح لصالحها إلى ما لا يهية

وهذا هو ما يجتازنا أكثر طمعناً إلى المستقبل ... وأشد تقاعة بمسير السلام

ويكفي أن تلقى مطاردة فالحصنة ومنقذة على نصر التوجيه الاستراتيجي من الرئيس
للمدائن بصعته القائد الأعلى للقوات المسلحة، إلى الفريق أحمد إسماعيل على وزير
الدفاع يوم الخامس من أكتوبر ٧٣ قبل أن يبدأ دوران عجلة الحرب بمساعات، لكي
نعرف أننا حققنا كل أهدافنا المرجوة من الحرب ولكي نزداد ثقتنا بأننا نصل إلى
الطريق الصحيح مطمئنين إلى المستقبل متبعين بصحة اختيارنا لمهبط السلام

لقد كان نصر التوجيه الاستراتيجي كما يلي

إنه بناء على التوجيه السياسي العسكري الصادر لكم مني في أول أكتوبر ١٩٧٣
وبناء على الظروف المعقدة بالموقف السياسي والاستراتيجي، فقد قررت تكليف
القوات المسلحة بتنفيذ السهام الاستراتيجية الآتية :

١) إزالة الجمود العسكري الحالي بكسر وقف إطلاق النار اعتباراً من يوم ٦ أكتوبر
١٩٧٣.

٢) تكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة في الأفراد والأسلحة والمعدات.

٣) للعمل على تحرير الأرض المحتلة على إمكانات وقدرات القوات المسلحة.

كما تضمن التوجيه الاستراتيجي نصاً يفيد تنفيذ هذه المهام بواسطة القوات المسلحة
للمصرية مطردة أو بالتعاون مع القوات المسلحة السورية.

وأظن أن التقييم المصنف لما جرى ولما تحقق حتى الآن. يؤكد أن هرب أكتوبر
كانت عبوراً من قيائن إلى الأمل، وأن ما تحقق على صعيد العمل السياسي
والدبلوماسي لم يكن سوى ترجمة صحيحة للموازن الجديدة التي صنعتها ليرلي
لذبايت والمدافع والمؤرخين والفيلسوفين والدارسين.

ألمص الحرب هي مواصلة السياسة بطريقة أخرى كما قال كلود فير المورخ
العسكري الشهير قبل أكثر من ٢٢٥ عاماً؟

ثم أليست دبلوماسية التفاوض هي التي تؤدي في النهاية إلى نتائج يحسب موازين
القوى الحقيقية لأطراف التفاوض؟

هذا ما نستطيع أن نقوله بكل الرضا عن حرب أكتوبر المجيدة والصالدة التي أدت
إلى سقوط الأوهام والأساطير والمستحيلات، وقبول الجميع الاحكام إلى العمل
والمنطق الذي يتفق مع حركة التاريخ ...



العمل الذاتي

الكتاب الجديد



في ٦ أكتوبر ١٩٧٧ أي قبل الحرب بعام كامل قبل الرئيس السادات بالحرب الواحد " عندما لقيت بحتمية المعركة لقيت أن الأمريكي والروس قد وصلوا في لقاء موسكو إلى اتفاق على عدم المواجهة فحورت تصعية الوجود العسكري السوفيتي لأن وجود عسكري سوفيتي واحد على أرض مصر عندما تبدأ معركة مع إسرائيل يشكل خدمة كبرى للإستراتيجية الإسرائيلية، وإسرائيل سوف تدعى أنها تحارب الروس وأنها لا تحارب العرب وبذلك ستكسب الرأي العام الأمريكي بل وحتى الأوروبي ومعنى ذلك في السوفيت قد أصبحوا عناءً علياً لهم لا يحترمون ويعطون عدو وسيلة ابتزاز يظن بها ما يحصل عليه من دعم ومساعدات أمريكية

ونقطة أخرى أردت أن ألفتها بإنهاء الوجود العسكري السوفيتي وهي إقناع رعاء الكرملين بأن إستراتيجيتهم في المنطقة لا يمكن أن تتحقق على حسابنا وحساب مصر أمك وإن عليهم أن يضحوا في حساباتهم الإرادة العربية وكما قلت في الخطاب الذي ألقته في ذكرى وفاة عبدالناصر قبل أيام : لقد كان إحساسى كمن يقف فوق رمال متحركة وأن على أن ألتف في حذقي الحفقي وكل القفر صدمة كهربائية وقد يكون ليها شيء من العطف ولكنها كانت ضرورية كل لابد منها ليستفيق الصديق ويسرك أنني أدخل معركة محسوبة فيها على ولكنه في الحقيقة ليس معنى . إن قرار إنهاء الوجود العسكري السوفيتي قرار أساء على إيماني بحتمية المعركة واستمالة للسكوت على عريضة إسرائيل في المنطقة. القفر ثم يكن ضد السوفيت بل كل من أجل مصر. من أجل أن يكون في خندقنا الحقيقي وعلى أرض الواقع".

ومن حسن الحظ أن أحداً في المقام كله لم يصدق - بل لم يتصور - أن الرئيس السادات قد منس الحفظة أو حتى جرأاً منها عندما يرر الاستفتاء عن الخبراء السوفيت بحتمية دخول الصوكة ومن حسن الحظ أيضاً أن ذلك كلن هو ما يستهذه الرئيس السادات بالتحديد ريصعه في حساباته.

"الحقيقة لشعبى والخذاع لهم".

ومع بذلة المد التتالي لعام المعركة لم يجد الرئيس السادات فرصة لكي يصيب
لنصر شبكة معتدلة . من أسلوب خداع معكم إلا واعتقمتها وكان في ذلك يصدر عن
معرفة سامية ، دقيقة ومحسوبة لتفكير العدو وحساباته .

لم يدر بالسلطة الكمبيوتر أي يخرج نتيجة واحدة لتقييم ومحاولة ، ثوبا السادات
للتحقيقه عن بعد ، لا يتحول تحريك وموعده تحولها فلما كانت أشبه الأسئلة التي
تلقى على الرئيس تكوّن حول صحيفة واحدة تحمل مستعملون لتسرب رهل هي أربعة
وفي معظم الأحوال كانت لجنة الرئيس لا تخرج عن جواب واحد . الصبر والصمت
ثلا عريف مبعوثون الصبر صراخ . الصمت تهرلية قد ذلوا الكثير ومبعوثون أكثر ،
لذلك أنا لسا في ضباب ولا أخطوا في قرارنا وأنا حارون كيف نقدر خطوات
بحساب دقيق وهريق وبعد مظهر .

و عندما تصالف وجود الرئيس السادات في ليبيا في يناير ١٩٧٢ عقد مؤتمرا
صعبا في منزل العهد القذافي قبل أن يملأ ليبيا متوجها إلى بوجملاط ضمير بطار
خطة تحركات شاملة لغتمة هدف الإعداد للمعركة وكل ما ركز عليه السادات
أن مصر سوف تواجه بكل الصلابة وبدعم القومية العربية لشروع عدد في الثوابخ
كما أنها ستواجه بذلك الصلابة أخطر هارلت الصق ، وكان يقصد بالهارات حملات
التشكيل والحرب النفسية التي نهضت إلى امتلاك نفس العرب جميع بعد أن احتلت
ارضهم ، ولم يتردد السادات في أن يعلن أن مصر تسعى إلى شراء أسلحة من أي
مكان في العالم لكي تحوس معركتها . ومن حسن الحظ أن أعداء لم يكن على استعداد
لأن يصدي .

وقد راء من شدة ارتباطك الإسرائيلي وحلفائهم الأمريكيين وعدم قدرتهم على
استخلاص التوبخ الحقيقة لمصر أن الرئيس السادات كان في أحاديثه مع الصحفيين
العالميين ومخصوصاً الأمريكيين - يطرح من المستقل ما يمكن تصوره سراً عسكريا
لا يسمي بإذعته من دولة تتوّن أن تخوض حرباً وكل أيور نموذج لصيرة الإسرائيلي
والأمريكيين هو حيزهم عن تحطيل حديثه الهام في أول إبريل ١٩٧٢ مع أوسود

بورشوراف كبير محوري مجلة نيويورك الأمريكية الذي عدد فيه عدداً من الأعمال العسكرية المصرية التي كُتبت مزمعاً تنقيتها ضد إسرائيل ولم تنفذ وبسعة خاصة عائلته الإعداد التي جرت في شهر ديسمبر ١٩٧٦ في غارات بقلاصات القليل في الجزء المحتل من سيناء ولكن هذه العملية لم تترك نشوب الأثر في الهنديه الباكستانية، كذلك عائلته الإعداد لإرسال لواء المظليين إلى سيناء في نهاية صيف ١٩٧٧ بهدف إحلال نقطة على الساحل خلال فترة تقارح ما بين أسبوع وعشرة أيام يتم خلالها دعوة مجلس الأمن للاتحاد ويوقف صنع القنابل وممارسة قدر كبير من الضغط على واشنطن حتى ترغم إسرائيل على الجلاء عن الأراضي المحتلة

ولقد كان طبيعياً أن يرى الإسرائيليون وغيرهم في هذه التصريحات عدم وجود أية عملية للحرب خصوصاً أن بورشوراف ذكر في حديثه نقلاً عن أسماهم بالمساعدين المقربين للرئيس السادات في مصر تدعى شن حرب واسعة النطاق على قناة السويس ولي أنسى ما نلحقه فيه هو القتل بأعمال هربية محدودة مثل شن غارات في سيناء واستهداف أعمال كسف شبيهة بحرب الاستنزاف في منطقة قناة السويس،

وفي هذا الوقت لم يستطع أحد أن يفهم في ما ذكره الرئيس السادات كأسرار عسكرية وماتم تسريبه من ألقاب عن طريق ساسة من ذوي لم يكن إلا خلفه في سلسلة حلقات الخداع المستمر ولم يكن قد بنى على موعد الحرب سوى ٦ شهور فقط لم يتردد خلالها الرئيس السادات في أن يتحدث مع صحفيين ومراسلين من شتى أنحاء العالم عن حقيقة المعركة وعن الإعداد لاستخدام الفيرول كسلاح في المعركة،

وعندما حان موعد الذكرى الثالثة لوفاته عبدالناصر في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٣ ووعف الرئيس السادات بقتي خطابه المعتاد في مثل هذه المناسبات لم يكن أحد في العالم ذلك يعلم - سوى الرئيس السادات والرئيس الأسد والممجر إسماعيل - في ساعة الصفر قد انقضت ولم يبق سوى ٦٠٠ ساعة فقط على نشوب الحرب، وكانت قصة المعجزة ونزوة الخداع في الرئيس السادات في هذا الخطاب - على عكس علاقته مدني - السلطة في مصر ألا يتحدث بشيء عن المعركة سوى إشارة طليعة في ختام خطبه

كان فيه، ما يكفى لتطبيق المبدأ الذى تقرمه السادات فى كل أحداثه "الحقيقة نسبية والحداد لهم"

وعندما وقعت الحرب ولدت إسرائيل كلها تلحس سوء قبحهم وقصر النظر الذى وقع فيه قائلها ومخالفاتها بينما تنكرت الأمة العربية فى هذه اللحظات ساعات للمرارة السابقة التى كانت تلحس فيها جراحها وألقت أن أفضل دستور لمواجهة مع عبوس شرمس وكهيبث ومعلم كجسوقيل ليس سوى دستور الصبر وبصرف للتأثير عبر صحفاته الثمينة باسم الثورة والثورة

وفيما كانت خطب وأحداث الرئيس تمضى وفق مخطط علمي ومدروس وصنع السادات بنفسه لخداع العدو وتصفية كانت الأجهزة المصرية المسئولة وببها وراة الخارجية ووسائل الإعلام ودفارات المخابرات والشخصيات المرموقة تتولى مهمة تمريب أنباء إلى الصحافة العالمية تحدم خطة الخداع وتبدو وكأنها أنباء مسدحة تماماً وفى شانه تسوية خرجت دوى علم المسئولين فى القاهرة غير أن العكس كان هو الصحيح.

كانت القاهرة هي مصدر كل هذه الأنباء التى شوهت صورتها للظاهرة فى العالم ولقى حادى لبعض فى العالم العربى فى استخدامها ببناء الضغط على القاهرة ولزادتها السياسية، كاذب من مصلحة مصر أن يخرج صحيفة ليطالبة واسعة الانتشار فى فبراير ١٩٧٢ لتقول أن المصادر العسكرية المصرية تعترف حراسة أن حصر تعانى من نقص فى البيرين وقطع القبار وأن ليس فيها سوى مليون مليون ولحد فقد لكل طلائيرين، وتجنم الطائرات الحديثة الأسرع من الصوت كالحصار لا يوجد من يحركها وقد تعلمت فى الشهور الخمسة الأخيرة ٣٠ طائرة أسرع من الصوت فى التكريرات

ومن حسن الحظ أن إسرائيل كانت تنتظر هذه الأنباء لتتشورها بصورة بارزة فى صحفاتها وذار ذلك الإبراز من جانبهم يحى فى نظر القاهرة أنهم أصبحوا أسرى للخداع المصرى الملكر وعندما كان عام ١٩٧٢ يقرب من نهايته خرجت صحيفته من

معاريف الإسراقاتية الواسعة الانتشار وغلوقتها الرئيسية تتحدث عن تقرير لوكالة
اليونانديرس الأمريكية من بروكسل جاء فيه:

"في تقريراً سورياً أعده السلاح الجوي المصري ووزعت نسخ محدودة منه على
عدد من كبار المسئولين جاء فيه أن ٤٠٪ قط من السلاح، ٦٠٪ من الطائرات
المصرية المقاتلة في حلة صالحة، وذكرت المصادر المعلوماتية في بروكسل التي
مقلت التقرير أن السرى في الموصل الإسلامية المسقولة عن هذا الوضع شهر الصلح هي
للسيانه السببة ونقص قطع الخبار من الاتحاد السوفيتي، ويتضح من التقرير أن السرى
للمصري أن مصر فقدت ٥٠ طائرة مقاتلة على الأقل من صنع سوفيتي في
... للتكرهات منذ حرب الاستنزاف وحيث ذكرت مصادر مؤثرة أن مصر كانت تمتلك
٥٢٣ طائرة قبل حرب الاستنزاف فإن معنى ذلك أن في هزونها الآن من ٤٠٠ إلى
٤٥٠ طائرة منها ٢٠٠ جاهزة للقتال.

وكرر هذا الانطباع - الذي جرى التخليط له من قبل القاهرة بهراة - أن بيت
مرسل الفينانشال تلوم البريطانية في نفس الوقت .. ديسمبر ١٩٧٢ .. بتقرير من
القاهرة يقول فيه: "إن الجيش المصري ليس مهياً لبدأ القتال على الرغم من توف
تشكيلاته إلى حرب مع إسرائيل وقد ذكر في منشور مصريون أنه في حالة نشوب
حرب ستكون هزيمة الجيش المصري محققة لأنه بالإضافة إلى فقدانه للمركبة على
القتال فإن القدرة الدفاعية ذاتها تأثرت بخروج الفيراء السوفيت الذين حملوا معهم
جزءاً كبيراً من السلاح الدفاعي المتطور".

ومع بداية عام ١٩٧٣ تراجعت درجة نشاط الأجهزة المصرية المسقولة عن ترويب
الألب إلى الصحافة العالمية سهل وإلى حمله التحليلات الأجنبية وبينها بالتأكيد
عملاء لمحابرات الإسرائيلية - وكان محور الأنباء التي تم تسريبها يتحدث عن عدم
وجود أية مظرة حقيقية لمصر على القتال وأن ملوكر - السيد الرئيس دوما عن حتمية
التمركبة ليس إلا من قبل الاستهلاك المحلي.

ومن قلب القاهرة سمح ليجيم هوجلاند مراسل الوائشطن بوست الأمريكية أن يبعث لصحيفته بتقرير في ٢٦ مارس ١٩٧٢ يقول فيه: "إن فشل شبكة خرفادو المصرية في كشف طائرة الركاب اليابانية عندما حطت فوق منطقة عسكرية مغلقة في الجانب المصري من القناة قبل تسليها إلى ميناء يظهر أنه عازلة. هناك نقاط ضعف كثيرة في نظام الدفاعات الجوية المصري على الرغم من عودة مئات من الجيلاء للسبيت إلى مصر في الشهر الستة الأخيرة وإعادتهم جزءاً مهماً من تجهيزات الرادار ووسائل الصواريخ المتحركة التي أخذوها معهم عندما غادروا مصر".

ومضى مراسل الوائشطن بوست في تقريره الذي بحث به إلى القاهرة: "إنه لم في القاهرة أنه خلال شهر نوفمبر ١٩٧٢ اقترحت طائرتان إسرائيليتان تفانثان إلى مسافة ٤٠ كيلو متراً في القاهرة دون أن ينجح المصريون في إطلاق صواريخ باتجاههما. وقد أطلق صاروخ واحد فقط بعد أن استكثرت الطائرتان وعادت إلى الجانب الشرقي من قناة السويس، وبعد أن تركه السوفييت مصر لم تجر مناورات فرق أساسية وأصبحت صيانة القتال في الجيش أسوأ مما كانت، ويوضح ضعف الجهاز المصري المستمر أن نجد الحروب سيكون بمثابة اختبار أكثر مما كان في الماضي".

وعندما كانت إسرائيل في حيرة من أمرها في محاولة تفسير وانقطاع بعض القوات والمعدات المصرية صوب جبهة قناة السويس، في إطار ما أطلقت عليه مصر وقتها باستعدادات لإجراء مناورات تحت اسم "مسلح الدين" سمحت مصر لمراسل صحيفة اللوموند الفرنسية في القاهرة أن يبعث لصحيفته بتقرير عشية الحرب في سبتمبر ١٩٧٣ يقول فيه "إن عدداً كبيراً من ٥٠٠ إلى ٦٠٠ ألف جندي مصري للمسكرين في جبهة قناة السويس ليسوا جنوداً متفانين ولا توافر فيهم القدرة على القتال وهم يستلخ الجنود الشباب المشبون الذين جندوا مؤخراً في مصر السيطرة على القتاد المزعزعي المعتقد".

وعندما كانت إسرائيل تمشي جو المسلة والحزن والكآبة بعد ضخمة الهزيمة، ممررة المعاجلة وكف موسى ديلان في نوفمبر ١٩٧٣ ليخطب في صباط الجيش

الإسرائيليين الذين ذلّوا ويلات الحرب ورأوا بأعينهم كم يقتلهم من أرواح ومعدات ليغول لهم ؟ لم يكن أحد يتوقع حتى صباح يوم السبت أن تشتب الحرب في ذلك اليوم ولذا لم تبدأ نبذة الاحتياط قبل ذلك وحتى صباح ٦ أكتوبر لم أفكر أنا شخصياً في أن الحرب ستقع.

وبعد ذلك بولم وقف ديان في اجتماع الحكومة الإسرائيلية يقول كم أسمع من أي شخص هنا أن الحرب ستندلع في هذا اليوم*.

مؤكداً بذلك صحة الفقرة بأنهم : رأوا ولكنهم لم يفهموا.

وكان ذلك بالفعل أبلغ اعتراف من جانب قيادة الأسطورة عن عدم استطاعة فهم ما جرى وكان ذلك بدوره شهادة حق يستحقها العقل المصري الذي أدار ببراعة الخطر حملة خداع في التاريخ بنسب درجة الكفاءة التي خطط بها لاجتياز أصعب مراح على في التاريخ ورمز بها أشرس عنو واجهه الإنسان العربي على طول التاريخ

حكاية المظروف المطلق وساعة السفر

ولأن المطلق لا يموت ولا يتبدل لغة لو أردنا أن يمرور الأيام والسنين قد رجحت أن استجد معكم بعضاً من ذكريات هذه الأيام الخالدة والتي كانت قد سجلت بعضها في كتابين صدرتا في وهلمسي عامي ٧٤ و ٧٥ تحت عنوان "حرب أكتوبر من غرفة العمليات" و "غصة الفخوة في الدفومور .. وولية الحرب من غرفة العمليات".

في الفصل الخامس من الكتاب الأول وتمتعت عنوان "المظروف المطلق وساعة السفر" جاء مألوف وبالعرف للواحد:

في صباح يوم ٦ أكتوبر كانت الأمور تتخسى بصورة طبيعية في القاهرة على الرغم من أن صحف القاهرة نشرت في عناوينها الرئيسية أنباء التوتر المتزايد على خطوط المواجهة حيث كان الانطباع السائد لدى رجل الشارع في مصر أن مصدر التوتر هو الحامية من انتقام إسرائيل للعملية القتالية في النصار.

هكذا كانت الرؤية الظاهرية لرجل الشارع المصري في القاهرة مجرد توتر على الجبهة نسبياً لاحتلال قلاع إسرائيل بصل حدودي ولكن الحقيقة كانت غير ذلك تماماً ضد الصباح الباكر استيقظ جميع القادة العسكريين بعد إغفلة قصيرة لم تمتد لأكثر من ساعة وهرع كل إلى موقعه في المركز الذي يقع تحت الأرض ويتم الوصول إليه عبر سلسلة من بوابات الحديد والسلب تتصل بين سلسلة من الممرات والاهابير والسلام.. والمركز يتصدره قاعة كبيرة أسوارها بلهرة فوقها دوائر الحية . والخراط ليست كرفاً قط ولكنها حركة مذبذبة وحول القاعة مجموعات تمثل قيادات الفروع لقوت المسلحة كلها. كل مجموعة وراءها خرائطها وأمامها أدوات اتصالها بكل الجهات. ومصدر القاعة بطر مخصصة لهيئة القادة العامة ووزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة ورئيس الأركان ورئيس هيئة العمليات، وفي مواجهة المنصة وعلى الجانب المقابل

مجموعة الخرائط الرئيسية التي تمثل الموقف العام مرسومة على مسطحات من رجاج بعرض القاعة كلها - الموقف في البحر - الموقف في الجو - الوضع على الجبهة السورية - أجهزة الاتصال تحق والتطمين والتكس أصوات في ملائحات سريعة.. أمامات ملونة تصالف على الخرائط المرسومة فوق مسطحات الزجاج وفقاً لتغيرات الموقف بدقة بدقيقة وبأسنة مطلقة كل ما في القاعة مصري مائة في المائة في هذه اللحظة .. الأسفلت .. الأدوات ..

والأفكار .. والأمان .. والأحلام

وعندما وصل الرئيس السادات إلى القاعة في الساعة الواحدة والرابع من بعد الظهر وتعد مكانه على صدر المنصة الرئيسية كانت الحركة قد بدأت تدب في مواقع آخر قريب حيث يوجد مكتب المتحدث العسكري المصري الذي كل إلى شرف المشاركة في إنشائه والعمل به قبل وإنشاء حزب أكتوبر تحت قيادة اللواء عر الدين مخسر الذي أصبح فيما بعد أميناً عاماً لارتسة الجمهورية فقد فتحت إحدى الخزائن وأخرج منظوف مخفياً وكان المنظوف يحتوي على صيغة القيتين الأولى والثاني وكان المنظوف

يحتوى لهماً على تعليمات بإذاعة البيان الأول بعد ٥ دقائق من ساعة الصبر أى بسم
 إذاعته فى الثانية عشر دقائق على أن يذاع البيان الثانى بعد ٢٠ دقيقة من ساعة
 الصبر أى فى الساعة الثانية وخمسة وعشرين دقيقة. وقد كان البيان الأول يقول: قسم
 العدو فى الساعة الواحدة والنصف بعد ظهر اليوم بمهلجة قواتنا بمطقتى الزعرانة
 والسحبة بطريق السويس بواسطة عدة تشكيلات من قواته الجوية عندما كانت بعض
 من زوارقه البحرية تقترب من الساحل الغربى لطريق السويس، وتولى قواتنا حالياً
 للتصدى للقوات المغيرة وكل نص البيان الثانى كما يلى: "رداً على العدول المتآمر
 الذى ظم به العدو ضد قواتنا فى كل من مصر وسوريا نقوم حالياً ببعض من تشكيلاتنا
 الجوية بنصف قواعد العدو وأهدافه العسكرية فى الأراضي المحتلة". وبنهاية ذلك كن
 هذان البيتان يمثلان أمر لمسات الإحلال والقداع للحرب التى بدأت حقبة نى الثانية
 وخمس دقائق تبدأ معها الهبات العسكرية المصرية الضيقة ويتسدرها استهلال بسم
 الله الرحمن الرحيم.

لما فى إسرائيل فقد كان للقلق قد ارتاب زعماءها قبل ذلك الصباح بأربع وخمسين
 ساعة وجلس هؤلاء الزعماء فى حيرة من أمرهم بنهر كدرة على اتخاذ أى قرار أو
 نصير لما جرى فى صباح يوم الجمعة ٥ أكتوبر أصدر دافيد اليمتزر رئيس الأركان
 الأمر لىلى قراراً بوضع القوات الإسرائيلية فى أقصى درجات الاستعداد والذى
 الإجازات وأعطىهم أنه من المحتمل أن يتم استدعاء الاحتياطى، ولكن ما علمه اليمتزر
 لم يكن يحوى جديداً فقد كانت القوات الإسرائيلية بالفعل فى حالة طوارئ. طيلة الأهم
 الشعة السابعة منذ أن أعلن ديفيد تحذيره بشأن ما يجرى فى الجولان وكل ما استجد فى
 تعليمات لتسار هو استدعاء كبار ضباط الاحتياطى، وبينما كانت القيادة العسكرية
 الإسرائيلية "زاحال" تتحيط فى تصرفاتها كانت الحكومة الإسرائيلية هى الأخرى
 عاجزة تماماً عن فهم ما يجرى.

بى قماء من نفس اليوم "الجمعة" عشية للحرب عقدت جولدا مكتب اجتماع
 معلقاً لورارة "المطبخ" لى تكبير شئون إسرائيل وحصر الاجتماع كل من إيجال آلون

مكتب رئيسة الوزراء وموشى ديان وزير الدفاع وإسرائيل جابولي وزير الدولة وأكبر المستشارين المقربين ليجونا ملير وبعد أن بدأ الاجتماع تقسم إليهم حلبيهم بارليف ودافيد ليباوار . وانصت الاجتماع دون أن يتمكن القادة الإسرائيليون من استخلاص نتيجة مؤكدة من خلال التوليد . المتجمعة لديهم سواء تلك التي جمعها للمحادثات الإسرائيلية أو المحادثات الأمريكية، وقد كانت خدعة مايو ١٩٧٢ مقلقة على أيدي المجتمعين ومن ثم فقد انتهت فكرة دعوة الاحتياطي التي طرحها أليمازور نعمتاً شبه إجماعي بل إنه عرض اقتراحه بدعوة الاحتياطي بحفظ بالغ ولقد أوضح ديان هذا المؤلف في تصريح له في ٦ أكتوبر ١٩٧٢ بعد انتهاء الحرب حيث لال بالحرف الواحد "عندما اجتمعنا يوم الجمعة لم يكن يعتقد أحد بهذا الحرب ستقرب ، إلني لم أكن وهدى الذي أعتقد بذلك ولكني لم أسمع أحد يقول في الحرب على وشك أن تتدلع . ولقد كان ما قاله ديان بالفعل صحيحاً إذ أن كل ما طلبه أليمازور هو أن تتخذ بعض الإجراءات الاحتياطية ولم يتطرح أحد على ما طلبه ولكن ما شغل ملير ووزراءه المقربين في هذه القيلة هو محاولة تفسير عملية ترحيل عائلات الخبراء السوفيت في مصر وسوريا في القيلة السابقة ومدى ما يمكن أن تطرحه من آثار سلبية على العلاقات المصرية السوفيتية حيث لم يتصور أحد منهم أن الأمر مجرد خدعة من جانب مصر وسوريا .

وربما يكون مفيداً أن أورد هذه الواقعة المهمة التي كانت طرفاً أساسياً فيها .. ففي مساء يوم الخميس ٤ أكتوبر طلب منى اللواء عن الجيش مختار المتحدث العسكري الرسمي أن يكتب رداً عاجلاً تنشر في الأهرام "بعد الجمعة ٥ أكتوبر" باسم المحرر العسكري للأهرام لتلقى ماورد في تصريحات دافيد أليمازور ورئيس الأركان الإسرائيلي عن وجود مواكب مصرية للهجوم وقوة إسرائيل بنراعتها الطويلة على إجهاس هذه لقوليا وتلقين مصر دوراً قاسياً وأسرع بإعداد الرد الذي وفق عليه المشير أحمد اسماعيل على وتوجهت به إلى الأستاذ محمد صمين هيكال رئيس تحرير الأهرام الذي وفق على نشره في الصفحة الأولى وتقرر لأول مرة عن المحرر العسكري للأهرام

ليمنحه لي بعد أن رفض الرقيب العسكري نزول الأهرام لسوق بعد طبع أكثر من ٥ آلاف سمحه لأن اللورد كان يلقى فقط ومجرداً من صفحة المحرور العسكري للأهرام التي كانت ضرورية لتأكيد مصداقية اللورد والحداد .. ولحقه الآثار الضخمة التي كانت قد وجدت عن خطأ غير مقصود وقت فيه وكالة الأنباء الشرق الأوسط المصرية عندما ورجع حبرا عن وضع درجة الاعتماد وكان من المفترض أن يكون توريثها محدودا على كبار المسؤولين فقط ولكن أحد المسؤولين بالوكالة أشار للحبر الخطير إلى كل أنحاء الدنيا عن غير قصد ١

ولم يكن بمضي عدة ساعات على مغادرة النوروا لسنزل جولدا ماتير وغلوردهم للنوم والراحة حتى تبديت كل هذه القشاة التي طمعت أعينهم وشلت تفكيرهم ففى الساعة الرابعة من صباح يوم السبت انطلقت أجهزة القنصت الأمريكية والإسرائيلية معاً ما يشير شكلاً ٢ بقول الجدول إلى استعدلات مصر القنبلة للحرب ولوليت ديبيل وأيمازور من نومهما ودعيا لاجتماع طارئة في قيادة الجيش الإسرائيلي والتي انتهى الاجتماع في النتيجة صلباً وكانت النتيجة التي تم التوصل إليها في الحرب وقعة لاحالة ولكن متى؟ هذا هو السؤال الذي أجروا عن الإجابة عنه وكانت تقاريرهم لن تطلقه الأولى في شهر أيلول ٢٨ ساعة.

وخرج ديبيل وأيمازور من اجتماع قيادة الجيش الإسرائيلي إلى منزل جولدا ماتير ليلتأها بالنتيجة التي تم التوصل إليها واستراح أيمازور في يقوم الطيران الإسرائيلي بتوجيه ضربة جوية حافلة فجر الأحد ولكن ديبيل وماتير عارضاً الفكرة تماماً كان رصدهما قائماً على أساس أن الضربة الجوية القاطعة في عام ١٩٦٧ أخذت الطيران المصري على غرة بينما الطائرات المصرية نائمة فوق مدرجات مطاراتها العربية أما الآن في هذه الضربة الجوية سوف تكون ضربة قاتلة ضررها أكثر من نعمها إذ أنها يمكن أن تهرم إسرائيل عند اللحظة الأولى لبداية الحرب إذا صاع كل طيرانها في الضربة الجوية الإسرائيلية ستكون هذه المرة منذ عهد مستخدم تماماً تحمية شبكة صواريخ رحيبة وإن أقصى ما يمكن أن تحققة مثل هذه الضربة المعتمدة هي خلخلة

الاستعدادات المصرية وتلجئها بضعة ساعات لكن الضمير الإسرائيلي سوف تكون عالية ورعيه وربما حاجت مهينة*.

وبعد أن أوصحت جولدا مائير لئان وكيمتور وجهة نظرها حول استحقاق نجاح صلبة الإجهاد الجوية الإسرائيلية دخل إلى جولدا مائير من يهمن في لئانها بس كيبيت كيتنج" السفير الأمريكي على الباب وأنه يطلب مقابلة رئيسة الوزراء لأمر عاجل، وقبل أن تجيب مائير على محتنها وتطلي لئاناً السفير الأمريكي بالندوم أعطت جولدا مائير لئان وكيمتور موافقة مكتوبة على تصة الاحتياطي الإسرائيلي فوراً

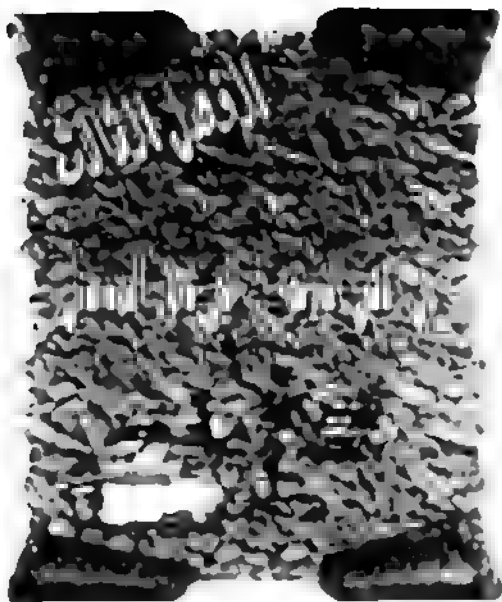
وعندما دخل السفير الأمريكي على جولدا مائير وجدها فتأجب نلبلاً على لئان لم تتم يوماً كالمها هذه القلة ومن ثم قد بارها كيتنج قلاً؛ محيرة يمينتي وأن كلكه قطعت الطريق من بيتي إلى ها فتأجب لئانهم في وانطس - في صوء رؤية والعبية لميرن لقوى في المنطقة يرون إذا أحجست إسرائيل عن توجيه أية صربة خطفة ومن ثم نتج للعرب أن يكونوا البائس بالعزل فحينئذ سوف تكون لدى إسرائيل الذريعة التي لفتها طوال السنوات الماضية لتعطيل القوة العسكرية العربية مرة أخرى ثم أن كلكه سوف يساعد الولايات المتحدة على أن تقدم لإسرائيل كل ما تحتج إليه من حور دون حرج ولستلورد السفير الأمريكي قلاً؛ "مينتي رئيسة الوزراء . بالله عليك لئان ذلك بالصط ما تقريته وتمتطينه ٦٦، وردت مائير بنيرة وثقة قلة. أجل بالسفير أعظم وأقوى صديق لنا ولكن ممي رسالة لريد إيلاشها للعرب وفي رأيي أن الدكتور هنري كيسنجر بحسن صنماً لو تفصل مشكوراً بإبلاغ محتونها لهم وطمانهم بأن إسرائيل لا تشرع في توجيه أية صربة وكلكه فلا يجب أن يثقلوا".

وحمل السفير الأمريكي الرسالة من جولدا مائير وخرج لسوء لكى يبرق لحكومته بنتيجة اجتماعه مع رئيسة وزراء إسرائيل، ونظراً لفرق التوقيت بين الشرق الأوسط وأمريك فلقد كنى الصباح المبكر من يوم السبت ٦ أكتوبر يوافق ثلثا منتصف ليلة الجمعة ٥ أكتوبر في واشنطن وهكذا فإن الرسالة وصلت إلى واشنطن بينما كيسنجر نام عندما ليضطوه لم يكن مكتوباً ثلثاً بالمرة قد قرأ قبل تومعه تقريراً أخيراً من

البنجور الأمريكي يستبعد فيه نشوب الحروب ومن ثم فقد أصدر تعليماته بإبلاغ
محمى الرسالة الإسرائيلية إلى السخراء العرب وعاد إلى فراشه مرة أخرى بينما
كانت شمس الصباح الساطعة تغطي كل أرجاء جزيرة سقاه التي عبر إليها في
المناء مجموعة من رجال الكوماندوز المصريين ونجحوا في العودة إلى قواعدهم
غرب القناة قبل بزوغ أول ضوء يعد أن أقصوا مهمتهم بنجاح .. تلك المهمة التي
كانت بمثابة الحلقة الأخيرة في سلسلة الاستعدادات المصرية لعملية البدء للحرب فقد
خرج رجال الكوماندوز في قطع الخراطيم الموصلة بمواسير الذهب وصنبت خرسانة
مسلحة في الأنابيب التي توصل بين مستودعات التترول في خط بارليف والخرطوم
الموجهة للقناة ولقيت كانت تدرى إسرائيل من خلالها أن تصل القناة إلى كتلة من الذهب
والجسيم عند أية محاولة مصرية للعبور.

وعندما اكتشفت إسرائيل عند الظهور ما جرى لمواسير الذهب دفعت أحد المهندسين
لمحاولة إصلاحها كانت الثغرة قد انطلقت والحرب قد بدأت ووقع المهندس
الإسرائيلي أول أسير في يد موجات العبور المصرية الأولى التي بدأت أعظم ملاحم
الحرب العسكرية في العصر الحديث وهذه حكاية أخرى.

ولكن الجذور الحقيقة تقصر أكتوبر تعود إلى ما قبل ذلك بكثير .. إلى ما قبل أكثر
من سنوات .. إلى يوم ١١ يونيو ١٩٦٧ اليوم الذي بدأت فيه الخطوة الأولى لإعادة
بناء القوات المسلحة المصرية على أسس سليمة وهي دروس اللزومة للمريزة التي لم
يكن لرجال القوات المسلحة أي ذنب فيها !



الجنود والمزور والفتاح

كانت جراح الهزيمة القلبية عام ١٩٦٧ مازالت تستنزف الدماء وللمشاعر على حد سواء ١ وكانت حالة اللامبالاة واللاحروب قد فرضت نفسها على الموقف وبدت وكأنها الأمر للواقع الذي لا فكك منه؟

وكان حلفاء الحبوب والإشفاق من محاربي المجهول إذا تمت المجزأة بعبور القناة لئلا تتحطم خط بارليف وفردة في الحساب ٢

وكان هناك شبه إجماع بين معظم الخبراء العسكريين في العالم بأن حماية العبور شبه مستحيلة إلا إذا قام المصريون بعشرات الألوف من الضحايا ٣

وسط هذا الظلام الدامس والقياس الخاطئ اتخذت مصر قرار الحرب في أكتوبر ١٩٧٣ وصنع للمقاتل المصري ملحة شجاعة وتصحية. وتم العبور للمستحيل فكان أكبر مفاجأة إستراتيجية وتكتيكية في العصر الحديث.. وسقطت كل الحواجز دفعة واحدة .. سقط حائط الخوف وسقط حائط بارليف .. وسقط حائط اليأس .. وتغير الأمر للواقع.

فهل كل ذلك الذي جرى يوم ٦ أكتوبر ٧٣ مجرد صدفة لو ضربة حظ أم أنه كان لنجاح عمل وجهه خارق مستمر على مدى ٦ سنوات منذ ١١ يوليو ١٩٦٧ وحتى ٦ أكتوبر ١٩٧٣.

إن الإجابة على مثل هذا السؤال يمكن أن نقودنا إلى سؤال آخر هو : إذا كانت دقة التخطيط وبراعة الإعداد وحسن الحشد وروعة الأداء هي عناصر النصر للمعظم، فلماذا لا نستعدها هذه الأيام في معركة إعادة البناء الاقتصادي للوطن وهي معركة لا تقل أهمية وشرقا من معركة أكتوبر الخالدة.

ولذا حللنا جنود وواقع وملاحظات ما حدث في أكتوبر ١٩٧٣ بصديق وموضوعية فإننا نقول إن الشعب المصري بأمرة عندما خرج يرفض الهزيمة في ٦ ، ١٠ يوليو ١٩٦٧، كل ذلك يضع القبة الأولى لتلك اليوم العظيم.

كان رخص اليزيمة بهذا الإصرار والتحدى من جانب الشعب رغم أن مصادرها المكنونة وأسلحتنا محطمة بمثابة الترويض الذي يمكن القيادة السياسية من أن تحطو بشجاعة في عملية إعادة بناء القوات المسلحة من الصفر تقريباً وعلى أسس عظيمة سليمة

وكل مسمود شعب مصر وإصراره على رفض الاستسلام هو الذي يمكن الأصدقاء والأشقاء من أداء دورهم المطلوب. كل على قدر طاقته - يساهم في إنجاز عملية إعادة البناء العسكري المنهاري في أقصى فترة ممكنة!

وجاءت معركة رأس رش في أول يوليو ١٩٦٧ أي بعد عشرة أيام على قرار وقف إطلاق النار لتثبت أن المسمود والتمسك بالأرض وحسن استخدام النيران من جانب قوة صغيرة من رجال الصناعة المصريين هو النموذج الذي ينبغي أن يتحدى به من الآن فصاعداً رداً على استغراتات الإسرائيليين ومحاولاتهم توسيع خطوط وقف إطلاق النار، فضلاً عن أن هذه المعركة الصغيرة أثبتت عدم تأثير دبرن اللدليات على الأفراد المحصنين في الأرض تمهيداً جدياً وفي قتال الطائرات مثل قتال المنفعة لا تؤثر إلا على فرد أو اثنين في حالة سقوطها مباشرة عليهما. كما ثبت أن للجندى الذي يملك روحاً معنوية عظيمة ويؤمّر في موقعه بمقادير يستطيع أن يكسب معركته للدفاع وأل يحدث خسائر كبيرة في العدو المهاجم .. وكانت هذه كلها عوامل هائلة في يوليو ١٩٦٧.

ثم كانت المفجأة المدهلة يوم ١٤ يونيو ١٩٦٧ عندما قطعت فوق سماء القناة ١٠ طائرات من طراز ميج ١٧ تسليحاً ١٠ طائرات أخرى على استعداد للتدخل في معركة جوية مع طائرات الميراج الإسرائيلية التي كانت تملأ استطلاعاً يومياً فوق الجبهة وشهدت المعركة وأصبحت طائرتان إسرائيليتان وتكرر الأمر في اليوم التالي : وكانت النتيجة أن فوجاً للجوية نجحت في أول صراع جوي يد معركة يونيو ١٩٦٧ أن تعتمد نفسها بنفسها وفي أسلحتها وأن تبدأ دورها بالقتال في عملية مهمة تشكيلاتها البرية.

ثم جاء الحدث الكبير في ٢١ أكتوبر عام ١٩٦٧ عندما قصفت قنصلت للصواريخ المصرية في منطقة بورسعيد البحرية المدمرة الإسرائيلية ليلات غائرتها وعلى ظهرها ٢٥٠ فرداً بحرياً إسرائيلياً، انتحلت القوات البحرية المصرية بهذه المعركة تبعاً لما في المعايير العسكرية العالمية مؤننة بقولنا عصر قنصلت الصواريخ فقد كلف هذه أول مرة في تاريخ السواك البحرية يستخدم فيها الصاروخ من لنش صمير صد سفينة حربية كبيرة، مما أدى إلى إغارة نظر شاملة في الأفكار المسادة في معاهدة العلوم العسكرية على مستوى العالم.

وأوضحت هذه المعركة الثلاث - راس العش في أول يوليو والاشتباك الجوي فوق القنطرة يومي ١٥، ١٦ يوليو وإغراق المدمرة ليلات في ٢١ أكتوبر ١٩٦٧ - أن هدف الصمود العسكري قد أصبح واقعاً ملموساً في البر والجو والبحر.

وكان هذا الصمود هو المنخل لبدء مرحلة جديدة هي مرحلة التصدي والتمرض لأي عدوان اعتباطاً من مارس ١٩٦٨، وبلغت هذه المرحلة ذروتها في التحول لأعمال اللامع للتشبيط من خلال التعامل القوية في الدار مولد في أكتوبر ١٩٦٨ ورغم أن هذه الإشارة لم تنجح في الوصول على وثائق أو أمرى ورغم تكبدنا لبعض الخسائر إلا أن هذه الإشارة على موقع حصين ليلاً وفي هدوء أحدث دعراً في صفوف القوات الإسرائيلية وأصقلت قوتنا الثقة في إمكانية قهور بقوات كبيرة والتقيام بأعمال قتل مؤثرة.

وكان بدء عمليات الإشارة ضد القنصلت القوية بمثابة بدء مرحلة جديدة لطلق عليها حرب الاستنزاف التي شهدت معاركه لاكتسب مثل معركة لسان بورثويق ومعركة الجزيرة الخضراء، ثم عملية الزعزعة ورجال خليج السويس في إطار الرد الإسرائيلي، ثم عملية جنوب قبلاح ثم معركة شحول، وصاحب كل هذه المعارك ترفد ملحوظ في حجم الصلوات الجوية الإسرائيلية ضد قوتنا بشكل عام، وصد أصخم عمل عسكري إسرائيلي إتمام حائط الصواريخ الذي تكمل بنائه لصالح يوم ٣٠ يونيو

١٩٧٠ مودناً ببدء مرحلة جديدة من مراحل المواجهة لم تعد تملك فيها إسرائيل مبررة
النزول للجوى المطلقة التي كانت تتمتع بها منذ بداية حرب يونيو ١٩٦٧
وهنا لابد من وقفة قبل أن نواصل استطلاعا ومراجعة الجذور الحقيقية لليوم المجيد
في السلام من أكتوبر ١٩٧٣.

لقد كان اكتمال بناء حائط الصواريخ المصرية هو العامل الرئيسي وراء قرار
جمال عبدالناصر بقبول المبادرة الأمريكية للحل السلمي في يوليو ١٩٧٠ والتوقيع
على اتفاق وقف النار لمدة ثلاثة شهور اعتباراً من ليلة ٨ أغسطس ١٩٧٠. ثم انتهت
فترة للشهور الثلاثة في ٨ أكتوبر ١٩٧٠ بينما كان جمال عبدالناصر في قمة الله.

وكان قبول مصر في هذا الوقت بالمبادرة الأمريكية هو نقطة غليدية الحقيقة
للتحرك على طريق الحل السلمي من أرضية التهور بالقدرة على التصدي والمجابهة
والاقترب من القدرة على الفخول في مرحلة المواجهة.

ورغم أن هذه المبادرة لم يكتب لها النجاح ولم تحقق شيئاً ملموساً سوى تكريس
وقف إطلاق النار إلا أن تداعيات الشرقة في حرب أكتوبر ١٩٧٣ غيرت كثيراً من
للموازن والمفاهيم، وأعاد من جديد إحياء مناخ فتوحه نحو السلام من أرضية أكثر
قوة وأكثر معة من أرضية القبول بالمبادرة الأمريكية لأن حرب أكتوبر لم تثبت فقط
القدرة على التصدي والمجابهة وإنما أثبتت القدرة على الانتصار.

وإن غاب حرب أكتوبر ١٩٧٣ وما صنعته من عزة وكرامة هي التي مكنت من
إعادة إحياء جهود السلام والوصول في النهاية إلى تفاهتي كامب ديفيد، التين لملان
استكمالاً لجهود مفاوضات بدأت عام ١٩٧٠ مع اختلاف الأسلوب واختلاف الظروف
واختلاف الموازن.

طريق السلام إذن - لكي لا يواصل أحد المزاولة عليه - بدأ في عهد عبدالناصر
بقبول المبادرة الأمريكية بعد استكمال حائط الصواريخ، وانجزه ثور السادات بقراره
تاريخي في أكتوبر ١٩٧٣ وبعبارته الجريئة بزيارة القدس في نوفمبر ١٩٧٧ والتي

أدت في النهاية إلى توقيع اتفاقيات السلام واستردت مصر بموجبها سيناء، ولم يكن هناك في ظل أي وطن أي وطني أن لنا وراء الحشد والإعداد والسمود والتصدي والعبور والحرب غير استردناها.

وبعد مرة أخرى إلى سياق الأحداث بترتيبها الزمني والموضوعي ونقول لي جانت للصوريخ الذي اكتمل بنجاح في ٣٠ يونيو ١٩٧٠، وشجع مصر لأول مرة منذ عام ١٩٦٧ على القبول عائلاً وصراخاً بالسير في طريق الحل حتى لو كان حلاً أمريكياً، ثم يكسب سوى ملزمة عظيمة من ملحق بطولية وبصحية الإنسان المصري وثبات قدرته وعزمته على تخطي الصعاب مهما كانت ؟

لقد بلت مصر حائط الصوريخ الرهيب في أقل من عام تحت ظروف بالغة الصعوبة والتعقيد. ولقد تم إنباء تحت القصف الجوي للمركز للطيران الإسرائيلي الذي كان يملح في سماء مصر بحرية منذ يوليو ١٩٦٩ بعد أن نجح في فتح نفرة واسعة في وسط الدفاع الجوي ما بين بورسعيد شمالاً والإسماعيلية جنوباً، وأصبح في استطاعته أن يعبر بطيراته خلال هذه النفرة إلى قلب الدلتا، فيتمكن بعد ذلك من تكثيف غاراته في العمق ويهدم نقاطاً الجوية ويوجه غاراته على الأهداف المدنية.

وكانت الفترة من يناير ١٩٧٠ وحتى ٣٠ يونيو من نفس العام التي شهدت بناء هذا الحائط الرهيب هي الدليل الحي الصالح على مدى حمود الشعب المصري، وهي المنخل الصحيح للتفكير الجاد في القبول بإمكانية العمل من خلال خطة متكاملة لتعدي نظرية الأمن الإسرائيلي في مسرح العمليات، كما أنها كانت المدخل الصحيح للتفكير الواقعي في الخروج على طريق السلام من أرضية الإحسان بالاستعانة للنقطة ونجاور وطأة الهريمة.

وبدعية التفكير الجاد هي تحدى نظرية الأمن الإسرائيلي من مسرح العمليات بدأ التحق المصري بعمل أول نهال كسي يظهر المستحيل ويتطلب على الصعاب ويحقق النجاح المشهود للحمية الهجومية الواسعة التي رزقت للعالم يوم السادس من أكتوبر

عام ١٩٧٣

وكانت مشاكل العبور على السكة مواجهة شاسعة ما بين القنطرة شمالاً وحتى بورتو هيق جنوباً عبر مائع مائي فريد تحتاج إلى خيال فريد من نوعه يتجاوز الحلول التقليدية ويرتقى إلى مستوى المحدث ويوظف الإمكانيات المتاحة لدى خدمة الهدف المطلوب بكل قدر ممكن من الضاغط والتكاليف

ولكى نذكر حجم الإنجاز الضخم لحل وجهه وتصحية الإنسان المصري ينبغي أن نستعيد مرة أخرى شريط الذكريات لنرى صورة التحديات التي كانت مثقلة أمامنا، وعظمة الإصرار التي كهرت هذا التحدي وذلك المستحيل.

نحن أمام مائع مائي صناعي عرضه بتلويح ما بين ١٨٠ إلى ٢٠٠ متر له أجذاب حادة المثل يكسوها ديش وحجارة مما يجعل من الصعب على أية دبابة برمائية أن تعبره.

وبعد أمام سد ترابي على الضفة الشرقية للقناة بلغ ارتفاعه نحو ٢٠ متراً ويستحيل على أية مركبة برمائية أن تعبر من غرب القناة إلى شرقها إلا بعد إزالة هذا السد.

وعلى امتداد المسار الترابي أهم خط بارليف الذي يضم ٢٥ نقطة لوية لتلويح المسافة بين كل منها ما بين كيلو متر إلى ٥ كيلو مترات حسب أهمية المواجهة، وهذه النقطة ثم دفنها في الأرض وتقوية مقوفاً لتتصل نصف المنخفضة الثقيلة كما أعيطت بحقول ألغام وأسلاك كثيفة وزودت بمزاحل تستطيع أن تغطي سطح القناة بديران كثيفة.

ولفوق هذا وذلك كان لدى الإسرائيليين سلاح قنيران المشدعة التي جهروها لإحراق كل من يحاول عبور القناة من خلال مستودعات ضخمة لوصولها كأيديها إلى سطح الماء

وجاء الثامن من أكتوبر وإذا بكل هذه المشاكل والصعاب التي دفعت أعظم الخبراء العسكريين في العالم إلى الاعتقاد باستحالة العبور تتهاوى كأوراق الخريف.

لأمام جملته المقتل المصري الذي نجح في فتح الثغرات في السائر الترابي باستخدام أسلوب التجريف بالسيارات والجور بالموجات الأولى في تولوب من المخطط بأكبر من المشاة تؤمنهم مظلة جوية سيقتهم في توجيه المصرية الأولى قواعد ومراكز القيادة الإمبريالية في سفهاء محدثة للشلل والأربكة المقلوب، ثم يذاه الكبارى لمهور الدبابات بهيما طلائع المهندسين تزول حقول الأكلام وكثائب الصاعقة تمتد مواسير اللهب وتضرب خلف الخطوط تحت غلالة كثيفة ومتصلة من تورق المدفعية.. ولم تكن قد مضت ٢٤ ساعة حتى كان خط بارليف الرعب قد سقط في أيدينا ورفرفت أعلام مصر فوق الضفة الشرقية وتمركزت فرق مشاة مصرية برؤوس كبارى ترلوح عصفها بين ٨ و ١٠ كيلو مترات.

لقد كانت بحق سيفونية رائعة اشترك فيها ١٠٠ ألف مقاتل كان لكل واحد منهم دوره، وكانت دليلاً حياً على قدرة الإنجاز، لذا تم التخطيط الجيد والإعداد الكافي والتجهيز النفسي والسطوي وتغلا القرار الصريح في الوقت الصحيح تحت مظلة المفاجأة واستخدام أساليب الدفاع العنبري والتكنيكي والامبراني.

ويبقى أن نقول : إن حرب أكتوبر كشفت لنا عن كثير من أخطاء القوة التي نهملها أحياناً عن جهل أو عن جهالة.

كشفت حرب أكتوبر إثباتاً لمصدقية الوجود العربي كأمة واحدة نستطيع أن نصنع المعجزات إذا تحدثت إرادتها.

وكانت حرب أكتوبر تأكيداً لمصدقية الرصيد الضخم لإمكانيات العمل العربي الموحد لذا أحسن استخدام وتوظيف هذه الإمكانيات بنفس درجة استخدام سلاح البترول

وكانت حرب أكتوبر سبباً لإثبات قدرة الإنسان المصري والإسلي العربي على صنع المستحيل بدءاً من شجاعة فتح القرو ومروراً بعظمة التجهيز والتشدد والإعداد ووصولاً إلى روعة الأداء والتضحية.

وكانت جنود حرب أكتوبر حزناً وألماً مكتوماً في المحور بسبب هزيمة لم يكن للمقاتل المصري ممثلواً عليها وكل من محروم الحزن والألم مخروجاً بحسب الأثر من ولوطى هو قوة البسط التي تركت على مدى ٦ سنوات .. وجاءت لحظة للتعبير العاصية يوم السادس من أكتوبر فزبح كل البطار المكتوم والمتراكم

بالحرب استردت مصر ثقتها بنفسها واستردت اعتبارها أمام العالم وأمام أمته وبالغرب حققت مصر هدفها في تحرير أرضها واستعادة حقوقها من خلال سلام عادل تأمل أن يحققه نصراً لاكتفائها بالغرب.

ولم تكن الحرب هدفاً لمجرد الغرب .. ولكن عظمتها لها كانت حرباً من أجل السلام !

ولابد أن نذكر بكل الإجلال والوقار رجال قواتنا المسلحة الذين أتركوا منذ اللحظة الأولى أن ما أهد بالقوة في يسترد بفخر القوة. ولنا إذا لم يبدأ نص بالقتال لتحرير ترابنا الوطني فإن إسرائيل سوف تبدأ هي بالقتال لتكريس احتلالها وتحويل حالة للتاسم وللحرب إلى سلام الأمر فواقع.

لابد أن نذكر دور قادة القوات المسلحة الذين تقاضوا على حمل المسؤولية منذ ١٠ يوليو ١٩٦٧ وحتى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ وإليهم يرجع الفضل في استعادة للمقاتلين لثقتهم في أنفسهم وفتحهم في أنفسهم. وتذكر هنا قول المشير أحمد إسماعيل في -رحمة الله- "إن المقاتل إذا لم يكن وثقاً من نفسه على يحميه أي سلاح وإذا كان وثقاً فإن أي سلاح في يده يحميه".

لم يكن الطريق على القتال مجرد نزعة وإنما كان تدريباً كثيفاً مكثفت خلاله بحور من العرق وبعض تطرفت الدم. لأن التدريب كل على سلاحات شبيهة بمساحة للمواجهة المستمرة وبواسطة أسلحة القتال الحقيقية وعلى سبيل المثال فإن تدريبات العبور التي جرت في منطقة الحفلاطية جرى التجهيز لها لكي تكون معقدة تماماً لمطابقة العبور الحقيقية سواء من ناحية قوة تيار المياه إلى عمق المجرى أو ارتفاع الساتر الترابي

كان الحقل المصري في أوجه تفتته وكانت البنادق تدولى لصنع ابتكارات جديدة لا
يخطر على بقل أحد من أجل تفنيد كل مصاعب العبور . سواء فيما يتعلق بموحيه
الكبارى والقوارب المطاطية أو ما يتعلق بالمشكلة الحويصة للسائر القربى والتي كان
بعض الحبراء الأجانب قد أشاروا باستحالة التغلب عليها بحبر فاجوء إلى التنبه
للذرية

كان الحقل المصري هو الذى توصل إلى سحر المضخات المائية للقدرة على فتح
الثغرات في السور القربى والتي استحال أمام كل أنواع المدفعية والمعدات.
في ذكرى أكتوبر المجيدة لابد أن نستعيد مع أنصا بعض ملامح الصورة الرائعة
لمهمة العبور، والتي بدأت بالفعل قبل ١٨ ساعة من ساعة الصفر نفسها

مساء ٥ أكتوبر شملت دوريات الاستطلاع لكى تبنى نظرة أخيرة على مسرح
العمليات ولتتعرف على أرب ما استجد من استحالات عند النقط الحصينة للمنشأة
على طول خط هرفيف بامتداد القناة كلها.. وجاءت تقارير هذه الدوريات تؤكد صدق
المعلومات المتوفرة لدى جهاز المخابرات الحربية والاستطلاع.

في الثانية و ٥ دقائق قطع رعبو القاهرة ليرسالة فديع الليل الأول عن الحرب
مشيراً إلى قيام طائرات العدو بنصف موقعا، بينما الحقيقة لنا نحن الذين كنا قد بدأنا
للعلمية الكبرى في هذه اللحظة . أكثر من كفى مدفع قبل بدأت نصفها لمواقع العدو
عندما عبرت سماء القناة مائتان وشافى طائرات تشكل كرم القوة الجوية للمكاملة
بالتصربة للجوية الأولى.

وفي دلت اللحظة كان أكثر من شاذية آلاف مقاتل قد بدعوا النزول إلى مياه القناة
واعتلاء القوارب المطاطية والتحرك تحت إهبب النيران نحو الشاطئ الشرقى للقناة
والتحرك تحت إهبب النيران بالمقاومة لرهبة من جانب الإسرائيليين داخل النقط
الحصينة.

ثم بدأت عمليات نصب الكبارى بواسطة سلاح المهندسين الذى استشهد نائب مديره
اللواء أحمد حمدى فى الساعة الأولى من الحرب.

وبما كانت العمليات تجري على الكبارى متجهة نحو شمال سيناء بعد أن تم فتح
القنوات فى السمرات القري فى كانت القوات البحرية المصرية تتطلق من قواعدها فى
البحر الأبيض المتوسط وفى البحر الأحمر لضرب الأهداف الإسرائيلية المحددة بـدرج
فى حين تولت طائرات الفوكونتر أسحب المهام فى إزلة القوات الخاصة من رجال
الصاعقة فى عمق سيناء وخلف الخطوط الأمامية للإسرائيليين لتسبب خطوط الإمداد
وعرقلة الهجمات المصعدة. ولإغلاق مركز العمليات الرئيسى بأية تحركات فى العمق
وعندما انتصف ظهر يوم الأحد ٧ أكتوبر عام ١٩٧٢ كان الصور قد أصبح حافلة
للتفعل لشك، وكانت القوات المسلحة المصرية قد استطاعت بعمل بطولى مجيد فى
تؤكد وجودها على امتداد الشاطئ الشرقى لقناة السويس بـ٥ فرق كاملة تولت على
الفرور ودون إعطاء مهمة تتميز خط بارليف والنقط الحصينة المقترنة على امتدادها.

ولم يكن يوم الصور يعنى استخراجه شهاده ميلاد جديدة لأمتنا العربية المحسب، وإنما
كان أيضاً بمثابة بداية الإفكاك من لعنة القيدية التى دامت نحو ٦ سنوات و ١ شهر
وصنفا خلالها عرقلت عديدة تحت وطأة الإحسان المهيمن بالهزيمة فى يونيو ١٩٦٧.

كان الصور إعلاناً واضحاً وصريحاً بسقوط عرافة الجسد الإسرائيلى الذى لا يقهر
وبروز الحقيقة التاريخية التى طمسها الهزيمة وهى أن الجندي المصري يعتبر من
أشجع جنود العالم وأكثرهم جسارة وصلابة وصيراً وقرة على ظهر المستعزل.

وكان العبور تنكداً لأهمية الإعداد والتخطيط تحت كسى درجات السرية بعكس
ماحدث عام ١٩٦٧ عندما توجهنا إلى ساحة القتال دون إعداد لو تخطيط لو شوية لو
خناص على المصريين الكتيكى والإسرائيلىين .

ولكن الأهم من ذلك كله أن هذا النجاح المذهل فى تنفيذ عملية العبور هو لدى مهد
الأجراء للعمل للمجلس الجاد من أجل حل أزمة الشرق الأوسط.

ومهما اختلفت الآراء في الوسائل والأساليب التي جرى إتباعها لاستثمار نتائج حرب أكتوبر ، إلا أن الحقيقة التي لا يمكن أن تكون محل خلاف من أحد هي أن العبور كان خطأ فاصلاً بين تزيينين.

لقد فتى لجمود وزالت حالة اللاسلم وللحرب المقيضة. واستعد العرب احدهم أمام العالم بقوة تقدر على الحركة وتستطيع القتال وتملك الرغبة الانتماء وسلمت إلى الأبد حجة إسرائيل الواهية حول الحدود الآمنة.

في ذكرى أكتوبر لابد أن نستعد مع أنفسنا بعض ملامح الإعداد والتخطيط الدقيق لربما نستطيع أن نستلهم روح أكتوبر في الإعداد والتخطيط الدقيق المطلوب لعديد من مشاكلنا التي تكثرت في حجمها أمام حجم التحدي الكبير الذي كنا نواجهه قبل حرب أكتوبر.

إن اختيار يوم السادس من أكتوبر المعتبر من رمضان لم يكن عبثاً عشوائياً وإنما كان علماً ودراسة شملت حسابات فلكية ودراسات بحرية واعتبارات نفسية. كان علماء الفلك مطالبين بتحديد فصل ليلة يبدأ فيها القمر نموه مع غروب الظلام ثم يغيب في آخر الليل.

وكان علماء البحار المتمصرون في دراسة التيارات المائية مطالبين بحساب أفضل أيام السنة التي تصل فيها سرعة التيار إلى الدرجة التي تتناسب وإمكانية التجديف بالقوارب المطاطية إلى الشرق في أسرع وقت ممكن.

ثم كانت مهمة خبراء المدافع الفيتكونكي والاستراتيجي في تصفيل العدو بعداً عن ذلك اليوم الذي أجمعت عليه دراست طوم الفلك والبصر والنفس وهو يوم السادس من أكتوبر المعتبر من رمضان الموافق ليوم ذكرى أول معركة في الإسلام وهي معركة بدر الكبرى.

والمستشهد هنا بما قاله الجنرال الإسرائيلي تاركيس نائب القائد العام للجيش الإسرائيلي (مسياء) في ثالث أيام الحرب: "لا بد أن تشهد المصريين بصن تخطيطهم .. لقد كانت

خطهم دقيقة وكان يتوقع لها أكثر دقة. لقد حاولنا بكل جهننا عرقلة عملية العبور
ومددها بالكرة ووردها على أعقابها .. لكننا ما كنا نتمثل سلحتنا إلا وقد حققت لهم
نتائجنا كنا أعمسنا عيوننا وقصفاها فإننا هم قد انتقلوا تحت قنار من غرب القبة
إلى شرقها وفاجئونا صباح يوم السابع من أكتوبر بصن قرق كاملة امام على
السلطان الشرفى لقاعة السويس*.

ولمستشهد أيضاً بما قاله قائد الجبهة الجنوبية لاجنرال جويس . لقد كانوا يتقدمون
موجلت بعد موجات .. كنا نطلق قنار عليهم ويتقدمون .. كنا نحمل ما حولهم جديماً
ويتقدمون .. كان لوى القنار قائماً بلوم الدم وهم يتقدمون*.

أى إعمار هذا الذى جعل المتفطرسين من قادة إسرائيل المغتوليين بنصرهم
عام ١٩٦٧ يمزقون - اسطرافاً - بحملة التخطيط وجسارة القنار ..

كانوا يعيشون وهم الجيش الذى لا يمكن أن يتعرض لهزيمة مهما كانت الظروف،
والقادر على الصمود مهما كانت التحديات لأنه أقوى من كل الجيوش العربية مجتمعة
وتدبه القدرة على هزيمتها واحد بعد واحد.

وكانوا يعيشون وهم القدرة على استمرار استلكهم رماح المبادرة والقدرة على نقل
ممرح للعمليات إلى الأرض العربية المحيطة بإسرائيل.

ولكن فوجئوا بما لم يكن فى حسابهم على الإطلاق !

فوجئت إسرائيل بهجوم على طول خط المواجهة فكثفت الحيرة والمجز من تحديد
مكان الضربة المضادة التي اعتكفت توجيهها لأجهاض أى هجوم عربى ضدها.

وخرجت إسرائيل بدعوة للمقاتل المصرى وجسارة الاندفاع فى عمقها للعبور وسط
لنار والنجم نحو المواقع الحصينة لاقتحامها بالجند قبل السلاح.

وخرجت إسرائيل يمارد جديد يتمثل فى القوات الجوية التي استطاعت فى صربتها
الأولى لى نجم من سيناء منطقة معروقة تملأ عن إسرائيل لايعرف أحد فى قيادة

الجيش الإسرائيلي في "تساهل" ماذا يدور فيها على مدى الساعات الخمسة التي تمت خلالها عملية العبور.

وكان ذلك يشكل في مجموعه قسسى والسبب مفاجأة تعرضت لها إسرائيل في تاريخها وأدت إلى تكتلى ولجهة الخروز التي كانت تقابلها بها أمام العالم ولما نطلب العرب والسجدة من أمريكا حتى لا تتراجه خطر القضية من الهزيمة الكسمة

وكان ذلك هو الذى غير مسار الحرب وقتها ! وإن لم يمس نتائجها الأساسية والعاصمة التي تحققت مع عملية العبور لصالح إسرائيل.

لقد أزلنا للهزيمة ومسحوا منهم دعاء النصر !

وكذا نحن الذين تعلمنا والتمسنا وكانوا هم الذين تفهروا وتراجعوا !

في ذكرى أكتوبر لابد أن نستعيد مع أنفسنا بعض ملامح التضامن العربى الذى أعاد لك احترام العالم ووضعنا - يومها - في مصاف القوى الدولية الكبرى.

وهذا للتضامن العربى لم ينشأ - يومها - من فراغ وإنما كان نتاج استراتيجى واضحة المعالم محددة الأهداف.

كان هناك تنسيق وتخطيط سياسى وعسكرى مشترك بين مصر وسوريا على أعلى المستويات وعلى أكبر قدر من السرية والكمائن.

وكان هناك تنسيق سياسى مسبق مع معظم الدول العربية وفى مقدمتها الدول البترولية التي لم تتردد لحظة عن استخدام سلاح البترول عندما حان الوقت للملائم لاستخدامه.

وإذا استشرنا بعض المواقف العربية غير المسخولة - قبل حرب أكتوبر - فلنما يكشف على الفور أننا كنا - يومها - أمة على مستوى المستقبل وعلى مستوى التحدى فقد غاب الشك وحل محله ثقة مطلقة فى الأهداف والرسائل التي ستقوم بها الطبقة العاملة فى مصر وسوريا وانضمت أزمة عدم التصديق التي كانت بين الناتج السلبية للهزيمة يونيو ١٩٦٧.

وعندما دارت عجلة الحرب وظهرت ملامح المعجزة وتناكبت حقبة العبور لم يسمع أحد في الأمة العربية صوتاً لأحد من المرابدين الذين يتكلمون ولا يفتعلون ويتكلمون فيما لا يعرفون.

ومن قلب هذه الأرضية العربية المتصلكة بدأ دور في عجلة الحل السياسية في إطار معاهيم ومستندات جديدة كل محتماً على إسرائيل أن تقبل بها ولي ترسخ !

وعلى مدى ١٦ عاماً متصلة واسات مصر جنى ثمار حرب أكتوبر، والتي كان آخرها استعادة طابا

لم يكن انسحاب إسرائيل في إطار اتفاقية فك الاشتباك إلا تمهيداً عن مفاوضات القوي التي انتهت بحرب أكتوبر.

ولم يكن انسحاب إسرائيل من سيناء في إطار اتفاقية السلام إلا تمهيداً عن إدراك إسرائيل للثمن الباهظ الذي دفعته في حرب أكتوبر.

ولم يكن القبول - طواعية - بقرار التحكم بقلبان طابا إلا تمهيداً عن الرغبة في عدم السماح بتكرار الزلزال المريع الذي هز أرجاء إسرائيل كلها من أجل شريط ضيق من الأرض أكدت كل الوثائق والمستندات التاريخية عدم أحقيتهم فيه.

وقد كان بالإمكان أن تجني الأطراف العربية الأخرى ثماراً مماثلة للثمار التي جنتها مصر بفضل حرب أكتوبر.

ولكن ملامبات كثيرة وتناقضات عديدة والصوراً يتصل بمشواته الجميع أدت إلى انحراف العقد العربي ١٠ سنوات متصلة تقريباً كانت نتيجة مبررة على الجميع بغير استثناء، ولا أريد تكرارها لكن لا شكاً جراحاً قديمة نض في عيها الآن !

وأحسب أننا اليوم قد نجحنا في تصحيح ما وقع من أخطاء، وبدلاً من جند مسيرة عمل وتصل من مشركه يعود مصر إلى موقعها الطبيعي.

قد انطعت نيران حرب الخليج وخرج العراق منها سالماً منتصراً !

وبدأت تظهر في الأفق إمكانات -ولو ضئيلة- لنجاح الجهد العربي في احتواء الأزمة اللبنانية.

ومازالت تتواصل -للعلم فقط- على التوالي - أعمال البطولة والفداء من شعب الانتفاضة لدى يتيى أن يحصل على كل أنواع الدعم والتأييد من المعلم العربي ولدت أبلغ إداة كانت أن الانتفاضة هي الثورة العربية الوحيدة -معد عام ١٩٧٣ وحتى الآن- لدى جسد روح أكتوبر جسداً حياً.

وعلى أن يحى الانتفاضة وشعبها من الانكسار لكي تتواصل ثورتهم على قبول المطالبات وتلايم التضرعات.

ولنتذكر جيداً أن السلام لا يصنعه القوت الصنة وحدها.

وقد حصلت مصر على أرضها وسلامها بدماء شهدائها في ٦ أكتوبر !

وموف يحصل الفلسطينيون على الأرض والسلام بدماء شهداء الانتفاضة ولكن بشرط أن يتواصل العمل دون راس أو ملل.

سيناء المصرية كاملة

مع حلول صباح يوم الاثنين ٨ أكتوبر بدأت العرب تأخذ شكلاً جديداً وأبعاداً جديدة إذ لم يعد هناك أدنى شك في السيطرة المصرية على الشاطئ الشرقي للقناة ونجاح القوت المصرية في تثبيت رموس قسوطي المتقدمة إلى عمق وحصل في بعض القناعات إلى ١٢ كيلو متراً.

وعلى أن لا يمتدحز تلك زمام القيادة فقد انطلقت في الساعة ٥ دقائق صباحاً سبعة كبيرة من الطائرات المصرية هاجمت المواقع الإسرائيلية في عمق سيناء استهدفت في هجومها مطروى المايك وبيروثانا حيث تمكنت من تدمير جميع الممرات والملاجئ ومباني الصبيل وغبار الجنود وتحول المطران إلى كومة من الرمال المحترق واضطرت إسرائيل لزام علف الهجوم إلى الاعتراف بتفقه وإعلان إغلاق المطربين تماماً

و عندما كانت الطائرات المصرية فوق مطاري القايز وبيرتمادا كل ما عليهم من طائرات ومعدات كانت مجموعة أخرى من الطائرات المصرية نصف نصف بالغ وسركر شديد مركز القيادة والتوجيه والتشوشة والإعقة في أم مرجم وأم حشيب اللذين كان الإسراييليون يحاولون يشق الوسائط لإعادة تشغيلها بعد الصدمة للجوية الأولى في الحرب، وقد صانعت توقعت الهجوم المصري على أم مرجم وأم حشيب أن مجموعة كبيرة من المهندسين والتقنيين والعمال الإسراييليين كانوا قد بدأوا يترجم محاولة الإصلاح وتشفيل هذين المركزين قتل معظمهم وجرح البعض الآخر وظل أم مرجم وأم حشيب معطلين تماماً حتى إقرار وقف إطلاق النار وانتهاء الحرب

وقد حاولت الطائرات الإسراييلية تصدى طائرات المصرية في طريق عودتها ودرت معركة جوية عسرة الإسراييلون فيها عدداً من الطائرات وعلت جميع للطائرات المصرية إلى قواعدا سالمة عدا ٤ طائرات، وكانت هذه أكبر طلعة جوية منذ طلعة العبور الأولى.

ولم يكن قرار استئصال امتلاك ومهام المبادأة الذي اتخذته القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية في ثالث أيام الحرب مقصوداً على النشاط الجوي فقط وإنما شمل كذلك بداية أول هجوم بري منظم للقوات المصرية شرق القناة لاكتساب مزيد من الأراضي ولانضباط كفضل موقع لرموس الكيلوي التي سوف يتم تثبيت تقدم القوات المصرية عندها في الضفة النجمية

ولهذا فقد الساعة صباح يوم الاثنين ٨ أكتوبر بدأ هجوم مصري واسع على معورين رئيسيين أولهما في اتجاه المحور الأوسط وقامت به قوات الفرقة ١٦ مشاة بقيادة اللواء عبد رب النبي حافظ بينما تولت الفرقة السابعة مشاة بقيادة اللواء أحمد بدوي مهمة تأمين الجانب الأيمن لهجوم المحور الثاني باتجاه ملاء وبولف العرفه الثانية مشاة بقيادة اللواء حسن أبو سعدة تأمين الجانب الأيسر لهجوم المحور الأوسط. وقد استطاع الهجوم المصري على هذين المحورين أن يزيد من لوتياك القيادة الإسراييلية التي كانت لا تزال حائرة في تفسير أهداف اتجاهات الهجوم المصري رغم

مرور ثلاثة أيام على بدء القتال، وخلال تقدم الفرقة ١٩ مشاة في اتجاه متلا حلات في معارك عنيفة مع مناورات القوات الإسرائيلية التي تم دعمها لمشاة القوات المصرية ومحاولات وقف تقدمها وإجبارها إما على التوقف خفياً أو الانحراف يميناً أو يساراً للفرق في كسب حقل القلم الدبابات التي ألتصتها القوات الإسرائيلية، وهو نمط الأسلوب الذي تتبعته القوات الإسرائيلية في مواجهة الهجوم المصري على المحور الأوسط، ولكن دور جدوى قد فشلت محاولة ليقب التقدّم المصري على المحورين وخسرت إسرائيل في هذه المعارك ٤٨ دبابة، ١٩ عربة مصفحة، ٤٥ أسيراً، مئات من القتلى والجرحى.

ومن المؤكد أن نتائج هذه المعارك الضارية في ميناء كان يتم نيلها أولاً بأول إلى رئاسة الأركان الإسرائيلية في تساهل وهو ليساعد على زيادة عدم الأثر في تفكير القيادة العسكرية الإسرائيلية ولنعكس ذلك بوضوح على قراراتها القتالية التي اتسمت في معظم الأحيان بالتهور والانحراف من مرحلة الأولى الكامل.

بعد الظهر قام تشكيل من الطائرات الإسرائيلية قوامه ٧٦ طائرة بمحاولة بانسة لاختراق شبكة الدفاع الجوي المصري في القطاع الشمالي مستغلاً طبيعة الكثافة المحدودة للصواريخ المصرية في منطقة بورسعيد، ولم تمكث الطائرات الإسرائيلية في السماء المصرية سوى ٣ دقائق فقط خسرت خلالها ٢٦ طائرة هالونوم وسكاي هوك و ٥ طائرات هليكوبتر كانت مخصصة لتجدة الطيارين الذين سقطوا فوق ميناء البحر الأبيض المتوسط بالإضافة إلى ٤ طيارين آخرين وقعوا أسرى في أيدي القوات المصرية.

ولقد كان أهم عوامل النجاح في هذه المعارك الجوية القصيرة في القيادة المصرية فاجأت الطيارين الإسرائيليين للمرة الثانية بما لم يكن في حساباته بطلافاً وهو ذلك للتنسيق الدقيق بين تشكيلات الصواريخ والتشكيلات الجوية المصرية بدقة نصباط نصل إلى جزء من الثانية، فمتى ما كانت الطائرات الإسرائيلية تتأكد من طر السماء من طائرات مصرية وتلجأ لوصاع القصف ضد تشكيلات الصواريخ كانت تهاجم قبل

لن نطلق تبراها إلى الطفرات المصرية قد ركبها، وفي هذه الحالة إما أن تتمكن
للطفرات المصرية من إسقاط الطفرات الإسرائيلية وتدميرها أو أن نكسبها للهروب
نكسب في منطقة كحل أخرى للصواريخ المصرية التي تكون غير معينة في هذه الحالة
ومرة أخرى قد كانت نتيج هذه المعركة الجوية دفعا لمزيد من التهور والقلق
داخل القيادة العسكرية الإسرائيلية بعد غروب شمس يوم الثالث للحرب دفعت
إسرائيل بعد من الطفرات قامت بقصف الصافي والنباتات المدنية في بورسعيد بهدف
وتذكير مدنيين أسير عن سقوط عدد كبير من الضحايا المدنيين.

وكان ذلك من وجهة نظر القيادة السياسية المصرية يعني أن للحرب بدأت تأخذ
أبعاداً جديدة حتى ولو كان ملامح فوق بورسعيد مجرد علامة من علامات التماس في
إسرائيل.

والآن كيف أمر الرئيس السادات مركز قيادة عمليات القوات المسلحة بإصدار
تحذير فوري لإسرائيل، وعلى الفور قطعت الإذاعة المصرية برامجها في العائسة
مساء ٨ أكتوبر' لتدبغ قبيل العسكري رقم ١٧' الذي تضمن التحذير المطلوب

وقد جاء ذلك الإعلان عن هذا التطور الخطير في مسار الحرب من جانب إسرائيل
بعد ٥٠ دقيقة من إعلان مصر عن رفع العلم المصري فوق مدينة القنطرة شرق التي
نجحت قوات للفرقة ١٨ مشاة بقيادة اللواء فؤاد عزيز هالي وفي تحريرها بعد عمليات
قتالية واسعة من بيت إلى بيت ومن شارع إلى شارع، وقدم الموطسون المصريون
فيها مساعدة فعالة للقوات المصرية مند بدء الهجوم على المدينة وحصارها وحتى
إتمام تحريرها، وكان من بين ما أسفرت عنه عملية تحرير القنطرة شرق هو استسلام
مجموعة من الجنود الإسرائيليين وقصوا الأعلام البيضاء بعد أن وجهت لهم قلوب
للحاصر المصرية إظهارا بالتسليم أو تدمير مبنى المحافظة عليهم حيث كانوا يحتمون
به وفصلا عن ذلك فإن تحرير القنطرة كان يعني سقوط آخر وأهم جيوب المعصومة
الإسرائيلية الفنية على الشاطئ الشرقي للقناة.

وبغضاء اليوم الثالث للحرب كانت الصورة قائمة تماماً في إسرائيل حيث عجزت قواتها عن وقف التقدم المصري في سيناء واضطرت إلى الإعلان رسمياً أنها قد انسحبت من مواقعها الحصينة على طول القناة إلى خط دفاع جديد تم إعداده في مواجهة ثلاثة من عوس الجصور المصرية الرئيسية، ومن العريب أن هذا الإعلان للرسمى الإسرائيلى جاء بعد ساعات قليلة من بيان المتحدث العسكري الإسرائيلى أعلى أنه يمكن القوات الإسرائيلية من احتواء الهجوم المصري ونطريق قوله !

وإزاء هذا الأكلهاف الإسرائيلى في جهة سيناء بدأ في واشنطن نشاط أمريكي محموم لرافف الكثافة، واستخدم الرئيس نيكسون الخط الأحمر الساخن في اتصال تيلونى مع ليونيد بريجنيف سكرتير عام الحرب الشيوعى السوفييتى بطلب تأييد الجهود الأمريكية لوقف القتال، وفي نفس اللحظة كالى المنسوب الأمريكى في مجلس الأمن الذى انعقد في جلسة طارئة بطرح طلباً عربياً يدعو فيه إلى وقف للقتال فوراً وعودة القوات للمناخارية إلى خطوط ٦ أكتوبر، وسى المنسوب الأمريكى أو تناسى موقف رميله للسابق ألوثر جولدبرج خلال حرب يونيو ١٩٦٧ عندما عارض باسم للولايات المتحدة اتجاهأ عاماً في مجلس الأمن يدعو إلى وقف القتال وعودة للقوات للمناخارية إلى خطوط يونيو ١٩٦٧

لقد كان موقفاً أمريكياً عربياً أوضح لى الأمريكيين كانوا حتى هذه اللحظة يعيشون وهم للقوة والتفوق الإسرائيلى، وأعتقد أنهم بدلوا في إصافة حساباتهم من جديد من صباح اليوم الرابع للحرب حيث كالى موعد لنهاة المهلة التى طلبتها إسرائيل لتعطيم القوة العسكرية العربية. غير أن ملحدث في اليوم الرابع جاء على عكس ماقدرت إسرائيل وماصدفت أمريكا !

خلال الأيام الأولى لحرب أكتوبر كان إحصاف عام قد محيطر على القوة الإسرائيلية بأن وجود القوة الإسرائيلية قد أصبح في خطر حقيقى وساعد على تعميق ذلك الإحصاف أن إسرائيل عقلت وضماً جرجاً في الاتجاه السياسى ليمساً سد شوب الحرب وحتى اليوم فإسرائيل معزولة تملأاً تقريباً في المسلحة الدولية ومعدة

بصورة مطلقة على حسنة الولايات المتحدة الأمريكية ومعظم الدول الإفريقية
قطعت علاقاتها بها وحكومات دول أوروبا الغربية التي تخلت عن تضييقها التقليدي
لإسرائيل وبدلت حوراً إيجابياً مع العرب.

تهار خط الدفاع السيلسي لدولة إسرائيل بقوة عندما سقط خط بارليف في سياء
وترك سقوط الخط السيلسي لإسرائيل مكتوفة وعارية بعد أن انقضت مياستها وكس
الإفلاس السياسي لحكومة إسرائيل ساحقاً ومطلقاً ومأسوياً !

ولهذا فإن إسرائيل عندما واجهت خطر الدوال بفعل الهجوم العربي الكاسح
ووجهت محنة المعركة الحقيقية في الساحة الدولية بعد اكتشاف حقيقة نواب وأندلها
ثم يك لها من سبيل للنجاة من المصير الذي يترص بها سرى النجدة الأمريكية
السريمة من السلاح عبر جسر جوى كان ينقل المعدات إلى أرض القتال ذاتها، وأيضاً
فإن الولايات المتحدة هي التي شكلت لإسرائيل حائط الصد والعمالة في مواجهة
المعركة الدبلوماسية الدولية.

في يوم السبت ٦ أكتوبر الساعة ٩،١٥ صباحاً بتوقيت نيويورك، نق جرس
التليفون في غرفة وزير الخارجية الإسرائيلي في فندق "بلازا" بنيويورك وكس هدى
كهنجر على الخط للمرة الثالثة تلك الصباح.

قال كهنجر : "سيد إيلان تلبيت في هذه اللحظة نبأ من المخابرات المركزية
الأمريكية أن معارك تنور في منطقة قناة السويس انتهى لفرض أنكم اسلم للهادنين".

أجاب إيلان : "أمل أنه لم يكس هناك أى عمل غير مسئول وكما قلت لك سابقاً لم
يكس في بيتا بدء حرب وقتية وسلكص الأمر ولخبرك حالاً" وقد أدى جواب
إيلان المرتبك في اليوم الأول للحرب إلى عدم تنهم لستمر بضح ساعات واعتقد
الأمريكيون طوال تلك الوقت أن إسرائيل هي التي بدت الحرب

وكانت المعالجة بالقمية لآيا إيلان أيضاً تامة فقد سمع وزير الخارجية الإسرائيلي
لؤل مرة قبل ساعتين ونصف فقط بقله من المتوقع أن تتلع حرب في الشرق الأوسط

وفي ذلك الصباح من يوم الغد في الساعة ٦.٠٠ في جرس التليفون في غرفة
إيهان بن شورو مستشار وزير الخارجية الذي كان يرأسه في رحلته إلى الجمعية للعلماء
بلاكم المتحدة وكان صوت المتحدث رجل الاتصال الإسرائيلية في نيويورك يرتجف
وهو يقول .

وصفت برقية مذعورة جداً للوزير . إتينا برسالة إليكم فوراً وكانت البرقية موقعة
من الوزير الإسرائيلي جاليلي وقد قرأها بن شورو بصورة سرية ثم سارع إلى البحث
عن وزير الخارجية . وجاء في البرقية أن انتهاء وثيقة تشير إلى خطر لهما مصر
وسوريا بهجوم منسق على إسرائيل مع حلول المساء مساء يوم السبت وطلب من
أبا إيهان الاتصال فوراً بهمري كينسجر وزير الخارجية وإبلاغه بمضمون الخبر
وطلب منه التوسط لدى المصريين لمنعهم عن القيام بعمل عسكري .

حاول بن شورو الاتصال بأبا إيهان هاتفياً من داخل الفندق ، وإبلاغه بمضمون
البرقية بيد أن أبا إيهان الذي أراد أن يقتضي صباح يوم الغد في سريره كان قد
قطع للتليفون وراح يخط في نوم عميق وبعد أن دق بن شورو على الباب وهو يائس
خلال ربع الساعة استوفظ أبا إيهان وخرج لمعرفة مايجري وقال أبا إيهان بعد أن أنهى
قراءة للبرقية 'أطلب لي كينسجر بصورة مستعجلة وحتى لحظة استلام البرقية ثم
يعرف أبا إيهان الذي غادر إسرائيل يوم ٢٧ سبتمبر أن هناك خطر اندلاع الحرب ولم
يعرف أيضاً أن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية تنفت قبل ذلك يومين أي يوم
الخميس ثوباً من عناصر الاستخبارات الإسرائيلية جاء فيه أن من غير المتوقع أن
تتشب حرب في الشرق الأوسط وفي مساء اليوم السابق يوم الجمعة ٥ أكتوبر
وصلت إلى أبا إيهان رسالة من إسرائيل تطلب فيها إليه الاجتماع بكينسجر لتسليمه
مظروفاً يحتوي على مادة مهمة وصلت من إسرائيل وأيا إيهان الذي لم يكلف حتى
نفسه بإبلاغه على محتوى المظروف - أعلن فوراً أنه لا يستطيع مقابلة كينسجر لأنه
حدد مقابلات خلال تلك الساعة مع عدد من وزراء الخارجية الذين يحضرون للجمعية

للعامة للأمم المتحدة ولم ير لها أي دليل الحريص على تضاعف المرسوم سبباً لإلغاء
للمقالات

ولما تم الاتفاق على نقل المظروف المستعمل مباشرة إلى مكتب كيمسجر في
واشنطن لكي يرسل من هناك إليه في نيويورك.

وكان المظروف - الذي لم يعرفه أي إيمان محتوياته - يتضمن تحديلاً جديداً للمواهب
ثم فيه الإعراب عن التحفظ حيال الجرم السابق المشترك بين المخابرات الأمريكية
والمخابرات الإسرائيلية بأن العرب لن يهدوا الحرب، وجاء في المظروف - الذي نقل
إلى كيمسجر بعد ذلك أنه على الرغم من التأهب الدفاعي للقوات المصرية والسورية
هناك إمكان لبدء العرب لقتال لكن هذا المظروف لم يصل إلى وجهته في اليوم نفسه
"لجمعة" على الرغم من جميع الجهود فقد سلم إلى كيمسجر في صباح اليوم التالي فقط
مع مادة خلفية أهدتها له المخابرات الأمريكية وورقة للخارجية، وعندما أُلغِطوه من
لومه في نيويورك سلموه أيضاً لفرقة التي وصلت في تلك الأثناء من تل أبيب من
سفير الولايات المتحدة (كينيث كيتنج) وقد بحث السفير في برقيته تقريراً عن اجتماعه
بحولدا ماثي رئيسة الحكومة الذي عقد في مكتبها في تل أبيب في صباح يوم الحرب
وقد أبلغته في هذه المناسبة أنه بناء على ألباء موثوق بها وصلت إلى حكومة إسرائيل
سيبداً المصريين والسوريين العرب هذا المساء وكما يبدو في الساعة السادسة بعد
ظهور وطلبت جولدا ماثي من السفير الأمريكي أن ينقل ذلك فوراً إلى شبيت الأبيض.
سأل السفير: "هل تريدون توجيه ضربة وثيقة قبل أن يهاجمكم؟".

قلت ماثي: "كلاً كلاً في أي حال من الأحوال أرجو أن نوضح ذلك للسيد
كيمسجر".

وبعد أن أطلع كيمسجر على تقرير سفيره في إسرائيل تلقى مكالمة تليفونية من
أبا إيمان طلب فيها منه التحقق لدى المصريين والسوريين فتتوهم عن بدء الحرب بيد
أن كيمسجر كان لا يزال غير مقتنع بأن العرب هم الذين سيبدلون القتال ولا اعتمد على

محرير قدم إليه - ثبت في وقت لاحق فقط أنه عملية تصليب تلجئة - وبموجبه لن
 الروس ينقلون مستشاريهم من سوريا ومصر خوفاً من أن تكون إسرائيل هي البائدة
 بالهجوم، وبعد جهود كثيرة استطاع كوسنجر أن يتصل تليفونياً بمحمد حسن الزيات
 وزير الخارجية المصري الذي كان في نيويورك لحضور اجتماعات الجمعية العامة
 للأمم المتحدة وقال له الوزير المصري أنه لا يعرف شيئاً عما يجري وأنه سيتقصى
 الأمر وطلب كوسنجر من الزيات لإلاع مصر بأن إسرائيل حصلت على خطط التأهب
 لهجوم مصري وأنه يطلق من مصر الامتلاء عن القوم يعمل عسكري، وبعد حديثه
 مع الوزير المصري أجرى كوسنجر بين الساعة ٧ والساعة ٨ صباحاً عدة محادثات
 تليفونية مع الرئيس نيكسون الذي كان موجوداً في ذلك الوقت في منزله في كسي
 بيسكين في فلوريدا وقد أبلغ الرئيس أن الوضع في الشرق الأوسط على حافة الانفجار
 وأنه يحاول التأكيد مما إذا كل القوم مستظفين في هذا الأمر بصورة فعالة، وقد أمر
 نيكسون بإقامة فريق عمل خاص على الفور يتكون من ممثلي وزراء الخارجية
 والبناتاجون وكافة المخابرات المركزية وروساء أركان حرب القوات المسلحة، وقد
 بدأ هذا الفريق يعمل منذ صباح يوم السبت برئاسة كوسنجر وتقيمت في البيت الأبيض
 في فلوريدا أيضاً قيادة طوارئ خاصة برأسها الجنرال فيكسندر هيج الذي كان على
 اتصال دائم مع هنري كوسنجر.

في التاسعة صباحاً ٣٠ بعد الظهر بتوقيت إسرائيل تلقى كوسنجر خبراً من وكالة
 المخابرات المركزية يفيد أن المعارك على امتداد قناة السويس قد بدأت وأن الطائرات
 المصرية شاهج ثم اركز الإسرائيلية في سيناء، وبما أنه بصدد التقارير الإسرائيلية
 كان المصريون سيهاجمون في الساعة بعد الظهر تولد لدى كوسنجر انطباع بأن
 ميجري عملية وقائية إسرائيلية جاءت لكي تسبق الهجوم المصري.

عندما علم كوسنجر بنشوب المعارك اجتمع بلياً فيان في نيويورك ثم طر بعد ذلك
 على تلور إلى واشنطن لكي يترأس فريق العمل ومن واشنطن تحدث كوسنجر مرة
 أخرى تليفونياً عن تقدير إسرائيل للوضع العسكري ومال كوسنجر - كم يوما

تحتاجون لكي تتفهمون على هذا الوضع؟ وقد قيل في الجواب بعد التشاور مع جولد،
ماتير تليفونيا في تل أبيب: في الحرب ستنتهي خلال مدة تتراوح بين أربعة أو خمسة
أيام، ولم يهجا كوسجر. فقد شفق هذا الكلام مع تقرير البنتاجون الذي قدمه مند صبح
يوم الحرب الأميركي توماس مورير. وقيس أركان القوات المسلحة إلى فريق للعمل
للحاص كما في الفريجات الأولى التي وصفت إلى أنها إيدان وريز الخارجية من المورير
يسر قبل جاليلي تحدثت عن صد الهجوم وعن تحول القوات الإسرائيلية بسرمه إلى
لحصى درجات التفاهة وكانت الفريجات من إسرائيل متقاتلة وخلال يومين لم تتطور
لدى ممثلي إسرائيل في الولايات المتحدة الصورة الواضحة عن الوضع وقطع خلال
المحادثات التي أجراها في هينان مع أبراهام كاترون مدير عام وريز الخارجية سمحت
للمرة الأولى بإشراك إلى في الوضع في الجبهات أصعب وأخطر كثير مما عكست
التقارير الرسمية.

في يوم الأحد ٧ أكتوبر وهو موعداي شتوب المورير المعوض الإسرائيلي ووزارة
الخارجية الأمريكية واجتمع بجوريف موسكو نائب وريز الخارجية وطلب الاطلاع
على الاستنتاجات التي توصل إليها فريق العمل الأمريكي ولوضع بصورة لاطعة
ومحددة أن إسرائيل ستكون بحاجة إلى إمدادات متواصلة من المعدات العسكرية في
الحرب ولدت كما في سمحا بهتير السعير الإسرائيلي لثأر مشكلة توريد إسرائيل
بالمعدات والأسلحة خلال محادثته الأولى مع كوسجر بعد موافقه من تل أبيب مباشرة
في الليلة ذاتها.

وقبل مساء يوم الاثنين ٨ أكتوبر اجتمع فريق العمل الأمريكي في جلسة أخرى
وبدأت التقارير من سلطة القتال هذه المرة مريزة من التفاحية الإسرائيلية وقد اتضح
لأول مرة أن المصريين استطاعوا السيطرة على جميع التحصينات على امتداد القناة
وفي السورير احتلوا مضجة الجولان بأسرها تقريباً وسمحت للمرة الأولى شكوك حول
صحة وصديق البعثات الإسرائيلية بشأن نجاح الجيش الإسرائيلي في صد الهجوم وفي
صوء أزمة اللثة في التقارير طالب فريق العمل من عناصر المحادثات الأمريكية

ريادة بقطعها وتزويده بالقوى قدر من المعلومات عن الوضع في ساحة القتال من المصادر الذاتية.

في يوم الثلاثاء ٩ أكتوبر توجه السير الإسرائيلي مرة أخرى بطلب إلى كيسنجر بتزويد إسرائيل بالأسلحة والإمدادات العسكرية لحول كيسنجر طمأنة لسير بقوه له أنه تحدث عن المشكلة مع الرئيس نيكسون الذي أصدر تعليمات إلى الجنرال لتتولى مسؤولية هزيمة من المهددة إلى إسرائيل.

وفي الاجتماعات التي عقدها السير الإسرائيلي مع كيسنجر بحث بالإسالة إلى قضية الإمدادات موضوع وقف القتال أيضاً وعلى حد قول السير توفيق إسرائيل على وقف القتال شرط في تعود القوات إلى خطوط الساس من أكتوبر كما كانت قبل نشوب المعركة بيد في الوضع تغير فجأة برمته يوم الثلاثاء ٩ أكتوبر عند الظهر وهذا أكثر أسرار الحرب خلفية فقد وصلت إلى السفارة في واشنطن برقية مدعورة من إسرائيل طلب فيها من أباييل وزهر الخارجية ومحا ديتير السير العمل على وقف القتال فوراً لدى أية شروط من جانب إسرائيل، وقد ساد الدهول في السفارة خصوصاً في برقية مدعورة أخرى وصلت بعد وقت قصير تطلب من السفارة للعمل بصورة مستعجلة للحصول على إمدادات هورية من غذاء أدوية.

عاد فريق العمل وعقد اجتماعاً آخر برئاسة كيسنجر وقد وضعت أمام الأعضاء قائمة بمسائل إسرائيل البشرية وحسارها في المهددة كانت الصورة مؤلمة وقد أبدى أحد المشاركين في الفريق ملاحظة قال فيها : "تصرفت أسطورة إسرائيل التي لا تقهر" وقال آخر : "من المهم أن يحدث ذلك".

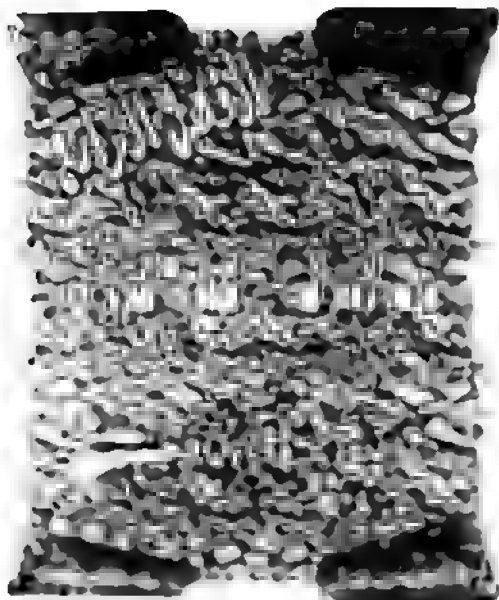
اتصل كيسنجر تليفونياً بالسير الإسرائيلي وسأله : "هل حصلتم على جميع المهددة التي تحتاجونها" وأضاف : "أصدر الرئيس تعليماته بتزويدكم بكل ما يلزم".

وفي يوم الخميس ١١ أكتوبر عندما أصبح الوضع في إسرائيل من ناحيه المهددة القتالية حرجاً تصرفت رئيسة الحكومة جولدا مائير تليفونياً بالرئيس نيكسون وطلبت

تدخله شخصياً في هذا الأمر وأصرت على أن يقوم نيكسون بنفسه بالسعي لحل المشكلة التي لا يوجد لها حل معها بالنسبة إلى إسرائيل في هذا الوقت.

وفي يوم الخميس ذكته لصخر الرئيس نيكسون أمراً إلى البيت الأبيض بكرويد بسرائيل بالامدادات بطائرة النقل العسكرية الأمريكية فوراً.

اجتمع كيسنجر مع ليا ليدان وقد طرح كيسنجر قضية وقف إطلاق النار بينما كان أبا إيهان يطلب بكرويد إسرائيل بالمفاوضات وقال كيسنجر أن الولايات المتحدة ستحترم التزاماتها نحو إسرائيل ولكن نظراً إلى أن المعارك تستمر خلافاً لما كان متولفاً، على إسرائيل أن توافق مهنياً على وقف القتال مقابل تجديد مولدها العسكرية التي أصبحت وفي أحقاب اجتماع كيسنجر مع أبا إيهان أصدر الرئيس نيكسون أمراً بكرويد إسرائيل بطائرات القتال أيضاً وكذلك معدات حديثة في مطار حري، وفي اليوم التالي ١٤ أكتوبر هبطت في إسرائيل أول طائرة "جلاكس" حملت معها معدات عسكرية قيمة ومنذ ذلك الوقت فصاعداً بدأ القطار للجوى الذي لم تعرف إسرائيل مثيلاً له في تاريخها.



عندما خرجت الجماهير الشعب المصري في التاسع والعشر من يونيو ١٩٦٧ لم يكن مطلبها الوحيد هو أن يبقى جمال عبدالناصر في موقعه وإنما كان يحركها ويدفعها إحساس عارم يرفض القزيمة ورفض الاستسلام وكل كل دروس التاريخ قديمة وحديثة كانت ملأ في أذهان هذه الجماهير فطعمهم تذكروا أن بريطانيا وجدت معها عام ١٩٣٩ وقد بدأ حلفاؤها يتساقطون تحت وطأة ألمانيا النازية ورغم ذلك لم تستسلم وقال رعيها متردداً كلمته المشهور لذلك قلنا نعم في هذه الأوقات للقوة التي فقدت صفتها وأصبحت حساسة ولابد أن نفروى .. ولابد أن ندكش ولابد أن نربي الصلدة كما نعمل القواقع التي تقذ صدقتها وتقذ ذريعتها.

ولصحبهم تذكروا كذلك أنه من الحرب العالمية الثانية - نفسها تراجعت الولايات المتحدة أمام اليابان في بيرل هاربور وقه في نفس الحرب العالمية الثانية - تراجع الاتحاد السوفيتي أمام الغزو النازي حتى لوبل موسكو - لكن النتائج التي شخصت عنها هذه الحرب العظمى كانت ملأ في أذهان الجماهير التي خرجت في التاسع والعشر من يونيو.. كانت هذه الجماهير تعلم أن النصر في النهاية ثم يكتب لألمانيا أو اليابان اللتين حققا انتصارات باهرة في أول الحرب وإنما النصر تحقق في النهاية لمن كانت لديهم القوة على الصبر والصمت وإعادة بناء القوة التي ضاعت أو تحطمت.

إلى الذين سيؤرخون هذه الفترة المملكة من تاريخ الشعب المصري سوف يبررون بغير جدل كل ما أجاب بطوروف تلك الساعات الزهوية من أيام التاسع والعشر من يونيو باعتبارها مطلقاً إلى نقطة تحول خطيرة وبين علامات السوء وخير السوء التي انطلقت من روح هذه الأمة وإزالتها.

ولكن تكتمل الصورة لمن سيؤرخون في هذه الفترة من تاريخ النضال الصعب والمثاق لابد أنهم سيفتحون على أبعاد الصورة كما كانت في الواقع غداة النكسة والسوء يصابون بالذهول - بطبيعة الحال - حين تتضح لهم معالمها

- يومئذ - بطرفه - وأنيكت جماهير الشعب المصري بهذا الموقف الرافع لى رقعة من أرض الوطن قد تسقط تحت أيدي العدو ولكن لم تسقط أى رقعة من برلانه وليست دابة للسرور تحت أى احتلال.

ويمكن القول لى الإستراتيجية الثورية من جانب القيادة السياسية لمطالب الجماهير كانت القوة بصفة البداية إذا اعتبرنا حركة الجماهير بعتابة نقطة للتحول على اليوم التالى مباشرة لهبة الجماهير فى يوم ١١ يوليو صحت قرارات إعادة تنظيم أجهزة القيادة العامة للقرات المسلحة بما يحقق هدف الشعب فى استرداد كرامته ، ولم تكن هذه القرارات نعى مطلقاً تغيير القرارات قط وإنما كل التحير يمتد لى أنهم من ذلك كثيراً وأصق . كانت هذه القرارات بالفعل نقطة بداية للعمل الرائع المجيد الذى نفذته قواتنا المسلحة بعد أكثر من ٦ سنوات من هذا التاريخ فى ٦ أكتوبر

كانت هذه القرارات تعنى بعض الطول الوسط ومواجهة كل المشاكل بالطريقة الصعبة التى يجب لى تواجه بها الأمور حتى لا تتكرر المأساة وكان لابد من إعادة البناء العسكرى بصورة كاملة وكان لابد لى يتم ذلك فى ظل طيات كثيرة يصل بعضها لى حد الإعجاز ففصلأ عن مشكلة إعادة التنظيم نفسها فى هناك مشاكل أخرى معقدة مثل إعادة التسليح وإعادة البناء المعوى وتطوير وسائل وأسس للتدريب. ثم لى الظروف القاسية التى كانت صلبة البناء تتحرك تحتها جعلت من عملية البناء أشبه بالمعجزة فقد كانت القوات المسلحة تحت تهديد العدو وفى مواجهة بيران حرب نفسية متهبة.

عودة الثقة

ولقد كان من الطبيعي أن يستغل العدو النصر السريع بمزيد من قسب العسكرى والصعظ المعوى لى يعرقل عملية إعادة البناء العسكرى ولكى يتعرف باستمرار على مدى استفاد قواتنا بعد الانتهاء من مرحلة إعادة التنظيم . ولعل ذلك هو التفسير المقبول لتلك المسئلة المتصلة من المعارك التى وقعت على طول الجبهة غداة

حرب الأيام الستة وأهمها من وجهة النظر العسكرية المصرية معركة رأس العرش الشهيرة في يوليو ١٩٦٧ ومعركة إيجو في المعركة الإسرائيلية في أكتوبر ١٩٦٧ أيضاً إذا أن أهمية هاتين المعركتين لا تتمثلان في قيمة ما لحق بالعدو من خسائر حالتهما ولكن الأهمية في النتائج الهامة التي حققتها هذه المعارك والتي جاءت على عكس ما كان يخطط العدو ويهتمني ..

- فقد أكدت القدرة على الصمود في الدفاع عن الخطر المحيط.
- وساهمت في إعادة ثقة الأفراد بالقوات المسلحة بأنفسهم.
- وأعلنت ثقة الشعب بفرقته المسلحة.
- ولقيت في الحرب القصبة التي واجهها أفراد القوات المسلحة قد جاءت بالفشل.
- وأزالته للرعب المضطه التي حاول العدو أن يشيعها عن قوته وأسلحته.
- ولكتسبت القوات المصرية خبرة قتالية فضلاً عن تفهم أسلوب العدو في الحرب بطريقة واقعية.
- وأظهرت الروح القتالية للأفراد والقدرة على مواجهة العدو والعمل على ردهه ولن الروح القتالية مستمرة.
- ولقيت القدرة على مواجهة أي احتمالات جديدة.
- ولكتت نجاح خطوات البناء العسكري ولقيت أنه يتم بصورة سليمة وعلى أساس علمي.

ومع عودة الثقة أصبح المناخ ملائماً لوضع خطة إعادة البناء العسكري للجديد موضح للتنفيذ حيث كان الأمر يتطلب مصارحة مع القصر بغير حدود وكان واضحاً في خطة إعادة البناء العسكري ضرورة الاستفادة الكاملة من الدروس المستفادة من معارك عام ١٩٦٧ خصوصاً تلك المنطقة بنقاط الضعف والقصور من جانبنا

وكانت أولى القرارات العسكرية الجادة عن هذه الدروس قد تكرر في معر من تقديمها لتحل محل الفكرة أن العدو الذي هاجمنا في ١٩٦٧ هو نفس العدو الذي

محصلاً من قبل - عام ١٩٥٦ وعام ١٩٤٨ ولا نقول أن هذا ليس هو وليس له موضوعاً أو استخلاص الدروس المستفادة من معاركه معاً إنما يعنى أن هذه أو صغوبه معاً لو اختلف الوضع وإنه إذا حلولنا أن تقيس الدروس المستحصلة من عمليات ١٩٦٧ نجد أنها لا تختلف عنها عام ١٩٥٦ أو عام ١٩٤٨

المعمود وأدفاع الإسرائيلى وحرب الاستنزاف

كانت الدروس المستفادة من حرب ١٩٦٧ ذات شقين أحدهما يهتم بالعبء والآخر يهتم بقواتنا .

وفيما يتعلق بالعبء فقد كانت أهم الدروس المستفادة وتصريحاته لإخفاء نواياه .

أ - أن العدو يجيد الحداغ والتواصل في تصرفاته وتسريحاته لإخفاء نواياه .

ب - أن العدو أكد بالذليل القاطع قولاً وعملاً أن نواياه توسعية وأن معركة ١٩٦٧

لم تكن - على حد وعه - دفاعاً عن النفس ضد عمليات للفدائين العرب .

ج - أن العدو يهتم اهتماماً شديداً بالحرب النفسية قبل وأثناء وبعد المعركة العسكرية .

د - أن العدو يعتبر الروح المعنوية هدفاً أساسياً يسعى إلى تحقيقه والمحافظة عليه بكافة الطرق ، والتي قد تصل إلى حد القيام بعمليات خاصة لذلك .

هـ - أن العدو يهتم كثيراً بزيادة عدد مؤيديه من الرأى العام العالمى برغم عدم مشروعية محططاته ، وأنه يستخدم في ذلك كافة الوسائل تكنولوجية وأساليب جديدة أعداده كبيرة من الكتاب والمصحفين والفنانيين العالميين لهذا الغرض مستخدماً في ذلك بمخطط اعلامى عظمى ومدروس يخدم أهدافه ويدفع عن بطلانها

و - أن النعوق العسكرى الإسرائيلى في معركة يونيو ١٩٦٧ أسسه للتخطيط

الجيد للمعركة والتكريب عليها وليس ناتجاً عن فترة خارقة أو اساليب قتالية جديدة أو مستحدثة وأن العدو في معاركه السابقة معاً كل يتعاضد دائماً المواجهة المباشرة مع قواتنا .

وفيما يتعلق بالحقائق فقد كانت أهم الدروس المستفادة ما يلي :

- أن كل خطوة نخطوها وكل عمل نقوم عليه يجب أن يكون مبنياً على أساس سليم ومدرس وبناء على تخطيط سابق ومنظم.
- أن التدريب المعسوي جزء لا يتجزأ من التدريب العسكري للأفراد وكلاهما ضروري لرفع الكفاءة القتالية للقوات.
- أن التربية الفروحية ضرورية إلى جانب التربية المدنية - وتسميتها - لبناء هيداء سليمة من أجلها وعلى أساسها يصح ويقتل الفرد جهداً ومالاً ودماً
- أن القوات المسلحة لها مهمة واحدة فقط وهي التدريب والاستعداد ولتت السلام والتكامل وتحقيق النصر وقت الحرب.
- أن العبرة ليست بالسلاح وإنما بالرجال الذين يحملون هذا السلاح وأن العبرة ليست بالمعد والمعدة وإنما بالكفاءة والقدرة والإخلاص والجدية في التدريب.
- أنه من المهم أن يتم دراسة العدو - استعداداً لملاكمته - دراسة موضوعية لتكتيكاته وأساليبه الدفاعية والقتالية وطبيعة حركته في المعركة.
- أنه من المهم الاهتمام بأبسط المعلومات عن العدو ودراساتها والاعتماد على أبسط المعلومات عن قواتنا والمحافظة على صحتها وعدم إساءتها.
- أنه من الضروري الاهتمام بوسائل الدعاية والإعلام ووضع خطة متكاملة على خدمة أهدافنا السياسية والاقتصادية والعسكرية والعمل على كسب مرير من الرأي للعلم العالمي إلى جانب القضية العربية.
- أنه من الضروري ومن المهم أن يوضع الرجل المناسب في المكان المناسب.
- أنه من الضروري حشد كل من القوى الوطنية والقومية سياسياً واقتصادياً وعسكرياً حشداً فلياً للتخوف أمام الأخطار المحيطة بالوطن.
- أن الحرب أثبتت أن أكثر من أربعة أشخاص خوفنا لم تشترك فلياً في القتال وأن قواتنا المسلحة أثبتت قدرتها في المواقف التي أقيمت لها فرصة القتال المعسري

على نهر المدو إذا ولجعت ظروفًا طبيعية ومتكافئة للتكبليل على ذلك الإشارة إلى معركة القلواء ١٤ مدرع في منطقة جبل نبي ومعرفة القلواء ١١ مشاة في العريش

• في الحرب ليست مجرد سلاح ضد سلاح وإنما الحرب إرادة ضد إرادة ولن للنصر يتحقق للطرف الذي يستطيع في النهاية أن يحرص إرادته على عدوه

مرحلة الردع والادفاع الوقائي

ومع عودة الثقة بنتائج الاستبكات المحدودة ووضع الروحبة بتحذير الدروس المستفادة من النكسة رأت القيادة المصرية أن أفضل مناح لإعادة البناء العسكري في هذه المرحلة - هو أن يتم تحت غيران المدافع ورئورها واعتباراً من ٨ سبتمبر ١٩٦٨ بدأت القوات المسلحة المصرية مرحلة جديدة هي مرحلة الردع بعد أن يتم بنجاح اجتياز مرحلة الصمود خلال الفترة من ١٠ يونيو ١٩٦٧ إلى ٨ سبتمبر ١٩٦٨.

وكان من أبرز ملامح مرحلة الردع أنها تميزت بالقدرة على الضرب بشدة على يد العدو في حالة اعتدائه على قواتنا المسلحة أو السكك المنزولين في منطقة للقناة. كما تميزت هذه المرحلة أيضاً بإعلان قواتنا المسلحة صراحة أنها ستقوم بتنفيذ سياسة الدفاع الوقائي تلك السياسة التي تصي لنا ستقوم بتكمير مواقع مدفعية العدو وأسلحته الضاربة إذا ماشرنا بأنه يستند لعمل عدواني على المواقع العسكرية أو المدن الأمانة. إلى معركة المواقع الشهيرة في ٨ سبتمبر ١٩٦٨ تستحق أن نذكر فيها عدداً قليلاً من ذلك أنها كانت أول معركة بعد عام ١٩٦٧ تشمل كل قطاعات الجبهة المصرية فبدأ القتال في الساعة الرابعة والربع من بعد الظهر عندما بدأ العدو في إطلاق سيران مدفعية على منجيه السويس مستهدفاً المعالي والمتشلت المدعية. ولكن القيادة المصرية الميدانية - كان اللواء أحمد إسماعيل على وقتها قائد الجبهة - قررت أن ترد على العدو لن بصر ب موكز وشامل قيس في قطاع العريش وحده وإنما على طول امتداد للجبهة.

وقد أسفرت هذه المعركة عن خسائر فاحشة للعنوة في الأفراد والمعدات والكتب
أسفرت كذلك عن عديد من الحقائق والدلائل أهمها مايلي:

(١) أن العدو كما اتضح من بيلقائه عن المعركة .. قد قبل وقف إطلاق النار بعد
مساءة وحسن وثلاثين دقيقة من نشوب القتال ولكن القيادة المصرية لم يرد على
هذا الطلب إلا بعد أكثر من ساعة وحين ردت فقد وصفت لأول مرة شروط
لوقف إطلاق النار

(٢) أن خسائر العدو كانت فاحشة فقد أسكنت معظم وحدات مدعمة الخط التكتيكي
الأول له، كذلك لحق به خسائر كبيرة على عصى بعد في خطوط جبهته، وكس
من أبرر ظواهر المعركة تدمير ١٤ دبابة العدو وكنت على طرف اللسان أمام
بور توفيق، وكال جود هذه الدبابات قد هجرها إلى المعالي أمام تركيز
التيروس تدمرت هذه الدبابات تكثيراً كاملاً ومن المؤكد أنه لولا خسائر العدو
الفاحشة لما كل هو الهادي بطلب وقف إطلاق النار

(٣) أن القيادة العامة المصرية وضعت شروط قبولها وقف إطلاق النار هي
أ- أن يتمتع العدو عن أي دعم حلف التطبيق التكتيكي ولو حدثت أي
تحويلات من هذا النوع على القوات المصرية سوف تفتح النار عليه
ب- أن القيادة أوضحت أنها سوف يتأثر أعمال الدفاع الوطني ضد القوات
المسلحة التي توجه يرفها إلى المطلق المأهولة بالسكان

(٤) أن الحسائر على الجانب المصري كانت كثفا خسائر طموحه في الأرواح وذلك
بسبب الكفاءة المتميزة لقيادة الدفاع المدني

ويبدو أن العدو لم يرتدع تماماً بما أسفرت عنه حركة المدافع وبدأ بجرب أسلوب
جديداً للاستقرار مستملاً به أسطورة التفوق الجوي الذي صيغته بكه ١٩٦٧ حيث
لم يكن العدو يدرك أن القيادة المصرية قررت أن يرد على استغربه وتحديه في
الوقت والمكان المناسبين، وقد حل الوقت بالفعل في القضية من بعد ظهر الأربعاء

٢٣ أكتوبر ١٩٦٨ عندما اخترقت المجال للجوى المصرى أربع طائرات إسراييلية من طراز ميراج من جهة الشمال ثم انحرفت غرباً لتتدخل فوق المجال للجوى للإسماعيلية فصعدت لها الطائرات المصرية المقاتلة واقتحمت لأروافها للمناسبة بحيث أصبح فوق طوائف العدو وحلقها وبسما تحطت الطائرات الإسرائيلية تشكيلاً تشبه الثمان إلى أعلى وعلى الحلف وقتلت إلى أسفل فى المقدمة وفى اللحظة المناسبة صوب إحدى طائراتنا. تبعه أشعلت النار فى إحدى طائرات العدو وهى الطائرة التى قرر منها قائدنا بالمظلة ونجح فى الهبوط على الضفة الشرقية وبعد لحظات انفجرت طائرته فى الجو وتناثرت أجزائها وفى ثولى صوب أحد طيارينا برافه تجاه طائرة أخرى لأشعل فيها النار وتفجرت على الفور وبمجرد انفجار هاتين الطائرتين هربت الطائرتان الباقيتان، وعندئذ دفع العدو بعدد آخر من طائراته إلى سماء المعركة فتصدت لها مجموعة أخرى من طائراتنا المقاتلة وأصبحت طائرتين تفجرت إحداهم على الفور وقد انتهت المعركة بعد أن استغرق الاستهلاك بالنسبة لبعض طائراتنا ٦ دقائق وامتد إلى ٨ دقائق مع البعض الآخر.

واسطر العدو أن يعترف بسقوط إحدى طائراته فقط - ذلك الذى سقط عليها على الضفة الغربية للقناة - وكان الإعراف من جانبه - بصرف النظر عن الحقيقة - هو مؤشر لبداية القناعة لدى العدو بإمكانه تسيير التفوق النوعى كما كان لهذه المعركة أثرها البالغ فى استعادة الطيارين المصريين لثقتهم بأنفسهم.

حرب الاستنزاف

واندركت إسرائيل أن مصر جادة تماماً فى سياسة الدفاع الوقائى وأن ذلك يكفلها خسائر فى الأفراد أقوى من احتمالاتها ومن ثم بدأت فى عملية السافر الرسمى على تعداد القناة كلها وخلف السافر الرسمى بدأت فى إنشاء خط التحصينات الرهيب الذى اصطلاح على تسميته باسم خط بارليف نسبة إلى حليم بارليف رئيس الأركان الإسرائيلى آنذاك، وقد نجح العدو فى إتمام هذا الخط تحت ظن لحماية الجبهة،

وقررت القيادة المصرية أن تبدأ في صوء هذه التصورات الجديدة مرحلة جديدة من العمل العسكري الأكثر فاعلية وشفافاً ووضعت في اعتبارها ضرورة تكوير هذا الخط الدفاعي وإحداث أكبر قدر ممكن من الخسائر في أفراد العدو وكسر حائط الحوف والمزبحة عبر القناة وقد دخلت المرحلة الجديدة موضع التنفيذ اعتباراً من ٨ مارس ١٩٦٩ حيث بدلت المدفعية المصرية قصفاً شديداً ومتواصلاً بصورة يومية ضد مواقع العدو في حمل بالرائف، وفي نفس الوقت بدلت سلسلة من العمليات المصرية بدلاً وبهارة داخل مواقع العدو وبلغت حد التحور والانتقام بالكثر سرعة، وتم قتل غارات للعدو الجوية الكثيفة في وقف طواقم الاستنزاف المصري لقولته

وفي ظل هذه العمليات المجددة ونحت ليجب دوراتها بدأت مراحل العمل داخل وخلف خطوط العدو إلى الحد الذي يمكن القول فيه - بحير مبالغة - أنه منذ بداية حرب الاستنزاف وحتى نشوب حرب أكتوبر على أرض سيناء القاهرة لم يدخل قدم من رجال الاستطلاع المصريين المعلنين خلف خطوط العدو ولم كانت نسبتهم قد انخفضت - وذلك أمر طبيعي - خلال فترة وقف إطلاق النار السابقة على حرب أكتوبر وكانت مهمة دوريات الاستطلاع المصرية تتجول أكثر من مجرد للملاحظة وجمع للمعلومات كان عليها أن تنصب الكاميرات وتحتل على الأمر كمصدر من مصادر المعلومات التي كانت قوتنا بحاجة ملحة إليها في هذه الفترة، وقد وقع أول أسير مصري بعد حرب ١٩٦٧ هو التقريب داني ليفان شموون في يد قواته يوم ١٤ ديسمبر ١٩٦٩ - بواسطة كمين نهري في منطقة مرغبيوم أسفر عن تكوير عربية جب وقتل جنديين الكمانى القهاريه توالى وبدأ الأمرى الإسرائيليون بقصف في أبدي رجال الاستطلاع بهاها.

ولم يكن تجميع المعلومات أو الحصول على أمرى - كمصدر حسب للمعلومات - هدف هذه الكاميرات والدوريات كما أسلفت وإنما كانت هناك مهمة أخرى كان هؤلاء الرجال أن يستخلصوا مع قيلاتهم الدروس المستفادة من قتالهم مع العدو تلك الدروس التي كانت موضع اعتبار عند وضع خطة عمليات ٦ أكتوبر

رأينا كيف كانت حرب الاستنزاف التي كانت بمثابة التجويد الحى لإرادة للرخص
المصرى للهريمه وإثبات القدرة على تحدى السدود وحول قمر حلة الهامة
والصورية الشهية الفطرية والمسووية لقواتنا لكى تكون جاهرة لتقليبه مداه الواجب
عندما نحين ساعة الصفر .

كثرت كمائن حرب الاستنزاف قد زودت القيادة العسكرية المصرية بعدد من
الدروس المستفادة والتي منها أهمها :

١) أن العدو لا يصعب في اعتباره إمكان مهاجمته نهائياً ومن ثم فقد تحققت المفاجأة
أكثر من مرة بمهاجمته في وصح النهار لأنه لا يحتبر لبدأ.

٢) لقد ثبت أن العدو لا يمتنع من لبدأ أية مقاومة تذكر عندما يفاجأ بالهجوم ورغم
تدخل احتياطياته ضد معظم الكمائن والإغارات إلا أن دوريات الاستطلاع
المصرية تمكنت من تنفيذ مهمتها بالسرعة والدقة المطلوبة ومنع الاحتكاك من
التدخل تحت ظلال مظلة التأمين المصرية بالتصعب للمدفعي.

٣) أن العوامل الرئيسية في مجاح كمائن وإغارات دوريات الاستطلاع تعود أساساً
إلى السرية الكافية والدقة في التخطيط وحسن الانتخاب لمنطقة الكمين وإحداث
الكمين وإحداث المفاجأة بوسقل الخداع، والسيطرة الكاملة على أعمال الكمائن
بواسطة القيادات الميدانية المتخصصة وأهم من ذلك كله هو الاستطلاع المسبق
الجيد للهدف والتسلح.

٤) أن الوسيلة الوحيدة لتعطيم خط بارليف هي الانقسام المتأثر بواسطة البراد
المشاة. ومع تزايد درجة الثقة لدى المقاتل المصري في السور والانقسام
ومواجهة العدو لدخل دشمل وملاحق خط بارليف كان بناء القوت الجوية يسير هو
الأمر بسرعة مطردة وإزاء النجاح الذي حققته سفلة السفليات المصرية الخاصة
لجأ العدو إلى توسيع نطاق رده وبدأ منذ ديسمبر ١٩٦٩ في محاولة صرب
لعمق المصري وكان ذلك لخدقاً بيده أروع ملحمة من ملحم الإعداد المصري

لحرب أكتوبر تلاحمة جاء شبكة الصواريخ المضادة للطائرات التي أثبتت وجودها تماماً في أسبوع تسقط -تبدأ مرحلة جديدة وهامة فعل استعدادات وتدريب القوات من مجرد العمليات المحدودة إلى التجهيز للعملية الإستراتيجية المشتركة وقد كانت القوات قد نجحت في تكوين صفتها.

وكان ذلك هو المنهج لتصميم اتخاذ القرار بالحرب ضد صباغ للقرار المصري ..

عندما اتخذ الرئيس السادات قراره القهاري بالحرب قبل بداية عام ١٩٧٣ لم يكن يعنى بهذا القرار التاريخي مجرد هزيمة العدو على أرض القتال أو دفعه للتراجع والانسحاب وإنما كان يستهدف أساساً أن يذوق إسرائيل لأول مرة مد إنشائها -طعم للهزيمة الاستراتيجية - إذ أن النتائج التي يمكن أن تحدث على مثل هذه الهزيمة الاستراتيجية سوف تكون لها آثار بعيدة المدى تكبر بكثير من حدود التراجع والانسحاب التي يمكن إزهاق العدو بالقوة العسكرية إلى بلوغها مسرح العمليات

ولقد كان أهم الرئيس السادات عندما اتخذ قراره التاريخي مجموعة من الدراسات -سواء تلك التي أعدتها الأجهزة المصرية المختصة أو تلك التي أعدها الرئيس بنفسه - وكان من بينها على وجه التأكيد -بالإضافة إلى طبيعة ميزان القوى العسكري بين العرب وإسرائيل واحتفال الموقف المبلى الدولي عندما نجح ساعة الصفر وطبوغرافية مسرح العمليات -دراسة خاصة عن الاستراتيجية الإسرائيلية التي تستهدف مصر هيبتها وتقربها من أي مضمون حقيقي لها.

من معركة رأس الخسف في يوليو ١٩٦٧ إلى أسبوع تسقط المائتوم في يوليو ١٩٧٠ ومن هذا المطلق أخذت الخطوط لمحاولة است أعدت أنها تلربح للحرب ولاسي شهادة صها بقدر مايعي إيهام في ذكر بعض جوقب لاسل البطولي فرائع الذي قام به الإنسان المصري ليعبر ملحة من الحواجز والمواقع المنحصية وكان سهلي واخعب -من وجهة نظري- هو ما حدث يوم ٦ أكتوبر بعبور قناة السويس لأن عبور

السادس من أكتوبر لم يكن سوى مرحلة متقدمة من مراحل عبور بحري سابقة ومهدت له ومن بينها على سبيل المثال :

(١) أنه في أحوال ساعات المحنة وأشدّها ليلاً النفس والمشاعر خرجت جماهير الشعب المصري مع جماهير الأمة العربية في ٩ ، ١٠ يونيو لتقيم جسراً ميب عبرت عليه الأمة من شبح السقوط إلى أمل الصمود.

(٢) أنه لم تكن مصت أسلحة قليلة حتى كانت قوات الجيش المصري - الذي فقد أكثر من ٨٠٪ من معداته - تؤثربها واستطاعت الطائرات المصرية أن تلك المواقف العدو في سناء ثم ما لبثت قوات الصاعقة أن نجحت في أن تقم لنفسها موطناً قديم على الضفة الشرقية للقناة بعد معركة مجيدة من رأس العسل عبر بها الإسكندرية المصري من أمل للصمود إلى واقع الصمود.

(٣) أنه بينما كان العدو لا يزال في نشوة النصر وغرور القوة خرجت روارق طورييد البحرية المصرية إلى عرض البحر المتوسط عند الشاطئ الشمالي لبررسمود لتغرق أكبر منمرات المعر البحرية ولتسجل أول معركة بحرية في التاريخ تدور بالقصورناخ، ولتخير من كل حسابات الاستراتيجية البحرية ولتسهم في عبور الأمة العربية من واقع للصمود إلى إمكانات الرفض والتحدى.

(٤) أنه بعد مضي ١٥ شهراً فقط ويقتحيد في يوم ٨ سبتمبر ١٩٦٨ فتحت المدافع المصرية بيرانها الكثيفة على امتداد الجبهة كلها وأطردت المواقف الإسرائيلية بأطنان من القنابل المدمرة ولحقت في صفوف العدو أكبر خسائر شهدتها عند معارك يرمو ١٩٦٧، وكفت هذه هي المرة الأولى منذ يونيو ١٩٦٧ التي تلك فيها القوات المصرية رمام للمبادأة سواء في اختيار موقعيت المصرية أو قبول تواف وقف إطلاق النار - وكل ذلك يعني أن خطة إعدة بناء القوات المسلحة قد مصت بأسرع مما كان متوقفاً لتعبور من إمكانات الرفض والتحدى إلى القدرة على الردع والتصدى.

(٥) انه بعد ستة أشهر فقط من بدء مرحلة الردع والتصدي كانت القوات المصرية قد وثبت وثبة راقعة في فترة زمنية قليلة حيث اكتسبت لديها كلى مومات القدرة على تدمير تحصينات واستحكامات العدو التي انقضت على طول قناة السويس العمياء باسم خط بارليف وفق خطة استنزاف مؤثر عبرت بالجيش المصري من القنطرة على الردع والتصدي إلى واجب الاستنزاف والإزعاج القومي

(٦) انه في ظل خطة الاستنزاف والإزعاج القومي المصري - التي بدأت يوم ٨ مارس ١٩٦٩ واستمرت حتى وقف إطلاق النار الأول في ٨ أغسطس ١٩٧٠ - تولت عمليات العبور المصرية إلى الضفة الشرقية للقناة، وبجلاء من مستوى النسيطة وبلوغها إلى مستوى الكثيفة محققة بذلك عبوراً مبهداً من مجرد الاستنزاف والإزعاج القومي إلى كسر حاجز الرهبة والخوف عند المعائن المصري الذي اكتسب في كل مراحل العبور أن الاقتحام مع العدو بمقتضى أسطورة التفوق الإسرائيلي وبنيتها.

(٧) أن العدو عندما بدأ يفتك أقرانه من شدة ضربات الاستنزاف المصرية وقرر أن ينقل للمعركة بعيداً عن ميدان المواجهة بصرب العمق المصري لم ينجح إلا في تأكيد مدى قتلاحم والتمسك في الجبهة الدلحية المصرية وتمسكها بقبائنها السياسية وبقتها الكاملة في فوقها المسلحة، فضلاً عن أنه دفع مصر إلى تحرير مطالبها لتدعيم نظام دفاعها الجوي لمواجهة تسليط الطائرات الإسرائيلية على ارتفاع سمح وسكنت الزيادة السرية التي قام بها جمال عبدالناصر لموسكو وما أعقبها من إقامة أضخم شبكة للصواريخ، وبإسليم هذه الصفقة عبر الجيش المصري من نقطة كسر حاجز الخوف والرهبة إلى بدء وضع القبة الأولى في عملية الإعداد للمواجهة الشاملة المنتظرة بتأيين العبور المصري.

(٨) أنه بمجرد اكتمال بناء شبكة الصواريخ المصرية لحمية العمق المصري تم تجرؤ طائرة إسرائيلية على محاولة لحرق العمق المصري بعد ١٨ أبريل ١٩٧٠ وعاد العدو ليركز كل صريته الجوية ضد القوات المصرية في الجبهة

وكان لابد من مواجهة تلك التحدي بتحد معلن في دفع كتائب من صواريخ سام ٣ إلى الجبهة وعندما كان شهر يونيو ١٩٧٠ يقترب من نهايته كان قد بدأ أسبوع مسلط اسطورة القاتوم على الجبهة المصرية ليعبر الجيش المصري من مرحلة تأمين العمق والجبهة للخطوة إلى بداية مرحلة تأمين كل ثوات الجبهة المصرية ومعالجتها بمظلة واقية من الصواريخ.

(٩) له عندما اضطرت إسرائيل إلى قبول وقف إطلاق النار بعد أزمة نسيان للماتنوم - وفقاً لترتيبات المبادرة الأمريكية لمدة ٢ شهر تبدأ من ٨ أغسطس وتنتهي في ٥ نوفمبر ١٩٧٠ - استلمت القوات المصرية فرصة السكون على الجبهة ولم تبدأ بالتهديدات والاضطرابات الإسرائيلية ودفعت إلى قرب قناة السويس مجموعة من كتائب الصواريخ التي كانت دائماً شاملاً على امتداد الجبهة وردعت كل محاولة إسرائيلية لانتهاك وقف إطلاق النار .. وباتصال راحة غابة الصواريخ المصرية كانت مصر قد أصبحت ليس فقط في شل وإضعاف العدو من مسيرة المبادأة في الجو وإنما حرمانه تماماً من هذه الميزة حيث كلى مدى الصواريخ المصرية يغطي ٢٠ كيلو متراً من قناة السويس.

(١٠) له بعد رحيل هذا القاصر وتولى الرئيس أنور السادات زمام السلطة بدأت تتهدد مصر مخاطر فتنة تودي بأهم عناصر صمودها وذلك بسبب مطامع وممارات بعض مراكز القوى المصرية، وقد بذل الرئيس السادات جهداً فوق طاقة البشر لكي يجلب القوات المسلحة مخاطر الانزلاق إلى لعبة مراعات القوى الداخلية وسجح في أن يحسم الأمر شاملاً بحركة التصحيح في ١٤ ، ١٥ مايو لتستأنف القوات المصرية المسلحة مراحل عملية البناء الشامل في مراح نفس ليس بمجرد العودة لمرحلة الانتعاش والردع والاستقرار وإنما لمواجهة شاملة وكاملة، وكان ذلك عبوراً من مخاطر الفتنة والانقسام إلى بداية العمل في صمت وصبر لمرحلة - قد تضرر وقد تطول - ولكنها لابد أن تنهى الأسطورة ولابد من هر نظرية الأمن الإسرائيلية (وكان ذلك هو الجور العاشر) الذي شمل من بين ما شمل

خططاً لتتصرك الميراثى الادعائى وخططاً للخداع والتضليل التكتيكى
والاسنر التوجي وخططاً للتسويق والحشد العربى، وظهرت ثماره يوم ٦
أكتوبر عندما بدأ العبور المصرى على امتداد قناة السويس.

ومن الواضح لى الذى مهد لكل ملحوظ فى ٦ أكتوبر لم يكن مجرد للمعجزة وحده
وبما كالى الإنسان العربى علما والمصرى على وجه الخصوص كالى الإنسان هو
رفض الهرمية هو الذى قدم الدم طواعية ثمناً للممود والردع والامتيازات وكفى
الإنسان هو الذى قبل طواعية أن يهجر مدنه الثلاث فى منطقة نقضا ليعيش حياة
النشظ والحرمان، ثم إن الإنسان هو الذى خطط لكل مراحل العبور المسابقة وكالى
صمم الأمن وراء مجاها مرحلة وراء مرحلة. وهما يتعلق بالمعجزة وأثرها فقد
كانت هى الأخرى من صنع الإنسان والعقل المصرى وولادة تخطيطه وتكبيره
وجهه

إن جماهير الشعب المصرى عندما خرجت فى التاسع والعشرين من يونيو ١٩٦٧
لم يكن مطلبها الوحيد هو أن يبقى عبدالناصر فى موقعه وإنما كالى يحررها ويدفعها
إسما عزم برفض الهرمية ورفض الاستسلام.

كالى كل دروس التاريخ .. قديمة وحديثة كانت مثابة فى أذهان الجماهير فاعلمهم
تذكروا أن بريطانيا وجدت نفسها عام ١٩٣٩ وقد بدأ حلفاها يتساقطون تحت وطأة
ألمانيا النازية ورغم ذلك لم تستسلم وقال رهبها تشوش كلمته المشهورة آنذاك 'إننا
نمى فى هذه الأوقات القويعة التى فقدت صيغتها وأصبحت حساسة ولا بد أن سنزوى
ولا بد أن نمكش ولا بد أن نرى للصدقة كما نعمل للقواقع التى نقتصد صندفها وننتقد
نرهبها'.

وأحبهم تذكروا كذلك أنه من الحرب العالمية الثانية -نفسها- ترجعت الولايات
المتحدة أمام اليابان فى بيرل هاربور وأنه فى نص الحرب العالمية الثانية -مراجع
الاتحاد السوفيتى أمام الغزو القازى حتى أبواب موسكو- لكن المنتج الذى خرجت فى
التاسع والعشرون من يونيو.. كانت فى أذهان الجماهير التى تطم أن النصر فى النهاية

لم يكتب لأكتفيا أو الجياني التتبع حضا لتتصارات ياهرة في أول الحرب وإنما النصر
تحقق في النهاية لم كانت لديهم القوة على الصبر والصمت وإعادة بناء القوة التي
صاغت لو محطمت.

إن الذين سيؤرخون هذه الفترة من تاريخ الشعب المصري سوف يبررون بحيز
جدال كل ما أحاط بظروف تلك الصاعقة الهزيمة من أيام التاسع والعاشر من يونيو
باعتبارها مطلقاً إلى معلة تحول خطيرة وبين علامات الصمود وحيوية الدور التي
انطلقت من روح هذه الأمة وإرادتها.

ولكن تكتمل الصورة لم يؤرخون هذه الفترة من تاريخ المصال الصعب والشنق
لأنهم سيتعرفون على لهما الصورة كما كانت في الواقع عداء للكسبة ولمسوف
بصنؤون بالدهول - بطبيعة الحال - حين تتضح لهم معالمها

لم يكن هناك ما يبعث على التفاؤل أو الأمل - غير روح هذا الشعب العظيم
وأصائله .. فقد كانت الحقائق العلمية المادية الملموسة تقول:

• إن حسانر القوات المسلحة في ميدانها العسكرية تجاوزت ٨٠٪ من حجم
المعدات.

• إن القوات المصرية المسلحة بقيت من تأثير الصدمة وروع الهزيمة مبعثرة
ومشتتة وشبه نكهة

• إن المحصلة العامة للقوات المسلحة لا تعطي في النهاية قوة قادرة سواء على
الدفاع أو الهجوم.

• إن العدو الإسرائيلي نجح في احتلال رقعة كبيرة من أرض فلسطين تسببه جريزة
سواء كلها" وإن قوته تتركز على امتداد الضفة الشرقية لقناة السويس

• إن للصحة العربية لقناة السويس والتي لا يفصلها عن الضفة الشرقية 'حيث يتركز
العدو" سوى عشرات من الأمطار لا يوجد عليها خط دفاع مصري حقيقي

- إلى السماء المصرية تكاد أن تكون مفتوحة تماماً حيث لا تملك أية طائرات تستطيع بها مراجعة طيران العدو إذا حاول الاعتداء على المدن المصرية
- إلى الطريق من السويس إلى القاهرة مفتوح بدون أدنى مقاومة.
- إلى الكلا في دهنول .. متأثراً بالصعقة من هول المعالجة التي نجمت من الهزيمة العسكرية المصرية للقوات المسلحة.

وعلى الرغم من هذه الصورة القاتمة فإن حركة الجماهير المصرية في ٩ و ١٠ يونيو كانت مصدر إلهام ومبعث قوة منحت القيادة السياسية المصرية مبرداً من الإحساس والثقة بالنفس. وكانت هذه الحركة الجماهيرية بمثابة الحط الفاصل بين الظلام الذي أطبق على الوطن والفرح الذي أسسكت الجماهير - يومئذ - بطرفه - وأثبتت جماهير الشعب المصري بهذا الموقف الرقيق أن رغبة من أرض ثوطن قد تسقط تحت أي يدي العدو ولكن لم تسقط أية رغبة من إرادته وليست قابلة للتسقوط تحت أي احتلال.

وكل ذلك أكبر مدعاة وأعظم مصدر للإلهام ويخير دفع التغييرات وإعادة البناء ويمكن القول بأن الاستجابة القوية من جانب القيادة السياسية لمطالب الجماهير كانت بمثابة نقطة للهداية إذا اعتبرنا أن حركة الجماهير بمثابة نقطة التحول . ففي اليوم التالي مباشرة للهيئة الجماهير في يوم ١١ يونيو صدرت القرارات إعادة التنظيم أجهره للقيادة العامة لقوات المسلحة بما يحقق هدف الشعب في استرداد كرامته .. ولم تكن هذه القرارات تعني مطلقاً تغيير القيادات فقط وإنما كل التغيير يمتد إلى بداية مهدت للعمل للرائع المجيد الذي تعدته قواتنا المسلحة بعد أكثر من ٦ سنوات من هذا التاريخ في ٩ أكتوبر.

كانت هذه القرارات تعني رفض اللطون الوسط ومواجهة كل المشاكل بالطريقة للصعبة التي يجب أن تواجه بها الأمور حتى لا تتكرر المأساة وكان لابد من إعادة البناء العسكري بصورة كاملة وكان لابد أن يتم ذلك في ظل غياب كثيره يصل

بمعناها إلى حد الإعجاز فضلاً عن مشكلة إعادة التنظيم نفسها على هائل مشاكل أخرى متعددة مثل إعادة التسلح وإعادة البناء المعنوي وتطوير وسائل وأسس التدريب ثم إلى الظروف القاسية التي كانت عجلة لبقاء تتحرك تحتها جعدت عمالية البناء أشبه بالمعجزة فقد كلفت القوات المملحة تحت تهديد العدو وفي مواجهة سير الحرب نسبة ملتهبة

ولقد كان من الطبيعي أن يختل العدو النصر السريع بمزيد من العنف العسكري والضغوط المعنوي لكي يمرق عملية إعادة البناء العسكري ولكي يتعرف باستمرار على مدى استعداد قواته بعد الانتهاء من مرحلة إعادة التنظيم . ولعل ذلك هو التفسير المقبول لتلك السلسلة المتصلة من المعارك التي وقعت على طول الجبهة عدة حرب الأيام الستة وأهمها من وجهة النظر العسكرية المصرية معركة رأس العش الشهيرة في يوليو ١٩٦٧ ومعركة إغراق المدمرة الإسرائيلية ثلاث في أكتوبر ١٩٦٧ أيضاً إذ أن أهمية هاتين المعركتين لا تتمثل في قيمة الملق بالعدو من خسائر خلالهما ولكن الأهمية في النتائج الهامة التي حققتها هذه المعارك والتي جاءت على عكس ما كان يخطط العدو ويتبنى.

فقد أكدت القدرة على الصمود في الدفاع في وجه الخطر المضيف. وساهمت في إعادة الثقة لأفراد القوات المملحة بأنفسهم وإعادة ثقة الشعب بقواته المسلحة كما هزت ثقة العدو بنفسه في النصر المؤقت الذي أحرز. ولتثبت أن الحرب للنفسية التي واجهها أفراد القوات المملحة قد باءت بالفشل وأزالت الرهبة الممنعة التي حاول العدو أن يشيعها عن قوته وسلحته.

كما اكتسبت القوات المصرية خبرة قتالية فضلاً عن تفهم أسلوب العدو في الحرب بطريقة واعية. وتظهر الروح القتالية للأفراد والقدرة على مواجهة العدو والحمل على دمه وإلى الروح القتالية مستمرة.

ولتثبت القدرة على مواجهة أي احتمالات جديدة، ولكنك مجاح خطوات البناء العسكري ولتثبت أنه يتم بصورة سليمة وعلى أساس علمي.

ومع عودة الثقة أصبح المناخ ملائماً لوضع خطة لإعادة البناء العسكري الجديد
موضوع التعميد حيث كان الأمر يتطلب مصارحة مع النفس بغير حدود وكان لصحا
في خطة إعادة البناء العسكري ضرورة الاستفادة للكلمة من الدروس المستفادة من
معارك عام ١٩٦٧ خصوصاً تلك المتعلقة بنقاط الضعف والقصور من جانب

وكاتب أولى الدراسات العسكرية للجادة من هذه الدروس قد ذكرت في معرض
تقديمها لتحليل أسباب الفكرة أن العدو الذي هاجمنا في ١٩٦٧ هو نفس العدو الذي
هاجم من قبل عام ١٩٥٦ وعام ١٩٤٨ ولانقول أن هذا ليس سهلاً وليس لرأسه
موضوعها أو استخلاص الدروس المستفادة من معاركه معنا إنما نقول أن هذا أول
سبوبة مما لم يختلف الوضع وأنه إذا حاولنا أن نتبين الدروس المستخلصة من
عملات ١٩٦٧ نجد أنها لا تختلف عنها عام ١٩٥٦ أو عام ١٩٤٨.

وفيما يتعلق بالدروس المستفادة من حرب ١٩٦٧ فإنها ذات شقين أحدهما يتعلق
بالعدو والآخر يخص بقواتنا.

وفيما يتعلق بالعدو فلهذه كانت أهم الدروس المستفادة مايلي *

- (أ) أن العدو بجهد الخداع والتفصيل في تصرفاته وتصريحاته لإخفاء نواياه
- (ب) أن العدو أكد بالهجوم القاطع قوياً وعملاً في نواياه توسعية وعلى معركة ١٩٦٧
لم تكن - على حد زعمه - دفاعاً عن النفس ضد عمليات الفدائيين للعرب
- (ج) أن العدو يهتم اهتماماً شديداً بالحرب النفسية قبل ولقاء وبعد المعركة
العسكرية مستمداً في ذلك بجميع وسائل وطرق الإقناع التي قد تصل إلى
استخدام القوة

(د) أن العدو يعتبر الروح المعنوية هدفاً استراتيجياً يسعى إلى تحجيره والمحافظة
عليه بجميع الطرق والتي قد تصل إلى حد القيام بعملات خاصة لذلك

(هـ) أن العدو يهتم كثيراً بزيادة عدد مؤيديه من الرأي العام العالمي برغم عدم
مشروعيته محططته وأنه يستخدم في ذلك جميع الوسائل التي يمكنه من استخدامها

أعداداً كبيرة من الكتب والمصنفين والفتاوى العلميين لهذا الغرض مستحبة هي ذلك بمخطط إعلامي ومدروس يخدم أهدافه ويدفع عن بطلانها.

(ح) أن التفوق العسكري الإسرائيلي في معركة يونيو ١٩٦٧ أساسه التخطيط الجيد للمعركة والتدريب عليها وليس ناتجاً عن قدرة خارقة وأساليب قتالية جديدة أو مسبحة، ولكي للعدو في معاركه السابقة معاً كان يتفادى دفناً للمواجهة المباشرة مع قواتنا.

أما فيما يتعلق بقواتنا فلقد كانت أهم الدروس المستفادة منها مايلي :

- أن كل خطوة نخطوها وكل عمل نقوم عليه يجب أن يكون مبني على أساس سليم ومدروس وبناء على تخطيط سابق ومنظم.
- أن التدريب للمعركة لا يتجزأ من التدريب العسكري للأفراد وكلامهم ضروري لرفع الكفاءة القتالية للقوات.
- أن التربية الروحية ضرورية إلى جانب التربية المادية - وسبقها - لبناء عقيدة سليمة من أجلها وعلى أساسها يضحى ويبتذل الفرد جهداً ومالاً ودماءً.
- أن القوات المسلحة لها مهمة واحدة فقط وهي التدريب والاستعداد وقت السلم والقتال وتحقيق النصر وقت الحرب.
- أن العبرة ليست بالسلاح وإنما بالرجال الذين يحملون السلاح وفي العبرة ليست بالعدد وإنما بالكفاءة والقدرة والإخلاص والجدية في التدريب.
- أنه من المحتمل أن تتم دراسة العدو - استعداده لملاكمته - دراسة موسوهرية لتكتيكاته وأساليبه الدفاعية والفضية وطبيعة حركته في المعركة.
- أنه من المهم الاهتمام بليست المعلومات عن العدو ودراساتها والاهتمام حتى بأبسط المعلومات عن قواتنا والمحافظة على سرينها وعدم إذاعتها

• أنه من الضروري الاهتمام بوسائل الدعاية والإعلام ووضع خطة متكاملة من أجل خدمة أهدافنا السياسية والاقتصادية والعسكرية والعمل على كسب مزيد من الرأي العام العالمي إلى جانب القضية العربية.

• أنه من الضروري ومن المهم أن يوضح الرجل المناسب في المكان المناسب.

• أنه من الضروري حشد كل القوى الوطنية والقومية سياسياً واقتصادياً وعسكرياً حشداً فعلياً للوقوف أمام الأخطار المحدقة بالوطن.

• إن الحرب أثبتت في أكثر من أربعة أخصاص قواتنا لم تشترك فعلياً في القتال وأن قواتنا المسلحة أثبتت قدرتها في المواقف التي أتتحت لها فرصة القتال وجهاً لوجه مع العدو الإسرائيلي، كما أثبتت هذه المواقف لحدرة المقاتل المصري على قهر العدو إذا واجه ظروفًا طهيمة ومكافئة، للتدليل على ذلك الإشارة إلى معركة القواء ١٤ مدرع في منطقة جبل لبنى ومعركة البراء ١١ مشاة في العريش.

• أن الحرب ليست مجرد سلاح وإنما الحرب لردة ضد لردة وأن النصر يتحقق للطرف الذي يستطيع في النهاية أن يفرض إرادته على صونه.

وضع عودة الثقة بنتائج الاشتباكات المحدودة ووضوح الرؤية بتحديد الدروس المستفادة من المعركة وأدت القيادة المصرية في أفضل مفاخ لإعادة قباء العسكرية في هذه المرحلة، هو أن يتم تفتت ثيران المدافع وزئيرها واعتبراً من ٨ سبتمبر ١٩٦٨ بدأت القوات المسلحة المصرية مرحلة جديدة هي مرحلة الردع بمد في تم بنجاح لجنابز مرحلة قصود خلال الفترة من ١٠ يونيو ١٩٦٧ إلى ٨ سبتمبر ١٩٦٨

وكن أبرز ملامح مرحلة الردع أنها تميزت بالقدرة على الصرب بشدة على يد العدو في حالة اعتدائه على قواتنا المسلحة أو السكالى للعديين في معطعة القواء كما تميزت هذه المرحلة أيضاً بإعلان قواتنا المسلحة صراحة أنها ستقوم بتتعيد سياسه

الدفع الوقائي تلك العملية التي نحى فيها متقوم بتكمير مواقع مدفعية للعدو وأسحته الصارية إذا ما شعرنا بأنه يستعد لعمل عدواني على المواقع العسكرية أو للمدن الأمة

إن معركة المدافع الشهيرة في ٨ سبتمبر ١٩٦٨ تتحقق أن نصف بعدها قليلاً، ذلك أنها كانت أول معركة بعد عام ١٩٦٧ تشمل كل قطاعات الجبهة المصرية فقد بدأ القتال في الساعة الثامنة من بعد الظهر عندما بدأ العدو في إطلاق بيريلى مدعته على مدينة السويس مستهدفاً المباني والمنشآت المدنية ولكن القيادة المصرية، المداتية - كين للواء أحمد إسماعيل في وقتها قائد الجبهة - قررت أن ترد للعدو بصرب مركل وشامل ليس في قطاع العريش وحده وإنما على طول امتداد الجبهة.

وقد أسفرت هذه المعركة عن خسائر فاحشة للعدو في الأفراد والمعدات ولكنها أسفرت كذلك عن هتيد من الحقائق والدلالات أهمها مايلي :

(١) أن العدو كما اتضح من بياناته عن المعركة . قد قبل وقف إطلاق النار بعد ساعة وخمس وثلاثين دقيقة من نشوب القتال ولكن القيادة المصرية لم ترد على هذا الطلب إلا بعد أكثر من ساعة وحين ردت فقد وضعت لأول مرة شروطاً لوقف إطلاق النار.

(٢) أن خسائر العدو كانت فاحشة فقد أسكت معظم وحدات مدفعية الخط التكتيكي الأول له، كذلك لحقت به خسائر كبيرة على حق بعيد في خطوط جبهته وكل من أبرز ظواهر المعركة تكبير ١٤ دبابة للعدو وكلفت على طرف التسلل أمام بور ثوبنيق. وكان جنود هذه الدبابات قد هجروها إلى الصحابي، أسم تركيز التيرل فصرحت هذه الدبابات تكسيرا كاملاً ومن التوكيد أنه لولا خسائر العدو الفاحشة لما كان هو القلاء بطلب وقف إطلاق النار.

(٣) أن القيادة العامة المصرية وضعت شروطين لقبول إطلاق النار هما أن يتمتع العدو عن أي دعم خلف لتطلق التكتيكي ولو حدث أي تحرك من هذا النوع فلي

القوات المصرية سوف تفتح النار عليه كما في القيادة أوضحت أنها سوف تباشر أعمال الدفاع الوقائي ضد القوات المصرية التي توجه نيرانها إلى المناطق المأهولة بالسكان.

٤) أن الحسائر على الجانب المصري كانت كلها خسائر طعيفة في الأرواح وذلك بسبب الكفاءة الممتازة للدفاع المدني .

ويبدو أن العدو لم يرتدع تماماً بما أصرت عنه حركة المدافع وبدأ بجرب أسلوباً جديداً للاستمرار مستغلاً فيه أسطورة التفوق الجوي الذي صحته نكسة ١٩٦٧ حيث لم يكن العدو يدرك أن القيادة المصرية قررت أن ترد على استنفراره وتحديه في الوقت والمكان المناسبين.

ولقد حالي الوقت بالفعل في الثانية من بعد ظهر الأربعاء ٢٣ أكتوبر ١٩٦٨ عندما اخترقت المجال الجوي المصري أربع طائرات إسرائيلية من طراز ميراج من جهة الشمال ثم انحرقت غرباً لتدخل فوق المجال الجوي للإسماعيلية فتصدت لها الطائرات المصرية للمقاتلة واتخذت الزوايا المناسبة بحيث أصبحت فوق طائرات العدو وخلفها بينما فتحت الطائرات الإسرائيلية تشكيلاً ثنائياً : (تقتل إلى أعلى وفي الخلف واثنين إلى أسفل إلى المقدمة) وفي اللحظة المناسبة صوت إحدى طائراتنا لندبة أشعلت النار في إحدى طائرات العدو وهي الطائرة التي قرر منها قائدنا بالمظلة ونجح في الهبوط على الضفة الشرقية وبعد لحظات تمجرت طائرته في البحر وتناثرت أجزؤها وفي ثوان صوب أحد طياراتنا نيرانه تجاه طائرة أخرى فأكسمل فيها النار وانعجرت على الفور وبمجرد تفجير هاتين الطائرتين هربت الطائرتان الباقيتان

وعندئذ دفع العدو بعدد آخر من طائراته إلى سماء المعركة خضعت لها مجموعة أخرى من طائراتنا المقاتلة وأصبحت طائرتين تقعرت إحداهما على البحر وقد انتهت المعركة بعد أن استغرق الاشتباك بالنسبة لبعض طائراتنا ٦ دقائق ولبست إلى ٨ دقائق مع البعض الآخر

ويعترف العدو أن يعترف بمحطته إحدى طائراته فقط - تلك التي سقطت عليها على الصخرة الغربية للقناة - وكان الاعتراف من جانبه بصرف القنطرة عن إخماد الحديقة - وهو مؤشر لهداية للقناة لدى العدو باعتباره أسطورة للشوق النوعي، كما كان لهذه المعركة أثرها البالغ في استعادة الطيارين المصريين لقوتهم بأنفسهم.

وأدركت إسرائيل أن مصر جادة تعلم أن سياسة الدفاع الوقائي وأن ذلك يكفلها خسائر في الأفراد أقوى من احتمالاتها ومن ثم بدأت في عملية لانسار الزمى على امتداد القناة كلها وخلف لانسار الزمى بدأت في إنشاء خط التحصينات للرهيب الذي اصطلاح على تسميته باسم خط بارليف نسبة إلى حاكم بارليف رئيس الأركان الإسرائيلي آنذاك.

وقد نجح العدو في إتساع هذا الخط كتمت ظل الحديقة الجوية، ولقد ردت القيادة المصرية في هذا - في ضوء هذه المذكرات الجديدة - مرحلة من العمل العسكري الأكثر فاعلية ونشاطاً ووضعت في اعتبارها ضرورة تكميل هذا الخط الدفاعي وإحداث أكبر قدر ممكن من الخسائر في الأفراد العدو وكسر حائط الخوف والرهبة عبر القناة.

وقد دخلت الخطة الجديدة موضع التنفيذ اعتباراً من ٨ مارس ١٩٦٩ حيث بدأت المنفعة المصرية لسمياً شديداً ومتمولاً بصورة يومية ضد مواقع العدو في خط بارليف، وفي نفس الوقت بدأت سلسلة من العمليات الانتحارية ليلاً ونهاراً داخل مواقع العدو وبلغت حد العبور والاحتكام بكثر من مرة، ولم تفلح عمليات العدو الجوية المكثفة في وقف طوافي الاستنزاف المصري لقوته.

وفي ظل هذه العمليات المجددة وتمت ليومها بدأت مراحل العمل داخل وحلف خطوط العدو إلى الحد الذي يمكن القول فيه - بعيد معالجة - أنه منذ بداية حرب الاستنزاف وحتى نشوب حرب أكتوبر فإن أرض سيناء الطاهرة لم تحل قط من رجال الاستطلاع المصريين العاملين خلف خطوط العدو وفي كانت سببتهم قد انحصرت - وذلك أمر طبيعي - خلال فترة وقف إطلاق النار السابقة على حرب

أكتوبر وكانت مهمة دوريات الاستطلاع المصرية تتجاوز أكثر من مجرد الملاحظة وجمع المعلومات، كل عليها أن تنصب الكسوف وأن تحصل على الأسرى كمصدر من مصادر المعلومات التي كانت تولتا بحاجة ماسة إليها في هذه الفترة

وقد وقع أول أسير إسرائيلي بعد حرب ١٩٦٧ وهو الشقيب داني ليفيدل شمعون عي بدولتنا يوم ١٤ ديسمبر ١٩٦٩ - بواسطة كمين تهاوى في منطقة مرنابوم أسير عن كمير عربة جيب وقتل جنديين.. الكمين التهاوى نتوالت وبدأ الأسرى الإسرائيليون يقعون في أيدي رجال الاستطلاع قباحاً.

ولم يكن تجميع المعلومات أو الحصول على أسرى - كمصدر حصص للمعلومات - هدف هذه الكساتن والدوريات كما ألفت، وإنما كانت هناك مهمة أخرى كان على هؤلاء الرجال أن ينفذوها مع فداقتهم الدروس المستفادة من قتالهم مع العدو.. تلك الدروس التي كانت موضع اعتبار عند وضع خطة عمليات ٦ أكتوبر فقد أوضحت كساتن إغارات حرب الاستنزاف عديداً من الدروس المستفادة أهمها :

(١) أن العدو لا يضع في اعتباره إمكان مهاجمته تهاواً ومن ثم فقد تحففت المفاجأة أكثر من مرة بمهاجمته في صبح النهار لأنه لا يخطر أبداً

(٢) لقد ثبت أن العدو لا يتمكن من إبداء أية مقاومة تذكر عندما يهاجم بالهجوم ورشم تدخل احتياطاته ضد معظم الكساتن والإغارات إلا أن دوريات الاستطلاع المصرية تمكنت من تعذيب مهمتها بالسرعة والدفقة المطلوبتين ومنع الاحتياطي من التدخل تحت ظلال مظلة التأمين المصرية بالقصف المدفعي.

(٣) أن العوامل الرئيسية في نجاح كساتن وإغارات دوريات الاستطلاع تعود أساساً إلى السرية الكاملة والدفقة في التخطيط وحسن الاختخاب لمنطقه الكمين وإحداث المفاجأة برسائل الخداع - والسيطرة الكاملة على أفعال الكساتن بواسطة القيادات الميدانية المتخصصة وأهم من ذلك كله هو الاستطلاع المسبق الجيد للهدف والتسلح.

٤) أن الوسيلة الوحيدة لتحطيم خط بارليف هي الهجوم المباشر بواسطة الفرقة للمشاة.

مع تزايد درجة الثقة لدى المقاتل المصري في العبور والاحتطام ومواجهة العدو داخل شمل ملاحق خط بارليف كل يوم بقاء القوات المسلحة يسير هو الآخر بسرعة منذ أن تولى اللواء محمد حملي ميارك مسئوليته كرئيس للأركان ثم كقائد للقوات الجوية. وإزاء النجاح الذي حققته سلسلة العمليات المصرية الخاصة لجأ العدو إلى توسيع نطاق رده وبدأ منذ ديسمبر ١٩٦٩ في محاولة ضرب الحق المصري وكان ذلك إيذاناً ببدء أروع ملحمة من ملاحم الإعداد المصري لعرب أكتوبر ملحمة بناء شبكة الصواريخ المضادة للطائرات، التي أثبتت وجودها تماماً - في أسبوع تساقط الفلانتوم - لتبدأ مرحلة جديدة وهامة لنقل استراتيجيات وتكتيكات القوات من مجرد العمليات المحدودة إلى التجهيز العملي الاستراتيجي المشتركة فقد كانت التوقعة قد نهجت إلى تكوين صفاتها في النهاية ١

الوقت الخامس

الوقت الخامس



وربما يكون ضرورياً أن تطرح هنا بعض تصورات كبار الكتائب الاستراتيجية العالميين معهم ومعنى الاستراتيجية فالجنرال أندريه بوفر مدير معهد الدراسات الاستراتيجية الفرنسي يقول عنها في الاستراتيجية هي فن استخدام القوة للوصول إلى أهداف السياسة أو المروخ العسكرية القيرطاني الشهير ليحل هزرت يقول: 'إن الاستراتيجية هي فن توريح واستخدام مختلف الوسائل العسكرية لتحقيق هدف سياسي معين'

وبصرف النظر عن الخلافات التقنية في تعريف الاستراتيجية إلا أن هناك اتفاقاً تاماً بين مختلف خبراء الاستراتيجية على وجود استراتيجيات متعددة بينها مثلاً الاستراتيجية السياسية والاستراتيجية الاقتصادية ومجموعة هذه الاستراتيجيات هو ما يعبر عنه باسم الاستراتيجية الشاملة والتي تكون دوماً هادئة في تخطيطها وتنفيذها لأعلى مستويات الحكم في أية دولة.

وهذه الاستراتيجية الشاملة لإسرائيل هي التي كان يقصد الرئيس السادات - بقرار للحرب - أن يهزمها ولي يهزمها حزاً حقيقياً.

إنهم في إسرائيل بعد ٦ سنوات من محاربه ١٩٦٧ قد بدعوا متصورين - وهماً - في ظل استمرار حالة اللاسلم واللاحرب في خطوط استراتيجيتهم تجاه مشكلة للشرق الأوسط باتت محصورة في عدة نقاط وينتهي على إسرائيل أن تهني نفسها لتكريسها والنفاق عنها وهذه النقاط هي :

أولاً : تكريس واقع الاحتلال للأراضي التي تم الاستيلاء عليها في حرب عام ١٩٦٧ ورفض الوجود اليهودي عليها.

ثانياً : تهيئة المناخ الدولي الرسمي والرأي العام العالمي للشعبي لقبول الأمر للوضع ثقتاً لحماية هدف تكريس الاحتلال وجعله مقبولاً - دولياً - قبل على إسرائيل ألا تكف عن المطالبة باحتياجات أمن إقليمية أخرى واستمر في العمل على لاحتلاله دون نمو قوة عسكرية مؤثرة ليقضاء من حصلت التفصيل والتقدير

وبلوغاً إلى إمكان الاجوء للضرورة الوقفية لإجهاس أي عمل عسكري -
محتمل

رابعاً - ضرورة توفير كل عناصر القوة عسكرياً واقتصادياً وسياسياً ودعائياً على
المستويين المحلي والعالمي لتنفيد خطوط هذه الاستراتيجية المرحلية دون
الوصول إلى التزام كامل بحدود الدولة صمماً لاستمرار مطالب التوسع

ولي صوء ذلك في إسرائيل يجب أن تظل في حالة استعداد دائم وكمال للحرب
ضد العرب وأن تحول دون إمكان نجاح العرب في مقابلاتها أو مباغتتها

وقد عمدت إسرائيل - بمساعدة فعالة من الصهيونية العالمية - إلى خلق مبررات
هذا التلصت في موقفها من مشكلة الشرق الأوسط وما يتروى عليه من استمرار حالة
التوتر في المنطقة بالأدعاء بما يلي :

(١) أن للعرب يرفضون الاعتراف بوجودها ومزاولوا مصممين على إبادتها
ويرفضون إنهاء حالة الحرب معها.

(٢) أن العرب ليسوا على استعداد لقبول حقيقة الوجود الإسرائيلي في شكل حدود
ثابتة ومستقرة.

(٣) أن الادعاءات العربية المتكررة على إسرائيل واستمرار انتهاج الدول العربية
لخلق بذور العداء ضد إسرائيل بين شعوبها هو الذي يؤكد حاجة إسرائيل
المستمرة إلى أرض جديدة تسولي عليها لتأمين وجودها وإلحاح تطبيق خطط
الإبادة عن تجمعاتها المكثفة.

(٤) أن إسرائيل سحاطة بالأعداء من كل جانب وليس هناك استقرار في معظم الدول
المحيطة بها ومن ثم فهي تختشى دوماً أن توقع لقاءاً قوياً ثم بهار غداً بعمل
انقلاب أو ثورة تطيح بحكومة الدول العربية الموقمة للاتفاق معها

٥) لن إسرائيل تعمل على رفع مستوى المعيشة في المنطق التي تحتلها وتساهم في تمهيدها دور المصالحة بالحقوق الأهلية والمهنية لسكانها العرب إلا يجب يتعلق بضرورة الأمن والانتعاش الإسرائيلي ... وما أكثرها ٦١

ولقد كان مصالح القوادر المصري يدرك تماماً أن أبعاد الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية التي تنبثق من استراتيجية العدو الشاملة والتي ينبغي عليه أن يهرمها تتحدد فيما يلي :

أ- لن إسرائيل لا تستطيع شن هجوم عسكري ضد العرب حتى ولو كان في إطار ما يسمى بالضربة الوقائية إلا إذا توافرت له ظروف محلية وقوية كترابيد حدة الانقسامات العربية مثلاً وفي ظل مناخ دولي ملائم يسمح لهجومها بأن يكرس نتائجها.

ب- أنه في حالة توافر المناخ المحلي والدولي الملائم للهجوم على إسرائيل سوف تحتاج لفترة لا تقل عن أربعة أسابيع لخلق الأزمات وزرع بذور الفتنة والاختلاف المبررات التي تصمد للضربة الأولى من جانبها.

ج- أن العمل العسكري الإسرائيلي سوف يستلزم ضرورة جمع المعلومات الكافية عن القوات العربية وقدراتها لضمان عدم توجيه ضربة خاطئة - لو خابت - سوف تكون نتائجها مدمرة على إسرائيل.

د- أن العمل العسكري الإسرائيلي سوف يشهد من مسرح العمليات أبعاداً رئيسية ثلاثة هي المعالجة والفرصة والمغامرة بحيث يتحقق لها في أقصر فترة ومنه هدف الاحتراق والتطويق.

هـ- أن إسرائيل لديها القدرة على تحمل حرب طويلة الأمد لأن ذلك يمر من الاقتصاد والوجود الإسرائيلي لمخطر لا يستطيع احتمالها أو استيعابها.

و- أن الاستراتيجية الإسرائيلية ترى أن الهزيمة لإسرائيل تعني الموت ومن ثم فلا خيار لخبراء الاستراتيجية الإسرائيلية في تخطوهم إلا بين النصر أو الإبادة

ر - أن إسرائيل ليست لديها القدرة على إلحاق هزيمة كاملة بالعرب ومن ثم فإن معطيات الاستراتيجية الإسرائيلية تقوم على أساس كسب معركة وراء معركة.

جـ - أن إسرائيل لا تقدر على المعاصرة وحدها بشن حرب دون أن تضمن توافر الدعم العسكري السياسي والأجنبي لها.

ولم تكن معطيات الاستراتيجية العسكرية - التي استهدف السلاط مرهمب - مجرد مجموعة من المبادئ اعتمدها الصهاينة وزينوها وفق هواهم وإنما جاءت هذه المعطيات كخيار وحيد لا بدليل منه في صوره مجموعة من الظروف التي تعبط بدولتهم المزعومة وهذه الظروف على سبيل المثال وليس على سبيل المصير هي :

(١) أن إسرائيل لا تملك عمقاً استراتيجياً كافياً يمكنها من حرية الحركة والمناورة ويسمح لها بثبني نظام الغارات المتتالية.

(٢) أن حجم القوى البشرية الإسرائيلية لا يتناسب بحجم القوى البشرية للعربية المحيطة بها.

(٣) أن إسرائيل لا تستطيع الاحتفاظ بقوة عسكرية ضخمة طويلاً فلو كانت هي تكتفي بقوة عاملة محدودة الحجم بينما تقوم الجيوش نفسها من الاحتياطيين الذين تجري تعبئتهم بكثافة مرة عند الضرورة.

(٤) أن القدرات الاقتصادية المحدودة للكيان الصهيوني لا تسمح له بالدخول في حرب طويلة الأمد أو تحمل خسائر فادحة في الأفراد أو إلقاء قوات كبيرة في الخدمة لمدة طويلة.

(٥) أن إسرائيل لا تستطيع القتال في أكثر من جبهة واحدة في وقت واحد وإذا واجهت هذا الخطر فإنها تلجأ إلى حشد مجهودها الرئيسي في جبهة واحدة وتكتفي في الجبهات الأخرى بالمشاهدة والدفاع التسيبي حتى تنفرع من الجبهة

الفرنسية وتنتقل لبقلى الجهات قباعاً وتلحظ الجبهة الأكثر تديداً لعمها الأوليه
فى المجهود القومى.

وكان صانع القرار المصري يدرك تماماً أن الهجوم حلصة الهجوم غير المباشر يعتبر للمبدأ الأساسي من مبادئ العسكرية الإسرائيلية وأن إسرائيل تنسى جميع خطتها وترسم كافة تصوراتها على أساس ذلك وأنها تبذل كل ما في وسعها لمحاكاة فرمى الوضع الدفاعي عليها لما إذا اقتضت الحاجة في ذلك فبإل عليها أن تنتقل بسرعة من الدفاع إلى الهجوم.

والإسرائيليين بالخصوص منطلقهم هذا بالقول بأن الهجوم هو خير وسيلة للدفاع وقد عبر عن ذلك جاييم بارليف رئيس الأركان الإسرائيلي السابق عندما صرح في عام ١٩٦٨ وكان يشغل وقتها منصب رئيس الأركان - بقوله : «تكني مؤسس بأن استراتيجيةنا التي تعمل راية الهجوم خير وسيلة للدفاع هي التي تشكلت للحرب القادة ولن هذا الأمر قد لا يحدث في المرحلة الأولى من الحرب وإنما لا أقول بأن نقل الحرب سيكون في الساعة الأولى ولكنني أقدر تماماً بأن جيش الدفاع الإسرائيلي سيحارب أرض العدو في المستقبل أيضاً».

وكثيراً .. وكثيراً غير هذا من مفاهيم ومبادئ المذهب العسكري الإسرائيلي التي تشكل درع الاستراتيجية الهزيمية الشاملة لإسرائيل كانت مغلفة في دهر الترميم للمدات صدماء لتلك أفرار الحرب واستهدف به أكثر من مجرد الهزيمة العسكرية لإسرائيل وهو الحيل الهزيمة الاستراتيجية بقيادة الفرور الإسرائيلي.

ولذا لم تكن خطوط الحركة التي رسمها الرئيس السادات فكوس مطلق عمل للمواجهة الشاملة سوى خطوط ذكية وهادئة وماتكة في مواجهة كل مستويات الحرك الإسرائيلي واستطاعت تلك التحركات الذكية الهادئة والماتكة أن تحقق للسادات ولأمنه العربية ما أراد بأن تفرغ الامتدادات الإسرائيلية من مصادرها الحضرية ولت يهرمها ونهرها هرا هرا

ولكن كيف كان ذلك ؟

ماذا قال سعد ما منون لكبير الخبراء السوفيت ؟

خلال الاجتماع التاريخي للمجلس الأعلى للقوات المسلحة في نهاية عام ١٩٧٢ كان الرئيس انور السادات يتردد تلمساً وهو يتخذ قرار الحرب حجم المشكل العويصة التي منحتهم على رسم الحطة المصرية أن يصورها في اعتباره وأن يعمل على تبنيها، ولكنه كان يثق بمبدأ في أن الفكر المصري سوف يستلهم في بحتنا كل عقبة وأل بحلول مايقصوره الخبراء العالميون مستحلاً إلى أمر ممكن

لقد كان على رسم الحطة المصرية بعد أن صدر إليه أمر القائد الأعلى للقوات المسلحة أن يصح في اعتباره كل الاحتمالات المطروحة سواء عن طبيعة تركز العدو أو حدود ردود فعله المختلفة وكيفية تصليب العدو وهرماته من اكتشاف نواياه مبكراً . الخ.

وفي البداية كان السؤال المطروح هو .. هل سيكون نظام في إطار وحجم ما مارسانه من قبل في ظل حرب الاستنزاف أم أنه من الأفضل أن نفكر في سعيه عمل أكبر من هذا الإطار ؟

ولقد أجاب المجلس الأعلى للقوات المسلحة على هذا السؤال دون حاجة إلى نقاش طویل، كان هناك إجماع على أن حرب الاستنزاف قد استنكت أضرارها فضلاً عن أن إسرائيل لن تقبل بممارستها لاستنزاف حقيقي ضحها ومن ثم فإن الاختيار الوحيد أمام إسرائيل سوف يكون في إطار الرد بمصرية قوية مؤثرة تصل إلى حد إجهاد هدف استنزافها فضلاً عما يمكن أن يشكله رد الفعل الإسرائيلي من تأثير على مآل انجازه في عملية إعادة بناء القوات المسلحة.

وقد أقر المجلس الأعلى للقوات المسلحة في اجتماع لاحق في ربيع عام ١٩٧٢ حدود العملية العسكرية بأنها عملية حربية هجومية ذات طابع خلس من يتسبب كامل وفي إطار عمل مشترك مع الجبهة السورية.

وبعد تحديد الهدف من العملية بدأت دراسة تفصيل هذه العملية وكيفية التعامل على المشاكل التي تواجه تنفيذها.

كأن ملهوم للصفاء الحربية الهجومية أن تعبر القوات المصرية قناة السويس وذلك في حد ذاتها مشكلة.

وكان على قوات العبور المصرية أن تواجه بعد ذلك خط القذميينات الرهيب المعروف باسم خط بارليف وذلك أيضاً مشكلة !

وأهم من ذلك كله كانت هناك مشكلة رئيسية هي كيف يمكن أن نخفى بولينا عن العدو ونحرمه من احتمال اكتشاف هذه القوايا والتمكن من تنفيذ ضربة وقائية نهضت معطياتك قبل ساعة الصفر ؟

وفيما يتعلق بالمناخ المائي فإن قناة السويس تعتبر مانعاً مائياً هريداً له مواصفات خاصة بسبب الانحدار الكبير لشاطئها مما يتسبب في إعاقة نزول أو صعود المركبات للمراكبة إلا في ظل تجهيزات هندسية خاصة

وفيما يتعلق بالأسائر القواي فقد كان ارتفاعه يتراوح بين ١٠ إلى ٢٤ متراً ودرجة انحداره على شاطئ القناة مباشرة تجعل من المستحيل على أية مركبة برية أو مائية اجتازه أو اجتازه إلا بعد إزالته تماماً.

لما خط بارليف فإنه عبارة عن مجموعة من القنط القوية الحصينة جرى انتخاب مواقعها على طول القناة ووفق تخطيط مدروس يسمح لها بالتمكن التحكم في جميع الاتجاهات وهران أية قوة عبور من تنفيذ مهمتها بفعل درجة نيران كثيفة ومركزة. هذا فضلاً عن أن خط بارليف جرى منذ عام ١٩٢١ تحريه بخرانات للسود الملتحية بسع كل واحد منها ما يساوي ٢٠٠ طن من المواد الملتحية على مسافات متقاربة بحيث يمكن للعدو أن يدفعها فوق سطح الماء ثم يشطبها فيتخول سطح القناة إلى حمام ملتهبة تحرق كل شيء.

وبطريقة عمودية مبسطة فقد كانت صورة الموقف أمام راس الحطة المصرية تتحدد خطوة بخطوة في شكل مشاكل يتبعى البحث لها عن حلول وعلى مبدئ المثال مبدئ تولد في العدو محصن تماماً في خط بارليف الذي لا يمكن تغيير المنفعة لأن سيزان المنفعة لا تؤثر فيه.

ثانياً أنه لا يمكن استخدام الطير في المصري ضد مواقع خط بارليف من الناحية العمادية لأن القوات المصرية تتركز على بعد ٢٠٠ متر من هذه المواقع "عروض قناة السويس".

ثالثاً: أنه فضلاً عن التحذير شاطئ القناة ومشاكل المد والجزر فيها واختلاف سرعة التيار من منطقة لأخرى فإن القنطرة الترابية المرتفعة لحاد الانحدار قد أثبتت كل التجارب استحالة إقامة بواسطة قوى صرديات المدعية وأنها تركزاً.

رابعاً: أن المجهود الحربي المصري لا يملك العدد الكافي من طائرات الهليكوبتر التي تسمح باجتياز هذه العقبات ونقل القوات المصرية مباشرة إلى مواقع عملها فوق الضفة الشرقية لقناة السويس

خامساً: أن الوسيلة الوحيدة لعبور القوات المصرية لقناة السويس تكون بواسطة الفراد للمشاة المتواجدين.

سادساً: أن الصعي ما يستطاع أن يحمله فرد المشاة عند عبور القناة هو بعض أنواع المدافع المضادة للدبابات حتى وزن ٣٥٠ كجم مثل الـ ب-١٦ وابتداءً بـ أن بي-٧ مع العلم بأن الصعي مرمي لهذه الأسلحة لا يتجاوز ٦٠٠ متر.

سابعاً: أن وسيلة عبور المشاة للقناة سوف تكون قوارب من المطاط.

ثامناً: أن الحد أنشأ على كل ٢٠٠ متر من القنطرة الترابية مرفص دبابات لإمكان استخدامها ولا يظهر من هذه التغيرات المخدعة سوى موبسرة.

تلسعاً أن يجمع احتياطات دبابات العدو تتركز على أبعاد ٣، ٥، ٨، ١٥ كم للقيام
بالتجهيزات المصانة ضد القنابل التي تعبّر بالتعاون مع الطيران وبيران
مدعّيه

عشرًا أن كل موقع حصين من مواقع خط بارليف مرود يمولد إشعال بصل حجمه
في كل موقع إلى ٣٠٠ طن وأن هذه المواد الملتصقة تستطيع تحويل العماء إلى
كتلة من الحديد مسلاً عن أن العدو يقدر تماماً أنما سوف يعبر بواسطة
قرب من المصاطب.

حادي عشر : أنه في ظل أحسن الظروف فإن الأسلحة الرئيسية لن تستطيع عبور
للغذاء قبل مدة زمنية تتراوح بين ١٢ إلى ٢٤ ساعة وذلك يعني أن الأفراد
المشاة سوف يتخضع عليهم أن يقتاتوا وحدهم طوال هذه الفترة ضد طيران
مدرعات وأفراد العدو. وقد كان المخطط المصري يتكلم في ذهنه باستمرار
أراء الخبراء العالميين الذين يقدرّون حجم هذه المسائل ويصلّون بها إلى
درجة لا متناهية بما في ذلك خبراء الدول الصديقة. وعلى سبيل المثال فإن
من بين الترويلات التي لم تعد سراً أن أحد كبار الجنرالات السوفييت المبررين
رأى الجبهة المصرية في فبراير ١٩٧٣ ونحطى الحد الأسفل للدفاع وشاهد
بعينه مواقع خط بارليف ولقصر القنابل الرهيب، وكان يرفقه اللواء سعد
مأمون، قائد الجيش الثاني لندائه، وملا الجنرال السوفييتي على قائد الجيش
المصري قائلاً : 'ما هذا الذي على للشاطئ الآخر من القنابل ؟ هل مكرّم في
كيفية اجتياز هذا القصر وكم يتدرون من الوقت لاجتيازه ؟ ' .

وصف قائد الجيش الثاني المصري يرة وتذكر أن أسرار التخطيط للضرب
القائمة ليست مادة للتداول والتفكير - ولو مع الأصدقاء - ومع ذلك فقد دارب في ذهن
القائد المصري عدة اعتبارات وقرر أن يفاجئ الجنرال السوفييتي بما يذهله على الرغم
من أن التخطيط المصري حتى ذلك الوقت كان يقدر أن مثل هذه العملية سوف
تستغرق من ٧ إلى ٩ ساعات فإنه بلغ الجنرال السوفييتي قائلاً : من ٣ - ٤ ساعات

وكان الفائدة المحسوسة في هذا بفتح إجابته متوتراً بجمع بين السرية في حفظ أسر
الخطيط وبين الحمل في ذكر الرقم الحقيقي وهو من ٧ إلى ٩ ساعات

ورد الجنرال السويدي قتيلاً - في ذلك مستحق إلى هذه الفترة ٣٠ ساعات -
سواء تكلمكم غالباً في كيف يستطيع اقتراف المشاة الحربيين الحمود أمام صربان
الطير في والمزوعات الإمروثية ولستطرد الجنرال السويدي قتيلاً - عزيرى الجنرال
مأمون فيكم بهذه تصبغون أنفسكم في مآرق جرح فسوف تحاربون كب ما كنتم في
الحرب للعالمية الأولى بينما سيحاربكم العدو بأسلوب لقرن العشرين وأثارت هذه
للردود حفظة النواء سعد مأمون حارب الجنرال السويدي. قتيلاً - وهل لديك أنت حل
آخر؟ فقال الجنرال السويدي - لا ليس لدينا حل لهذه المشكلة المعقدة ورد النواء
سعد مأمون قتيلاً : إن دهنوا بفكر وسعقل ما في جهنماً

وبالتطوع لم يصدق الجنرال السويدي - لذلك - أن مصر تقدر أو حتى تفكر في
مواجهة هذا التحدي الرهيب وكان ذلك بعضاً أحد أسباب نجاحها في العبور لأنه لا
العدو ولا الصديق يتصور أننا نستطيع؛ إن أسباب النجاح المصرية في عملية العبور
تم تكن وليدة حظ مفاجئ أو بركة حلت كما لم تكن ناشئة من عبء العدو أو سوء
تقديره.

كانت هناك أسباب كثيرة ترجع إلى جدية الإمداد وحلقة الخطيط منذ اللحظة
الأولى كن العاملين في القيادة العامة للقوات المسلحة بدا ولحده وقفاً واحداً والصعب
كل الجهد على محاولة حل هذه المشاكل وتخليها وفي سبيل ذلك كان قادة الجيوش
يسألون الجود فراءهم في كثير من المشاكل.

كان هناك إجماع في البداية على أننا كنا - وذلك محتم - سوف نبحر بالمسار
وسوف بعضى وقت طويل قبل أن يتم تعزيزهم بالمعدات فلابد من توفير أكبر قدر
من الحماية لهؤلاء الأكراد

وكان الحل الوحيد والمطروح لمجتمع الكل هو ضرورة توفير للعهد الكلى من الصواريخ المصادة للدبابات بحيث يكون أسلحة الصمود في الفترة الأولى الخامسة هو روح الرجال العالية وتسلحهم المصدا للدفع. وكان المشير أحمد إسماعيل على في كل اجتماع يحاول طمأنتهم إلى أنه سوف يستطيع توفير هذه الاحتياجب لكي يضمن الإعداد نفسه بوجه القوة والقاطبة ولكي تظل الروح المعنوية في فترة الإعداد للمعارك في نفس درجتها المرتفعة جملها وعطاء ولكنه كان في حقيقة الأمر يحمي عنهم تفاصيل مشكلة نشأت مع الاتحاد السوفيتي حول توفير هذه الصواريخ الدفاعية. وليس سرا أن نقول في جزءاً من الصواريخ المصادة للدبابات وصلت قبل بدء الحرب بأربعة أشهر فقط.

وكان لابد للمخطط المصري أن يبحث عن وسيلة مساعدة من الخسفة الغربية لتأمين العبور وإبطال معول السائر الترابي الذي يحجز عن قواتنا في الضفة الغربية من القفازة بمكان رؤية ما يجري على الجانب الشرقي من القفازة وعلى مدى عشر شهور كاملة من العمل المصري والثنائي مع إنشاء مجموعة كبيرة من مصاطب للدبابات على شكل قبيل عالية جرى التخلب لملئها بدقة وحساب بالخير خلف المستر الترابي الذي أنشأه على الشاطئ الغربي للقفازة.

وكان على المخطط أن يبحث عن حل لإحدى المشكلات الرئيسية التي سوف تواجهه فرد المشاة العابر في الموجات الأولى إذ في أقصى ما يستطيع حمله من الدخائر لا يتخطى لأكثر من ٤ ساعات والعدى القتل المصري إلى حد أنه يبدو بذاته في فكرته لكنه عميقاً في نتائج وشم تصنيغ عرفت جر نسباً بالحفر وتسرّب أفراد المشاة على حملها على أكتافهم داخل قوارب المخطط وصمود السائر الترابي بها

وكان تقدير المخطط المصري يصح في اعتباره أن القلعو مسموحاً بيبقى حرماته منها كما أن له عيوباً ينبغي استغلالها واستثمارها كالحصن ما يكون.

لم يكن أحد في القيادة العظمى للقوات المسلحة المصرية يكاير أو يصح راسه في الزمالة وإنما كفى الكل يرى ويصحب ويقتدر ومن ثم فقد كانت هناك قناعة بأن العدو

منفوق جوباً ومفوق تكنولوجياً وفيه يعرر ذلك بتكريب دقيق سليم على أحدث الأسس والأساليب العلمية وفيه يستند اعتماداً رئيسياً على صمات بجذات وإبداعات سريعة من الولايات المتحدة الأمريكية

وكذلك لم يكن لدى القيادة المصرية للقوات المصرية المسلحة صبح العدو في أكبر من حجمه الطبيعي أو يصور في شكل الغول أو الأسطورة كل الرجال القائمين على ثنور القوات المسلحة يعرفون تماماً نقاط ضعفه على شكل عدة حقائق لا يرقى إليها شك ومن بينها مايلي - استناداً إلى تصريحات المشير أحمد إسماعيل -

• أن نتائج حرب ٦٧ جعلت خطوط مواصلاته طويلة ومرهقة في الشمال تمتد خطوط مواصلاته عبر الجولان كلها وإلى وراء مدينة القنيطرة وفي الجنوب تمتد خطوط مواصلاته إلى الشاطئ الشرقي لقناة السويس عبر شبه جزيرة سيناء كلها ثم إلى خطوط مواصلاته تجاه الجبهة الأردنية تمتد بطول الضفة الغربية لنهر الأردن.

• أن الوضع الاقتصادي الإسرائيلي وظروف التقنية لأفراد الاحتياطي تحول دون إمكان صمود العدو في مواجهة حرب طويلة وساخنة

• أن ظروف القوة البشرية الإسرائيلية المنحدرة تجعل العدو يرجع نفسه ألف مرة ومرة قبل التصحية بحسب بشرية كبيرة. وترتباً على ذلك فقد كان قرار المخطط المصري بأن تكون الضربة كبيرة ومشتركة بحيث تشمل الجبهتين المصرية والسورية في وقت واحد، وكل قرار المخطط المصري بأن يكون الهجوم المصري على طول المواجهة كلها معرض يصل إلى ١٨٠ كم وليس في أحسن مناطق العبور فقط

وكي ذلك يعني من وجهة نظر المخطط المصري - وقد ثبت بالفعل صحته - كما صرح المشير أحمد إسماعيل - يساعد على حرمان العدو من أهم مميزات الاستراتيجية والتكتيكية.

بحور العرق وقطرات الدم

في ذكرى هذه الأيام المجيدة لأجد لأجيال جديدة أن تعرف الحقيقة، وأن تدرك أن الطريق إلى العلي لم يكن مجرد ذريعة، وإنما كل تدريبات مكثفاً تلاعبت فوق سطحه بحور من العرق محتلفة بقطرات الدم.

كان العقل المصري، في وجه أصعب اختيار من أجل وضع التصور الأمثل لمعركة ناجمة في ضوء إمكانيات المتاحة، وكانت البدائل تتوالى لصنع ابتكارات جديدة لا تخطر على بال أحد من أجل تفادي الصعاب التي تقف في طريق المهمة المقدسة، وإنجاز هدف العبور الذي كان هناك شبه إجماع بين معظم الخبراء العسكريين في العالم على أنه هدف مستحيل، إلا إذا قام المصريون بعشرات الألوف.

كانت جراح الهزيمة القاسية عام ١٩٦٧ مزالمت تصكرف الدماء ولمشاخر على حد سواء .. وكانت حالة الانسحاب واللاحرب قد فرضت نفسها على الموقف وبذت وكنيتها الأمر الواقع الذي لا تكلف منه!

كس المناخ العام داخلياً وعربياً ودولياً قد فرض حقيقة لا يمكن لأحد أن يتجاهلها أو يتهرب منها، وهي أن المعركة لم يحد مكثفاً تأخيرها، وإنما إذا تأخرنا عن ذلك فقد لا تتاح لنا الفرصة قبل عشرات السنين!

كانت صفوف الحرب النفسية ضد شعبنا ومد امتداد بلغت ذروتها إلى الحد الذي قال فيه الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون في مايو ١٩٧٣: "بئس لا أصرف ل مصر بلد عربي" بينما قال مستشاره لشئون الأمن القومي هنري كيسنجر "إن قضية للشرق الأوسط ليست بين قائمة الأولويات وأن العرب غير قادرين على الاهتمام العالمي بها بعد أن أصبحت لثمة بجة هائلة".

كانت حالة الانسحاب واللاحرب قد طالت أكثر مما ينبغي، وكان المناخ العام في الداخل والخارج يكاد يوحى بأن مصر ليس بإمكانها أن تقدم على قرار خطير بشأن الحرب وكسر وقف إطلاق النار خصوصاً إزاء عدو يتمتع بظروف عسكري

وتكنولوجيا متطورة، ويستند إلى دعم وتأيد مطلق من أكبر قوة في العالم وهي الولايات المتحدة الأمريكية التي تلتزم بعملية إسقاط ميل سياسياً في الأمم المتحدة عسكرياً في سلطة القتال.

كانت صناعة الهزيمة في يونيو ١٩٦٧ وما أعقبها من جرعات مفرطة من هوانة الشعب والانتقام من الشخصية المصرية قد صنعت ما يمكن أن يسميه بحائط الجوف الذي استهدف في البداية هو لغة الإنساني المصري في نفسه، ثم جرى تعريض هذا الحائط بتضخم مقصود في استحالة عبور ولجئ الموانع التي ارتكز بها الإسرائيليون على الشاطئ الشرقي للقطاع.

كانت هناك حرب نفسية شرسة صنعت من قناة السويس حاجز مائت يستحيل اجتيازه، وخلف هذا الحاجز المائي الرهيب يمتد على طول الشاطئ الشرقي للقطاع خط من التحصينات أطلق عليه اسم "خط بارليف" يتكون من سلاسل متعقدة من الموانع الحصينة التي شيدت على غرار الحصون الشهيرة في الحرب العالمية الثانية مثل خط "ميجريد الألماني وخط ماجينو الفرنسي

كانت حرب الاستنزاف قد استندت كل أهدافها بالنسبة لنا بعد النجاح في تحريك الصواريخ المضادة للطائرات إلى حافة قناة السويس بحسن استثمارنا للسياسي لها عندما قبلنا وفك إطلاق النار في إطار مبادرة ولیم روجر ودير الخارجية الأمريكية في يوليو ١٩٧٠ وكما وسمنا لنا أن أية مطولة من جانبنا للمودة إلى حرب الاستنزاف سوف تقابل بهجوم إسرائيلي شامل لا يقتصر على مجرد رد الفعل الانتقامي كما كان الحال حينه منذ معركة رأس العش الشهيرة بعد تسفير طفله من هزيمة يونيو ١٩٦٧ وحتى أسيرع تضاغط طائرات الفانتوم في يونيو ١٩٦٧.

وكما لدى الفخادة العسكرية المصرية لذلك كمثل لكل عناصر القوى التي يمكنها الإسرائيليون عسكرياً وسياسياً.

وأيضاً كان لدينا إلمام كامل بكل عناصر الصعاب التي تعاني منها إسرائيل

وكانت البحرية المصرية أمام اختيار يبلغ الصعوبة يمثل في كيفية تهيئ
عاصر التقوى (الإرثيلى من ناحية) واستغلال نقاط الضعف من ناحية أخرى.

بمختصر شديد كنا حتى الساعة الثانية وخمس دقائق من بعد ظهر يوم السادس من
أكتوبر عام ١٩٧٣ في وضع أليم بدأ يعثر بـ تدريجياً من مرحلة المهلة إذا استمر
العجز وتواصل السكوت.

ولكن برودة القتال كانت عندما في القوات المصرية المصلحة أقوى من هذه الموانع
وقد نجلى ذلك بوضوح في الابتكارات التي أقررتها العقول المصرية في المبارزات
للخلاقة التي واجه بها المقاتلون كل الظروف والتحديات الصعبة في ساحة المعركة.

ورسب كل هذا الظلام الدامس واليأس الخالق تحت مصر قرروا الحرب في أكتوبر
عام ١٩٧٣ !

كن القرار قرروا فور الساعات .. وهذا سوف يظل مجدداً مقبلاً بحسب له على
مدى التاريخ .. ولكن مسئولية التتبع كانت على عاتق رجال لوفياء بدروا الصم
لخدمة وطنهم وتحملوا بكل الشجاعة واجب وضع هذا القرار موضع التنفيذ دون أن
يشغل أحدهم بالي هناك نقصاً في المعدات أو عجزاً في الذخائر.

كان هناك في هذا الوقت قادة عظم في مختلف الأفرع الرئيسية استطاعوا أن
يررخوا في جودهم روح القتال، وأن يشبوا لهم أن الطريق إلى النصر يبدأ بال بأخذ
الرجال ثقة في سلاحهم، وأن القيمة ليست في نوعية السلاح، وإنما في الرجل الذي
يحمل السلاح، لأن المقاتل إذا لم يكن وثقاً في نفسه ظن يحميه أي سلاح، وإذا كان
واثق من نفسه فإن أي سلاح في يده سوف يحميه.

وعندما حالت مائة الصخر لم تكن هناك حفرة واحدة ولو بطريق الخطأ غير
المقصود أو النسيان المحتمل في مثل هذه التقاد.

كس كل شيء، وتحرك وفقاً للخطة المرسومة التي تجرى متابعتها لحظة بلحظة على الخرائط المرسومة فوق مسطحات الزجاج يعرض القاعة الرئيسية في مركز العمليات (رقم ١٠)

لقد نجحت صربية الطيران الرئيسية التي كان يوجها رئيس مصر الآن محمد حسني مبارك بسبة مجاز تتجاوز الـ ١٠٠٪ ولمستطاعت أكثر من ٢٠٠ طائرة أن تصرب في توقيت واحد كل مراكز القيادة والاتصال والميطرة للأسرائيليين في سيناء.

ثم تمهيد هائل بالمنفعية على طول امتداد الجبهة من بورفؤاد شمالاً، وحتى بورثوليق جنوباً.

ثم بدأت موجات الهجوم العازم لحوالي عشرة آلاف مقاتل يركبون قواربهم المطاطية، ويحتلون صعدة مياه القناة تحت مظلة التمهد النيرانى للمدفعية المصرية. وفى اندفاع لم يس له مثيل، وبينما أيديهم تمسك الأعلام المصرية، بدأ الرجال يقتحمون الموانع المعصنة لخط بارليف بأجسادهم قبل سلاحهم. وهكذا بدأت الحرب.. وبدأت مصر ترفداً جديداً.

وبعد أقل من ٦ ساعات مثل تلك الساعات ليست التي كانوا يحاربونها بها عام ١٩٦٧، كانت قد تمكنت مجموعة من المنتج المدعلة.

كانت طلائع ومقاتلات خمس فرق من المشاة قد مجحت في العبور إلى سيناء، وبدأت مهمة التحرير وزرع الأعلام المصرية.

كانت غزالة الجندي الإسرائيلي قد تخطعت وهررت على السطح الحقيقى الثالثة على مدى التاريخ إلى الجندي المصري من أشجع الجود وكثيرهم تحلاً وصلاية ١ وبدأ العالم يعيق من غيبوبة الدعاية الإسرائيلية، ويحرك أننا قد نجحنا في كسر الجمود الذي كان يحيط بأزمة الشرق الأوسط ١

وبدأت بمساقط لدليل إسرائيل نفسها كل الدعوى الباطلة، وفي معظمها المبطل
المعلوطة حول الحدود الآمنة !

وببما كانت عجلة الحرب تواصل دورها كان خبراء الاسر ايجابية في العالم قد
وصلوا إلى حقيقة معادها في خريطة الشرق الأوسط قد تعيدت منذ هذه اللحظة، وان
ما حاولت إسرائيل الترويج له على مدى ٦ سنوات لم يكن سوى دكتور مؤلف على
هذه الرمن !

وكي الإسرائيليون أنفسهم أول من بدأ يفرق على هذه الحقيقة !
ومثلما حاولنا نحن في عام ١٩٦٧ أن نخفف من وقع الهزيمة ببطلان تسعة
للنكمة" شرب الإسرائيليون من نص الكأس وأطلقوا على هزيمتهم اسم "التقصير" !
وبمجرد أن انتهت لجنة "لجرات" - التي شكلتها حكومة إسرائيل لبحث أسباب
الهزيمة - من مهمتها، حدث أول انقلاب سياسي في تاريخ إسرائيل، وأزيح حرب
العمل عن دفة الحكم لأول مرة منذ إنشاء الدولة اليهودية عام ١٩٤٨ وجاء حزب
الليكود.

وجاء مزاحم بيجين - قسب المتطرفين والمعتدلين - إلى سدة الحكم في إسرائيل
لأول مرة وهو على قناعة بأن الحل الأمثل الوحيد لإسرائيل من ملزق أكتوبر هو أن
تسرع بقبول الحقائق الجديدة التي فرضتها الحرب.

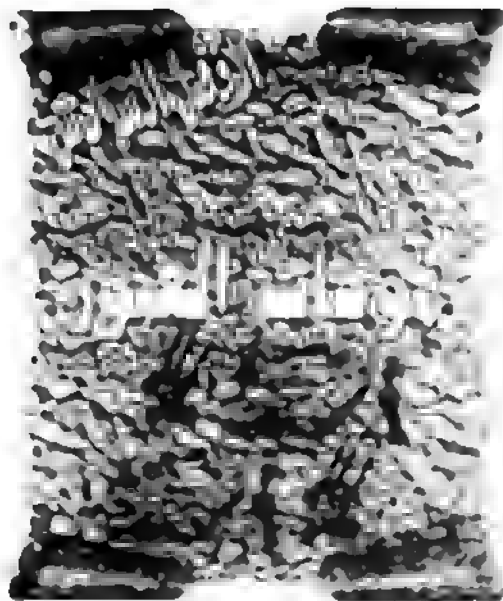
وانتقد أنور السادات الصيحت وطرح مبادرة السلام التي رغب بها بيجين على الفور
لتبدأ معركة شرسة على ساحة المفاوضات لتتقل صرارة عن معركة شعور

وحققت مصر أهدافها السياسية بالكامل واستودت كل برامها الوطنية بعد ملحمة
رمية من العمل السياسي بلغت ذروتها في ساحة التحكم الدولي لتسترد شريط طبا
الذي كان يمثل آخر نقاط التماس "الحقبة" للمرايين على نهج السلام المصري
ولكنهت الأمة العربية - عامة - والشعب الفلسطيني - خاصة - أن النهج المصري
هو النموذج الأمثل.

وأنهم. غير الأعداء الفلسطينيين مصالحاً لهم واحتراف في سوء الانفصالية
الفلسطينية

وجاء رايين الى الحكم وكان هدفه أن يحمي إسرائيل من خطر الانفصالية التي لم
تواجه إسرائيل مثيلاً على امتداد تاريخها.

وكان القيود الإسرائيلية والحقوق الجديدة في مصر مبيحة ٦ أكتوبر وسليمان
الانفصالية هو الخيار الوحيد أمام إسرائيل، وهو ما أدى إلى الاعتراف بمنظمة
التحرير الفلسطينية وبداية سقوط العلاقات الإسرائيلية



على امتداد الجانِب العربي من قناة السويس كانت الجبال والكتل الصخرية
بشرف المعارك الحديثة تعمل بصورة عادية تماماً. بينما كانت أعداد كبيرة من
الجند المصريين تسبح في مياه القناة أو تستمتع بمصايد الأسماك القصب بحثاً
للمشمس الدافئة.

وفي القاهرة كانت الأمور تسمى بصورة طبيعية على الرغم مما نشرته الصحف
في عيونها الرئيسية عن أقباء التوتر المتزايد على خطوط المواجهة حيث كان
الاطمئنان السائد لدى وجل الشارع المصري أن مصدر التوتر هو الحشية من انتقام
إسرائيل للعمليات القذيفة في النجف.

وبعداً عن كل العيون كانت حركة غير عادية تجري تحت سطح الأرض على
مشارف القاهرة في الطريق إلى السويس حيث مركز العمليات الرئيسية للقوات
المسلحة الذي يقع تحت الأرض ويتم الوصول إليه عبر سلسلة من بوابات الحديد
والصلب تتصل بين سلسلة من الممرات والمخارج والمخارج وتتصدره قاعة كبيرة
أضواؤها، بهرة ألوانها بالخرائط الحية، والخرائط ليست قوالباً غلط ولكنها حركة
متدفقة وحول القاعة مجموعة تمثل وحدات وأفرع القوات المسلحة كلها.. كل مجموعة
وراءه مرابطاتها وأملها أدوات اتصالها بكل الجهات. وصدر القاعة يحلو بمنصة
لهيئة القيادة العامة وزير الحربية والقياد للواءات المسلحة، ورئيس الأركان،
ورئيس هيئة العمليات، وفي مواجهة المنصة وعلى الجانب المقابل مجموعة المرابطات
الرئيسية التي تمثل الموقف العام معسومة على مسطحات من الزجاج بعرض الدية
كلها

الموقف في البحر ..

الموقف في البحر ..

الموقف في البحر ..

الموقف على الجبهة السورية ..

أجهزة الاتصال مدى والتفزيون والتكس... أصوات في منقشلت سريرة لمسات ملوبة تصاف على الخرائط المرسومة فوق مسطحات الزجاج وفقاً لتعديرات الموقف دقيقة بديقة .

وباختصار شديد كل ما في هذه القاعة مصري مائة في المائة في هذه اللحظات الأشخاص الأدوات. الأفكار - الأمل... الأحلام .

وفي الواحدة والربع نظراً وصل الرئيس السادات في عربة جيب عسكرية إلى هذا المركز المتعزل تحت الأرض واتخذ مكانه على صدر المنصة الرئيسية وجلس إلى يمينه وزير الخارجية ورئيس العمليات وإلى يساره رئيس الأركان ومدير للمخابرات العسكرية.

وعلى الجانب الشرقي من القاعة كان جنود اللواء الإسرائيلي رغم ١١٦ ينتشرون في فلاح بارليف وكان شعورهم بالقلق لا حدود له لأنهم جميعاً يعيشون على ظل قناعة بأن المصريين لن يستطيعوا مهاجمتهم، وفي هذا اليوم بالذات كل معظمهم في حالة ملل وصدام عن الطعام بمناسبة عيد الفصح. كما كانوا يعانون من الذبذب الذي يحيط بمواقعهم، بينما راح عدد قليل منهم يلعب كرة القدم وقذف أحدهم الكرة إلى أعلى سائر من الرمال خارج مواقعهم الحصين جنوب القنطرة وجرى زميل له وراء تلك الكرة وركض ثم ابتدار لينظر إلى القاعة ولكن سرعان ما انبطح أرضاً وإذا به يصبح 'ميج - ميج' في الوقت الذي كانت فيه مجموعة من طائرات الميج ٢١ المصرية تتجه على ارتفاع منخفض نحو هضبة سيوا، وكل الوقت عند ذلك هو الساعة الثمانية وخمس دقائق بعد الظهر من يوم السادس من أكتوبر العشر من رمضان..

٢٤٠ طائرة مصرية أو تزيد قليلاً انطلقت من مرابضها في عدد كبير من القواعد الجوية المصرية واتجهت صوب سيناء تصف نصف نصف وبناء هولة مجموعة من الأهداف الحيوية الإسرائيلية على امتداد شبه الجزيرة كلها ومستهدفه عددا كبيراً من المواقع الرئيسية مثل مطارات العيزر وبيير تمكنا وشرق الشيخ ومركز القنطرة والسيطرة في أم مرجم ومركز الإعلقة والتوشرة الإلكترونية في أم خشيب ومركز العبادة للمنظم

في متلا ومجموعة من محطات الرادار المنتشرة من القريش شمالاً وحتى نيوريس جنوباً والمسلطة الحصينة القوية في قطاع شرق بورفؤاد التي تسيطر على خط برليف ونقطة الابتداء فيه.

وبينما كانت الطائرات الفاتحة المقاتلة قد تمكنت بتجاذب يافع من ركوب أهدافها واختراق شبكة الدفاع الجوي الإسرائيلية المعقدة في سيناء بدأت أكثر من ٢٠٠٠ وحدة مدفعية مصرية مدبراً على طول المواجهة يساندها في ذلك لواء كامل من صواريخ أرض - أرض للتكتيكية بوحدة المدى.

وكان صوت القصف المدفعي بالغ الخف إلى الحد الذي تلتصق به صوت الطائرات المصرية وهي تنير القناة من الشرق إلى الغرب عاكسة إلى قواعدها بعد أن أثبت مهامها.

وعندما عادت الطائرات المصرية إلى قواعدها تلقى وحدات الدفاع الجوي في شابة الصواريخ المصرية إشارة برفع القيود التي كانت مفروضة عليها والاستعداد للتعامل فوراً مع أية طائرات تظهر في السماء المصرية

وبوسط هذا التشريط المتلاحق من الأحداث كانت طلائع من رجال المدفعية المصرية قد عبرت قناة السويس وبدأت في فتح الشخرات في حقول الأكرام بسبب أحدث للذبابات البرمائية تشق طريقها عبر البحيرات المرة

وأهبط ذلك مباشرة - وبالتحديد في الساعة الثانية والثلاث - عبور طلائع قوات المشاة بواسطة ١٢٠٠ كارب مصنوعة من المطاط، ولم تمض سوى عشر دقائق حتى كان هؤلاء الرجال قد نجحوا في رفع أول علم مصري على الضفة الشرقية للقناة عند الكيلو ١١٩ شمال السويس في قطاع الجيش الثالث، ثم ما لبث الجيش الثاني أن أسرى لخرقة العمليات ببلاص في النفقة ٥٦ بعد الثانية ظهراً بسقوط المنطقة القوية للإسرائيليين في القنطرة شرق ورفع العلم المصري عليها

وبينما كانت موجات العبور المصرية يغوارب المطاط مستمرة على أشدها عبر القناة تحت رنير المدفعية وصواريخها كانت وحدات المهندسين المصريين قد نجحت

بدعجار حارثي في فتح القنطرة في السائر الترابي بواسطة مدافع المياه، في حين انتهت مجموعة منهم بدجاج في إقامة ثلاثة عوس جسور قوية عند القنطرة والإسماعيلية ومجموعة أخرى من المهندسين المصريين من شبيبة مجموعة من الكباري والمعدن في رمي قياسي قدره ٥ ساعات فقط من بدء العبور وقبل أن يرحل آخر ضوء في يوم ٦ أكتوبر.

وقد حاول الجنود الإسرائيليون المتحصنون في قلاع بارليف أن يردوا الهجوم المصري بكل الوسائل المتاحة لتبهم لكن لم تكن قد مضت سوى ساعة و ٢٢ دقيقة بالصبيط على بدء القتال حتى كان أفراد الموقع الإسرائيلي المحصن عند الكيلو ١٩ جنوب بورسعيد قد أسهبوا نذبه بقناري داخل القسيحة من شدة الحصار المفروض عليهم فقد أطلق رجال المشاة والصاعقة المصريون على الموقع الإسرائيلي كدكي كمانشة، وإن مني إلا لحظات حتى بدلت عملية القحام الموقع وبدأ الحط الحصار يتساقط موقفا بعد موقع.

وحال الساعة الثت الأولى للحرب عبرت فرق المشاة الخمس لبد عبور الدبابات وإقامة الكباري وعندما حل موعد لبد المغرب وقبل ذلك ساعة الإطمار كان الجنود المصريون قد استولوا على أهم القنطرة الحصينة في خط بارليف.

ولم يكن قد حل الماء بعد عندما كانت الاتصالات قد انقطعت تماماً بين معظم حصون بارليف وإقامة المؤخرة والقنطرة حائط الخرب ولم بعد عبور القنطرة مشكلة ولم بعد خط بارليف بشكل بالنسبة للقوت المصرية أية عبة.

وعندما غربت الشمس كان جنود المشاة المصريون قد أنصوا بدجاج إقامة ثلاثة عوس جسور قوية عند القنطرة والإسماعيلية وشمال البحيرات المرة نمرها نهبت برمانية عبرت هي الأخرى قناة السويس.

وعندما حل الظلام لمحت غير مياه القناة معدات إقامة الجسور وبدلت الوحدات الأولى من الدبابات القتالية الرئيسية تعبر القناة.

وقبل أن تنقضي أربع وعشرون ساعة على بدء الحرب وبالتحديد عند فجر السابع من أكتوبر كان الموقف في غرقة السليفت المصرية يؤكد من واقع البلاعب الرسمية من أن مصر المعركة حصيلة الـ ٢٤ ساعة الأولى من الحرب وهي نجاح ٥ فروق مشاة مصرية قوامها ٨٠ ألف جندي في عبور قناة السويس والتقدم شرقاً إلى عمق يصل إلى ٥ كيلومترات والاحتلال على ١٥ نقطة حصينة من مواقع خط بارليف، وفتح ٨٥ ممر، في السائر الترابي تم تجزئ لولها في زمن قياسي قدره ٥٥ دقيقة واستكمل فتح باقي القنارات قبل أن يتمضي على ساعة الصفر ٨٠ دقيقة، وتم إنشاء أكثر من كوبري مؤقتي وعند من الكبارى الهيكليّة ومجموعة كبيرة من المعدات فضلاً عن أعمال قتالية واسعة أهمها صد وتدمير ٢٢ هجومًا إسرائيليًا مضادًا قامت بها المدرعات الإسرائيلية وإسقاط ٢٢ طائرة إسرائيلية خلال ١٦ مرجّة هجوم ووصول مغارر الدبابات البرمائية إلى عمق ميناء عند مضيق عتلا والهدى ونجاحها في مهاجمة مطار نمادا، وقد تم ذلك كله خلال الـ ١٦ ساعة الأولى من الحرب والتي شهدت في بدايتها نجاح المصرية الجوية المصرية في تعطيل مطارات للملير ونمادا والسر وشرم الشيخ بالإضافة إلى مركز القيادة والسيطرة في أم مرجم ومركز الإعالة والشرطة الإلكترونية في أم غنيم ومركز القيادة المتقدمة في عتلا ومركز القيادة التكتيكي في الشجرة وإصابة ٨ معطّل رادار وثلاثة مواقع مدعية بعيدة المدى وثلاث مناطق للشئون الإدارية و١٢ موقعا للصواريخ . هذا نجاح قوات الصناعة في السيطرة على مضائق سيناء وتحديد الطريق والمصارو الرئيسية وتدمير قطع بحرية محاربة أربع منها في شرم الشيخ والبقى عند الساحل الشمالي لمصر.

ومن الملاحظ أن القوات المصرية صمدت في يومها الأول ما يشبه المعجزه . وبعد من ١٢ صد الجيش الإسرائيلي الذي صعدت منه مكسة يونيو ١٩٦٧ استطورة صندقها العالم أجمع، وقد تصور بعض الخبراء العالميين في البداية أن ما حدث مجرد حربة حظ صادقت المصريين بينما كان الإسرائيليون غافلين تملأه وكن هناك شبه اجمع من الخبراء العالميين في الأيام الأولى للمعركة على أن إسرائيل سوف تملك

رمام العبادة وتورد المصريون على أعاليهم وساعدهم على ذلك استمرار نعمة
القمطرسة الإسرائيلية التي عبر عنها ديان أول يوم في المعركة بقوله "يحيى يا
ساعات وسوف ينتهي من نتيجة قواتنا وسوف ندق عظيمهم بعدها ٢٦

ومع استمرار الحرب شكك الحبراء العالميين أنهم لمطنوا تقدير القوة الحقيقية
للجيش المصري في حرب أكتوبر كما شكك لنيان أنه كفى يحطم ويهدى لأنه في اليوم
الثالث للحرب فهار ويكي في مجلس الوزراء الإسرائيلي وأعلن أمام السورلة
الإسرائيلية أنه يستحيل رد المصريين مرة أخرى غرب القناة كفى نهار قد شكك
بما من أنها خطة محكمة تم إنجازها ببراعة ونظما الجنود المصريين بالقدار ..
وشدت مظلة بارقة من الخداع.

في الصباح المدهل لأحداث يوم العصور وراه قصة عمل مكثف بدأ عند إعادة بناء
للقوات المسلحة المصرية في ١١ يونيو ١٩٦٧ ودخل مرحلة الإعداد النهائي قبل
نهاية عام ١٩٧٢ ووراء ذلك حكايات وحكايات

خلال أيام سبقت الحرب كان في إسرائيل انتماء واضح إلى منع أجهزة
الإعلام الإسرائيلية من إمكان توجيه أي تحذير ومنع نشر الأنباء التي أشارت إلى بنية
مصر وسوريا للبدء بعمل حربي عني يطلق واسع بصورة منتظمة وعن سابق إصرار
ومحاولة للمراسلين العسكريين الإسرائيليين الذين تجولوا في خطوط وقف إطلاق النار
والتصالوا بمسار الضباط خلال الأيام المشيرة هذه ثبتت ذلك

مساء رأس الساعة المصرية والمواثيق يوم الأربعاء ٢٦ سبتمبر وحصل المراسل
المصري لصحيفة معاريف الفلسطينية للقيام بجوئه في مرتفعات الجولان واتضح له من
الأحداث التي أجراها مع الجنود والضباط هناك أنه لنقل قدام من عالم السلام إلى
عالم الحرب على حد تعبيره وخلال ساعات الصباح من ذلك اليوم اتضح أن
الاستعدادات السورية على امتداد خط وقف القتال في مرتفعات الجولان عرفت بعوا
كبيرة جدا ونقلت الهاتف من التبادلات السورية إلى المنطقة الممتدة شرقي خط وقف
القتال ووضعت القوات من بطاريات المدفعية الجديدة في هذا القطاع وحررت مواقع

الجيش السوري بأعداد كبيرة جداً من سلاح المشاة وخففتهم تم استكمال شركة دفاعية معقدة بمساحة للطائرات مؤلفة من أنواع مختلفة من صواريخ سام وثقت قوات الجيش الإسرائيلي على هذه الجهة تعظيماً للقائد الأكسبي والغيت الإجازات وعملت السبلات التي وصلت إلى مرتفعات الجولان لقتل الجنود بمناسبة إجازة رأس السنة كما جاءت، وكفى بالإمكان ملاحظة الدخنة على وجوه الجنود في مرتفعات الجولان جيداً؛ ماذا حدث مجاً؟ وخلال ساعات الصباح اللاحقة روى أحد الضباط أنه علم بكل الجيش السوري بأسره يحتشد على امتداد الحدود مع إسرائيل، ووصفت القوات المدرعة للجيش الإسرائيلي في مرتفعات الجولان في حالة التأهب القصوى.

في الوقت ذاته أقام في تل أبيب حفل شرب بمناسبة رأس السنة حضره بعض رجال القيادة العليا للجيش الإسرائيلي من رتبة عقيد فما فوق وسمع ضباط القيادة للشمالية - الذين حضروا للحفل - الأبناء عما يجري في الضفة غلبوا على الفور إجازات عيد الفطران وعادوا إلى وحداتهم.

وخلال ساعات الظهر من يوم ذاته وصل إلى ضفة الجولان موسى ديان وزير الدفاع والجنرال إسحق هوفي قائد الجبهة الشمالية وقاما بجولة في مواقع الخط الأول للجيش الإسرائيلي والوحدة المنوعة المتمركزة هناك، وروى الضباط لوزير الدفاع ما شاهدوه بأم أعينهم على الجانب الشرقي لخط وقف القتال وقد أقرت هذه الشهادات معلومات الاستخبارات التي تراكمت فوق مكتب وزير الدفاع قبل ذلك ببضع ساعات وفي نهاية هذه الجولة أدلى هوبن بتصريح سجلته فريق من التلفزيون الأمريكي عن عدد ليصل إلى مئتين السوريين قال فيه: "تمل أن يدرك السوريون من جانبهم أن كل سرية أخرى متوكلهم أكثر مما تؤمنوا ولا يوجد اليوم سبب خاص للفطر إلى الواسع بظنيرة ولا للاستخفاف به أيضاً لا في الاستعدادات العسكرية وراء الحدود ولا في موقف السوريين السياسي، فالجيش والقضب السوريان يقيا متطرفين جداً".

وكان ديان يستهدف من تصريحه توجيه التحذير إلى حكام سوريا لكيلا يبدوا الحرب خلال أيام الحدود الثلاثة وكان للتويز السائد لتلك لدى الجيش الإسرائيلي والذي

كانت تشارك فيه جميع الجهاد فانه ان يحدث أى شيء خلال أيام العيد وعلى الرغم من ذلك وبسبب حظر قائد الجبهة تم تحرير القوافل المدروعة في هضبة الجولان ونقل أطفال الدبابات التي كانت في الجيوب قبل التمثال جواً حيث انقل رجالها الى سبب من تحياطي الطوارئ، وخرجوا بها لتحرير القوافل على خط الجبهة واستدعيه بصب وحذاب المدعية لتحرير المدفعية في الهضبة.

وفي اليوم ذاته ذكرت بعض الصحف الأوروبية أن وحدات من الجيش السوري احتلت بحط الحدود في الجولان وأن قوات سورية كبيرة نزلت من حط الحدود المشترك بين سوريا والأردن إلى خط الجبهة مع إسرائيل.

ومساء ٢٩ سيمبر عرس مرسل عسكري للزيارة التي قام بها دبيل إلى الجولان هضبة العيد ومن ضمن ما كتبه خبر طلب نشره وعرضه على الرقابة العسكرية وكس منه ١ تشبه حدود الجولان برميلاً من القلود وقد بدختر في أية لحظة واتصبح بعد فترة هدوء طويلة استمرت شهراً إلى السوريين قد يهاجرون إلى أعمال عسكرية خلال أيام العيد الثلاثة ولكن هذا الخبر لم ير النور أبداً فقد حذفته الرقابة العسكرية الإسرائيلية ببساطة ولم تسمح بنشره.

وقد حاول بعض المراسلين العسكريين في تل أبيب الذين بلغتهم أنباء الحشود السورية أن يستوضحوا معنى هذه الحشود وقال المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي الذي كان حاضراً آنذاك لشعبة الاستخبارات في الأركان العامة وموجهاً ومروداً بأخر المعلومات من ضباطها في رده على بعض الأسئلة : أن الحشد السوري هو طابع معاني معض وفي التفكير المرجح هو أنه لن يحدث أى شيء.

وفي يوم ٢ أكتوبر تحدث أحد المراسلين العسكريين وكان قد انضم إلى تكسورات للمتحدث باسم الجيش الإسرائيلي إلى أحد كبار ضباط الجيش الإسرائيلي في هضبة الجولان وأخبره بأن الحشود في تل أبيب يدور على أسلحة أن الفتح كات السورية حصر طابعاً دفاعياً محصناً ويبدو أن القوتز وصل إلى دروته وأخذ في الانحطاص وأجاب الضابط الكبير : لم تصل إلى الدروة بعد وميصل السوريين حتم وكان هذا

آخر كلام قاله الضابط الكبير على مصانع صحفى، لقد قتل فى اليوم الثانى لحرب مباشرة

فى هذه الأثناء أخذت تصدى إسرائيل معلومات عن حشود كبيرة فى الجانب المصرى هذا لاحظ رجال الاستطلاع فى الجيش الإسرائيلى الموجودون فى تحصينات القناة عن كثب الاستعدادات العسكرية المتزايدة التى تجرى أمامهم ويلاحظ سذجا متزايد هناك كما لى كلفة شاحنات من حمالات الصواريخ دخلت الإسماعيلية وكان ممكناً سماع هدير محركات المدرعات وراء الحواجز الترابية المصرية التى كانت تخفى نسي قطاعات معينة مألوف على الجانب الغربى من القناة وشهود صباه مصريون يرشدون قادة الوحدات كما شهود جنود مصريون يخلون إلى الماء ويتيسون ويضعون الأوثان والتقربت شاحنة حاملة صواريخ من حافة الماء وأخذت للجرافات تعد مدارج العبور .

ووصلت إلى القناة الإسرائيلىة تقارير مشابهة تقول أنه ابتداء من يومى ٧ و ٣ أكتوبر لوحظت حركة غير عادية وراء القناة دروع ومركبات بكبات هائلة وكان رد القيادة العليا فى إسرائيل - بعد فى فرست مجموعة خاصة لمتابعة الحشود المصرية - فى ما جرى هو مغارة مصرية ضخمة سقطت فى يوم الاثنين ٨ أكتوبر .

ويرى أحد كبار الضباط الإسرائيلىين فى صحباء "عرباً بما يجرى فى الجانب للمصرى وأبلغاه وكل للجميع يعرفون ذلك قبل شهر ونصف وعلمنا بدخول أعداد كبيرة من القوات المصرية إلى الجبهة وفى الأسبوع الأخير شاهدنا معدات برمالية أحضرت إلى الخط الأمامى فجأة. معدت كنا نعلم بوجودها ولكننا لم نشاهدها بأصبع قبل ذلك أبداً، وقد أبلغنا هذا الأمر، ومنذ بداية الأسبوع الذى سبق فيه رجال المدرعات للتمرك خلال بصح دقائق من الإنذار .

فى يوم الاثنين ٢ أكتوبر علم الإسرائيلىون بأن المصريين بدؤوا بنقل للجيش من منطقة القاهرة إلى منطقة القناة وشرح النطق العسكرى الإسرائيلى ما جرى حال إنها ماثورة يوم بها الجيش المصرى". وسع للتمرك العسكرى بالذهاب إلى الجبهة

عند قنّاء السويس حيث أجرى يوم الخميس ٤ أكتوبر حديثاً مع الجنرال مندر قلّاد القوات المدرعة في ميناء وعدد من كبار القنّاء الإسرائيليين في ميناء واتّضح له أن الجيش الإسرائيلي يتفّيح الحشود المصرية ولكن مدى توجّحه لاحتمال بدء القتال كان محضاً جداً

وقد سأل المراسل العسكري للجنرال مندر: "ماذا سيحدث لو عبر المصريون القنّاء غداً صباحاً؟" وأجابه مندر: "ستذهب قواتنا في خط المياه وخلال مدة لا نذكر نكس الحرب قد دارت في الجانب الثاني". كان ذلك هو جواب مندر قبل نحو ٥٠ ساعة من بدء الهجوم المصري الذي أودى بحياته.

عشية الحرب الجمعة ٥ أكتوبر نشرت صحيفة Maariv الإسرائيلية في صدر صفحتها الأولى: "في قوات الجيش الإسرائيلي تتبع بيقظة كل ما يجري في الجانب المصري وقد اتخذت التدابير لسبع المصريين مفاجئتها".

قبل الظهر من يوم ٦ أكتوبر كان جميع المراسلين العسكريين للصحف الإسرائيلية يجلسون في الاستراحة الملحقة بمكتب الجنرالياهو رئيسا رئيس شعبة المخابرات في رئاسة الأركان الإسرائيلية فقد استدعوا بعد الساعة العادية عشرة إلى اجتماع عاجل كان من المقرر عقده بعد ساعتين وألقى الجنرال رانجرا بتوجيهات للمراسلين وهو يحاول أن يبدد هلاي الأوصاف قتلاً. في حرباً قد تتدلع في أية لحظة فجاء نحو الساعة الثانية ظهراً دخل مدير مكتب الجنرال رانجرا إلى المكتب مسرعاً وسلم رئيس شعبة المخابرات ورقة حيث نظر فيها بصورة خاطفة وكأنه لم يهتم بمكتب فيها ثم قال كلاماً لمدير مكتبه دون أن يسمعه المراسلون العسكريون وسأل رئيس شعبة المراسل العسكري لصحيفة هاروش مستظلاً ما حدث فلجّاب رئيس المخابرات "لاسي".

ثم وصل الرد على أسئلة المراسلين وكل شيء لم يكن وعد مصري نعبه أو دقيقين سلم مدير المكتب ورقة أخرى إلى الجنرال رانجرا الذي ترك معه هذه المرة وغادر الغرفة ولم يعد إليها إلا ليطل بعقل من الدرع: "انتهى الاجتماع"

وبسبب كل الموانع العسكرية ينتظرون المصعد في مبنى الأركان العامة في طريقهم إلى الخلع دهمتهم صفارات الإنذار التي هزت سماء تل أبيب مثل دهمت كل مكان إسرائيل وهم في دروة خلودهم إلى السكينة والراحة في يوم الغول فقد بدأ العبور المصري لقناة السويس وبدأت القوات السورية لجتياح مرتفعت الجولان، وفي اللحظة التي بدأ فيها العبور المصري لقناة السويس وتهازل وتصدع تحت وطأته خط التمهيد - الذي هو الخط الدفاعي على طول قناة السويس - انتهى أجهزاً تفصل الخطرة والفرور في تاريخ الجيش الإسرائيلي فخط التحصينات لم يكن مجرد ثمر الإبداع الروحي والمعسكري للجنرال بارليف رئيس أركان حرب الجيش الإسرائيلي في الفترة من ١٩٦٨ إلى ١٩٧١ وإنما تحول بمرور الوقت إلى مفهوم ورمز عالمي لقوة إسرائيل ومنعتها..

لقد مثل خط بارليف جزءاً كبيراً من الثقة الذاتية التي عمت إسرائيل وكرر المناطرون بلسان القيادة العسكرية والسياسية في إسرائيل خلال ٦ سنوات الإعراب عن رأيهم الراسخ بأن مصر لن تستطيع أبداً احتياز هذا الحائط ضد الدبابات وكان الخطأ في هذا التقدير أولاً وقبل كل شيء في أنهم لم يتفهموا كيف ستتطور الحرب للقادمة؟ بل ارتكزوا إلى حرب الأيام الستة كنموذج على الرغم من أن كبار القادة في المؤسسة العسكرية الإسرائيلية وعلى رأسهم دانييل وفاريف طلبوا خطماً دائماً بالصيغة القائلة: "إن كل حرب تختلف عن سابقتها، ولكنهم عجزوا عن تطبيق هذا المبدأ العام على الاستعدادات للحرب في جبهة قناة السويس. وكل من سفريات القدر أن هاجم بارليف الذي كان قد عين وزيراً للتجارة والصناعة بمد علمه القنوب العسكري عام ١٩٧١ دعى في أكتوبر ١٩٧٣ للعودة إلى الجيش لتتاه الحرب وأرسل إلى الجبهة الجنوبية لإعداد الخط الذي يحمل اسمه.

لقد صلب وقت إطلاق النار في يونيو ١٩٦٧ تمركز مدرعات الجيش الإسرائيلي على طول الضفة الشرقية لقناة السويس باستثناء قطاع ضيق في شمالها حيث تفصل مستنقعات عميقة بين حواجز الرمل على طول القناة وبين سينتى بوم - بوم - بوم

وكانت تمتد وراء قوات الجيش صحارى شبه جردية سيّاء وفى وسط إسرائيل وشمالها تركزت قوات الجيش على بعد عشرات الكيلومترات من خطوط حدود إسرائيل القوية السميكة والقليلة للاختراق ونجرت بحكم هذه الظروف النظرية الأسس المنطقية بتعبئة الجيش فى حالة اندلاع حرب جديدة فقد تمسك قادة المؤسسة العسكرية الإسرائيلية أنه من الآن فصاعداً لن يجد الجيش الإسرائيلي دعمه مجبراً على الجوع القتال عربى قناة السويس. وكانت الجبهة المصرية هي المصنوع أساساً فالمساحات الشاسعة فى سيناء المثالية لحرب المدرعات أعطت قادة إسرائيل الثقة فى أنه فى حال بدء المصريين الحرب حتى نون إندلر كاف - كما حدث فعلاً فى حرب أكتوبر - سيكون بإمكان إسرائيل مجابهة القوات المصرية وإلحاقها فى حرب دفاعية يعتبرونها أكثر سهولة وبما لم يزل هذه الحرب سوف تجرى بعيداً عن التجمعات السكانية لإسرائيل وسوف يتوافر لعبها مهلة من الوقت ومجال للمناورة لمجابهة المشكلة العسكرية دون أن تتصور الجبهة الخطية، ولقد كانت الجبهة للخطية دائماً وأبداً هي نقطة الضعف فى إسرائيل وفى من الحرب بسبب الغشقة من سقوط ضحايا بين السكان المدنيين.

لقد كان تصور الحرب المستقبلية لدى إسرائيل صحيحاً نسبياً فى أساسه للنظري ولكن لم يتجسد فى الميدان عندما ثلثت ضرورة اتصال قرار بشأن الخط الدفاعي الواجب اختياره رجعت الاعتبارات السياسية للكفة وكفى الاعتبار السياسي الحاسم هو طموح إسرائيل إلى التثبيت بحافة قناة السويس فى محاولة لخلق حقائق محسوسة ومنتهية توضح لمصر والعالم كله أن قناة السويس لا يمكن أن تكون مفتوحة للملاحة الحرة إلا عندما تستطيع إسرائيل استخدام هذا المورد المائى القوي

ومن أجل تحقيق هذا الهدف كان لابد لقوات الجيش الإسرائيلي من التمرركز على خط المياه فعلاً وفى البداية حشرت القوات حقائق على طول القناة فى مواقع مرتجلة وعندما بدأت مصر حرب الاستنزاف وتولت عمليات قصف الصنعة للشرقية للقناة بأعداد ضخمة من المدافع عمقت الحقائق وأقيمت تحصينات أصبح العزم منها

حماية الجنود المتمركزين على طول القناة. وكانت هذه حرباً ثلثة تعيد إلى الدهر في جوانب عديدة "حرب الخنادق" خلال الحرب العالمية الأولى. وعند اللحظة الأولى كان اصحاء في مصر لا تتوى لثقاب حرب الاستنزاف التي كان مسندتها فرس طابعها على إسرائيل وظلت المعاداة كلها طول الوقت بيد مصر ورسمت هيئة الأركان الإسرائيلية الخطوات اللازمة بناء على الخطوات التي أملاها المصريون دور بدحل في التحسينات التي أجرت حرب الاستنزاف في أعينها حرباً من نوع آخر وكان ذلك قمة الخداع والتفكير المصري في استرجاع الإسرائيليين.

وخلال سير حرب الاستنزاف التي راح ضحيتها مئات الجنود الإسرائيليين ظهرت الضرورة الملحة لتوفير حماية ملائمة للجنود الإسرائيليين على خط المياه، وهكذا قبل حرب الاستنزاف طغت المفاهيم وشوختها ونفت إسرائيل إلى توجيه معظم الجهود والموارد لحل المشاكل التي أثارها هذه الحرب ومن ثم مهم وضع أعتت إسرائيل نفسها فيه على خط المياه لحرب من أجل الهيبة السياسية نسي في محالها تجاهل العديد من المبادئ التي وجهت النظريات الأمنية للجيش الإسرائيلي حتى تلك الفترة.

وزراء وضوح استمرار عزم مصر - كما أعلن عبدالناصر - على الاستمرارية في حرب الاستنزاف بدلت إسرائيل بناء تحصينات تكون بمثابة مواقع لدعابة وكس التهتف لقمة مواقع قوية حول المحاور الأربعة الموصلة من القناة إلى داخل سبب إلى الممرات التي تقوم إلى أصلاق شبه الجزيرة، وقد ببيت معظم التحصينات كمجموعات على مسرة قبضات محصنة لتكون بإمكان كل منها تقديم تغطية للأخرى ومساندتها ببيت مجموعة تحصينات في منطقة بورقوف في الجنوب في مقابل مدينة السويس وبيت مجموعات أخرى في الوسط مقابل مدينة الإسماعيلية وبيت مجموعة ثلاثة مقابل مدينة العسرة، وأقيمت شبكة تحصينات أقل كلاله على طول المحاور الشمالي للواء حتى مسافة ١٠ كيلومترات من مدينة بورقوف. وكان بناء هذه الشبكة الأخيرة من التحصينات أكثر تحدياً من التحصينات الأخرى لأنها ببيت في منطقة

صعبة للمحور كما بقيت عدة تحصينات أيضاً على طول ساحل البحر المتوسط على المحور المؤدى من بور غولا إلى رمقة.

وكانت شبكة التحصينات هذه تليق عددها ٣٦ تحصينةً عازلة عن جراء فسط من شبكة معدة طورت من سدة أخرى وقد استغرق بناؤها شهراً طويلاً واستخدمت في العملية عشرات القناتورات والجرافات والمعدات الثقيلة الأخرى وجنحت من شمالى إسرائيل بواسطة آلاف من سيارات التوربي كات من الأحجار وصعدت في شبكه من الجند لاستخدامها في بناء "طبقات تقوية" فوق النشم وكان الهدف من طبقات التقوية هذه التي بلغ سمكها عدة أمتار هو المحاولة دون تعاد فدايف المدعوية الثقيلة داخل النشم.

وزدادت هذه التحصينات تحديداً بعد ذلك وتحولت إلى مسلك حقلية مجهزة بكل وسائل الراحة: أجهزة اتصال متطورة، مكيفات هواء، مبردات، موقير مياه، مخزن نوى، وقد بسى التحصين الذى بدأ من الخارج كقلمة من القرون الوسطى كنبهة صامدة لفترة على القتال بصورة مستقلة وكان الجنود في التحصينات مزودين بقوة نيران كبيرة نسبياً يمكن تشغيلها بواسطة حطة من الرجال، وكان للتقدير أنه بإمكان كل تحصين كهذا الدفاع في مواجهة كثيفة مدعمة كاملة لمدة أسبوع.

وإذا تحولت تحصينات بلونف بمرور الوقت إلى أعلى مسلك بقيت في إسرائيل فقد أُنق على بناء كل تحصين عشرات الملايين من الفيرات وصل في إنشائها آلاف الأشخاص من المهندسين الإلكترونيين المتخصصين ومئات عديدة من الجنود المدنيين من مدن مختلفة.

وعندما استولى الجنود المصريون على هذه التحصينات القوية من ومثلل الراحة المتوافرة للجنود الأسرى الذين فقد كل في كل حصص آلة عرص، سيمانيه وثقوي عام يمكن للجنود من الاكتمال مباشرة وبسرعة يأمرهم في إسرائيل وكانت هناك في كثير من التحصينات بواب مجهزة بأدوات ولصنية وكانت أماكن إقامة جنود التحصينات داخل النشم محصنة. كانوا ينامون على أسرة ذات طبقتين كما في غرفات السبعة

وكانت تصرفهم كفتيتات ومطايخ لمساعدتهم على تمصية فترة خدمتهم في قناة السويس هي ظروف توف مشابهاة لتلك التي في قواعد السلاح الجوي. وبما أن القوات الموجودة في التحصينات كانت تستبدل وفق جدول زمني موضوع سلفاً فقد كان كثير من الجنود يتوقعون اللحظة التي يجرى فيها دورهم للخدمة في التحصينات وقد اعتادوا على القول 'هذا مثل بيت القضاة'.

مع بروع أول خطب من خطوط صوء فجر السابع من أكتوبر كان الإسرائيليون رغم خسائرهم البالغة التي لحقت بهم طوال معارك القتل قد تمكنوا من حشد أكثر من ٢٠٠ دبابة تطوعها على ثلاثة محاور رئيسية:

- المحور الأول : على طريق مئلا في اتجاه السويس.
- المحور الثاني : على القطاع الأوسط في اتجاه الإسماعيلية.
- المحور الثالث : على طريق الساحل الشمالي في اتجاه القنطرة.

ومنذ الصباح الباكر دارت معارك عنيفة استخدمت فيها الدبابات والمدفعية الثقيلة المتوسطة والبعيدة المدى ومئات المدفعية المضادة للدبابات واستمرت هذه المعارك ١ ساعات و٢٦ دقيقة اضطر بعدها الإسرائيليون إلى التراجع خلفاً لمسحبين بعد أن تركوا على أرض المعركة حطام ٨٨ دبابة و٦ مصفحات على محور مئلا و٢٢ دبابة و ٤ مصفحات على المحور الأوسط و٢٥ دبابة و١٥ مصفحة على مشارف القنطرة، وعلى الجوارب الثلاثة كانت خسائر الإسرائيليين في الأفراد تتجاوز الـ ٣٠٠ قتيل وجريح غير ١٢ أسيراً وقعوا في أيدي القوات المصرية.

ولم يكن تراجع الهجوم الإسرائيلي المضاد وغشله الفرج هو أهم ما أسفرت عنه معركة فجر ولكن الشيء الأهم هو تهويل الروح القتالية لأطعم المدرعات الإسرائيلية بعد أن اكتشفوا أنهم يحاربون في غير الظروف التي صوّرت لهم من قبل نتيجة عجز الطيرس الإسرائيلي عن حيازة تفهم بفضل المقاومة الأرحية الطيبة التي كانت تطلقها شبكة الصواريخ المصرية في وجه أية محاولة إسرائيلية لاعتداء مباشراً على عجز

الطيران الإسرائيلي عن جالية مدوعاته من القصف المصري للمستمر بطائرات
الرمي بوزن الثقيلة بعيدة المدى المتمركزة غرب القناة.

وبينما كانت التبادلات تجري على أمتها كلفت الطائرات المصرية قد استطاعت
إحراق قوة مظلوية كبيرة على الساحل الشمالي اسفناء وبذلك هذه القوة بتعاون مع
القاذفات المصرية من طرازى ميج ٢٦ وسوخوى ٩ ويتصيق مع قطع الأسطول
المصري من الغمصات والغزوارق في ضرب كل محاولات الإمداد الإسرائيلية للقوات
التهجوم الإسرائيلية على غزة.

ولم يقتصر العمل الإسرائيلي المبكر في الساعات الأولى من صباح السابع من
أكتوبر على هذا الهجوم البرى القصد وإنما كالى حيثك محصور آخر للعمل
الإسرائيلي .. بعد مصرى ٤٥ دقيقة على بدء الهجوم البرى المدرع وبينما محاركة
التبادلات تستقطب كل انتباه حاولت ٧٦ طائرة إسرائيلية مهاجمة عدد من القوات
الجوية المصرية في حوالى الساعة السادسة والرابع وعشرين دقيقة واستخدم
الإسرائيليون نفس أسلوب القوية الجوية لمباغتة التي اتبعوها عام ١٩٦٧ تماماً
حيث قدمت ٤٤ طائرة على ارتفاع منخفض للغاية فوق سطح البحر الأبيض المتوسط
لمهاجمة مطارات المنصورة وطنطا وشبراخيت وجناكليس، بينما سبكت ٢٤ طائرة
نفس الأسلوب بالطيران على ارتفاع منخفض فوق سطح البحر الأحمر لمهاجمة
مطارات بنى سويف واسطامية وبيرو حويضة.

ولمحق فقد مكنت القوات الإسرائيلية على محورى الهجوم من اختراق الأجواء
المصرية دون أن حذر على شتى الرادار ومع ذلك لم تستطع أن تحقق هدفها في
تدمير المطارات والطائرات المصرية، كما حدث عام ١٩٦٧ فقد كالى هناك بخلاف
أجهزة الرادار الإلكترونية آلاف من رجال المراقبة بالتناوب في الدفاع للجوى المصرى
للمستترين على طول السواحل والمناطق تحسباً لمثل هذه المفاجأة للطيران على
ارتفاع منخفض يحملون معهم أحدث أجهزة الاتصال برفعة عمليات الدفاع الجوى

ويمتلكون ثقافة واسعة حول أسلوب تمييز الطائرات وتصنيفها سواء بمجرد النظر أو
بسماع نرير للطائرة.

ولهذا عندما وصلت الطائرة الإسرائيلية إلى قرب أهدافها وعلى طياروها أنهم
سحبوا في الإقلاص من شبكة الصواريخ والوصول إلى أهدافهم فوجئوا بدير لى مكتفة
ودقيقة تنطلق عليهم كالحصم منعت الطائرات الإسرائيلية من إلقاء حمولاتها فوق
المطارات ولانبت بالفرار محاولة العودة إلى قواعدهم بعد أن ألقت حمولاتها بعداً عن
أهدافها ولكن طريق العودة كان يحل للإسرائيليين معادلة أخرى .. مجرعة كسلان
جوية مصرية باغتت الطائرات الإسرائيلية واشتكت معها في معركة جوية قصيرة
أسفرت عن سقوط ٧ طائرات فقتوم وإصابة ٩ طائرات أخرى وأسر ٢ طيارين.

ورغم الخلل الذي واجهه الإسرائيليون في محاولتي الصباح المبكر برأ وجواً إلا أنهم
قاموا بمحاولة جديدة في حوالي الساعة عشرة من صباح اليوم نفسه ٧ أكتوبر فقد
دفعوا ببنباتهم ومدركاتهم في شكل هجوم مضاد على نفس المحاور التي جرى عليها
هجوم للفجر، ولم يستغرق هجومهم أكثر من ٢ ساعات لضطر بعدها الإسرائيليون
إلى الانسحاب والارتداد خلفاً بعد أن تركوا وراءهم على أرض المعركة ٦٠ دبابة
وسيارة مدرعة معطمة و١١ أسيراً.

وحيثما كان الإسرائيليون يرتكبون خطأ بعد فشل هجومهم الكبير للمرة الثانية لى
اليوم الثاني للقتال كانت الطائرات المصرية تقوم بأعنف صرية جوية مد للصربية
الأولى حيث قامت ٦٤ طائرة مصرية في الواحدة ظهراً بقصف المواقع والمنشآت
الإسرائيلية في القطاعين الأوسط والشمالي والعودة بنجاح دون أن تتمكن الطائرات
الإسرائيلية من التخليق بها أو الاشتباك معها.

ولقد كان واحداً من مغرور وقرع الهجوم المدرع المضاد على عصى بدلولح بين
٦ كيلو مترات و ٨ كيلو مترات شرق القناة في الإمبرياليين فدعوا تماماً كل وسيلة
تتصل لهم بحط بلاريف الذي سقط معطمة في اليوم الأول بينما بقيت سطله حصينة
مقلوم وتتحصن في الدشم المنعجة.

وقد اكتفى المصريون في صباح اليوم التالي القتال بمجرد إحكام الحصار حول هذه النقاط التي لم تسقط بعد وعزلها تماماً عن أية وسيلة للنجدة أو الإمداد ولكن الأمر تغير تماماً عند الظهور فقد صدرت تعليمات جديدة من القيادة العامة للقوات المسلحة تقضى بمهاجمة باقي النقاط وتصفيها تماماً فقد تكدت القيادة أن المعجز المؤقت لهذه النقاط في الوقت الحالي يشكل في مرحلة متقدمة من القتال شوكة في ظهر القوات المصرية وفي أجنالها.. ثم إن هذه النقاط التي لم تسقط تقوم بدور استطلاعي متقدم وتبلغ القيادة الإسرائيلية صورة دقيقة لكل ما يجري أمامها على شاطئ القناة، ولم يكن ذلك مجرد احتمال وإنما كان واقعاً وحقيقة فقد التقطت أجهزة القصص والإستماع المصرية عديداً من الإشارات الصادرة من هذه النقاط إلى القيادة الإسرائيلية وأهمها تلك التي صدرت في التاسعة والنصف صباح ٧ أكتوبر من النقطة القوية جنوب الفردس إلى القيادة الإسرائيلية في سيناء ونصها ملى:

التحصار أصبح محكماً حولنا من جميع الاتجاهات... موقعا وحده يحيط به أكثر من ٨٠٠ جندي مصري.. طلبنا منكم بالأمس نجدة عاجلة بالمدفعات لكنه حصارنا وتصويرنا السحابة بالكل قدر من الضيق.. المواقف الآن لا يستدعي إرسال أية إنبات فسوف يكون مصيرها الهلاك قبل أن تصل إلى موقعا لأن الدبابات والمصفحات والأسلحة المصرية الثقيلة تعبر القناة منذ فجر اليوم بكدمات هائلة كما أن عبور المشاة للمصريين مزال مستمراً بقوة لاظهار لها " قنعت البرقية".

وبال ذلك بعد ٢٥ دقيقة فقط كانت المخابرات المصرية العسكرية قد التقطت إشارة استغاثة أخرى من نقطة اسان بورثوفيق عند الطرف الجنوبي لقناة السويس موجهة إلى القوات الإسرائيلية في سيناء ونصها ملى:

الأمر بات مختلفاً تماماً عما كان عليه منذ ساعات فقد بدأت مئات الدبابات المصرية تأخذ طريقها إلى سيناء.. لأن القوات الجوية الإسرائيلية؟؟ فليس هناك وسيلة لوقف هذا الزحف سوى ضربته ضد المعابر والكتل التي نصبها المصريون
 " قنعت الإشارة؟"

ولهذا تمع حفول آخر صوء لتهول السابح من لكتوير بدلت قصائل لأمشاة والصاعدة
للمصرية فى تنعذ أمر القوادة العامة بمهالمة هذه القنط لقى لم تكن قد سقطت بعد فى
خط بارليف ودار قتال عنيف استخدم فيه كافة أنواع الرشاشات والأسلحة البصاء
وستمر طوال الليل فى موقع الجراح القعظرة والعدلى وشمال القنط وبعان بورنوفيق
وعيون موسى

ولم يكن الإسرايليون المعاصرون لذلك نشم خط بارليف يعرفون أن قبائهم قد
اتحدث قراراً بعدم جدوى أية محاولة لإقتناهم.. فقد رار موسى دبان مركز للقوادة
المتقدم فى سبء بعد ظهر السابح من أكتوبر واستمع إلى تقرير عن الموقف من
الجنرال شمولون جوينى فقد الجهة ثم أصدر دبان تعليماته كلاً:

"إنه لا يرى سوى حل واحد لهذا المأزق الذى وضعت فيه إسرائيل.. إن القوت
الإسرائيلية يجب أن تخلق بسرعة كل تحصينات خط بارليف وأن تمسح إلى الخلف
للمشاركة فى بناء خط دفاعى ثان عند المعرف حتى يمكن إيقاف تقدم المصريين.. إن
معارك الدبابات لقى بغوصها حالياً لاجدوى منها ولا تكرر سوى استنزاف قواتنا"

وبعد أن انتهى دبان من كلامه ساد الوجوم وجوه كل القوادة الإسرائيليين الذين
استمعوا لقراره المفاجئ، وبعد دقائق قليلة كان كل ما خاله دبان لقائه فى مقر قيادة
سبء بالحرف الواحد فى داخل غرفة العمليات المصرية وكان له أكثر من دلالة
وأعظم من مقوى

ومع تزايد حدة الامتزازات الصخرة من الجهود الإسرائيليين المعاصرين لم يجد
الجنرال جوينى مفرأ من القنط قرار مفرد سحلاً تعليمات دبان وأرسل بعض
الوحدات المدرعة لمحاولة إخلاء وسحب القوت المعاصرة، وشكنت إحدى هذه
الوحدات من الوصول بالفعل إلى مشارف موقع لسان بورنوفيق وأجرى قائد وحدة
النجدة اتصالاً لاسلكياً مع قائد الموقع وطلب منه إخلاء الموقع ومحاولة اللحاق
بالدعمات الإسرائيلية لقى تقظر على بعد ٢٠٠ متر من الموقع، ولم يكذ فخذ الموقع
يرد على النجدة بالإيجاب حتى انتهت على الموقع الحصين وعلى نقط نمركز وحدت

النجدة الإسرائيلية حمم كثيفة من التيرلن المصرية.. فقد كانت أجهزة الاستطلاع
اللاسلكي والإلكتروني المصرية تتابع الإشارات الإسرائيلية المتبدلة لحظة بلحظة
ويبعثها إلى القيادة مباشرة وقد ترتب على ذلك هلاك كل أفراد الوحدة الإسرائيلية
المدعمة ببنية سموت قوة لاسلكي بورتوفيق قتيعة داخل حصونها حتى اضطرت
بلاسلام بكمال سلعنها ومعداتنا ويحضور ممثل الصليب الأحمر الدولي يوم ١٣
أكتوبر ولكن هذه حكاية أخرى!

ولم يفك إرثك الإسرائيليون في اليوم الثاني للحرب عند حد وأسهم من استعادة
عدي بنون وفشلهم في احتراق شبكة الدفاع الجوي أو عجزهم عن وقف تيار الرهف
المصري إلى عمق سيناء وموجات الهجوم المصرية المتلاحقة على مراكز القيادة
والتوجيه والمطارات الإسرائيلية وإما ردا من إرثناكم أيضاً ما كان يجري بصف
بالع في صحور جنوب سيناء الوعرة التي احتلها رجال الكوماندور المصريون
وجعلوا منها مقبرة لكل مركبة إسرائيلية تحاول الاقتراب من هذا القطاع، ونعت مظلة
السيطرة المصرية على هذا القطاع الحيوي من سيناء الذي حرم الإسرائيليين من
حرية المنورة والانتقال لإمكان تطبيق قوات الجوش الثالث المصرية قامت مجموعة
من المجموعات المصرية الخاصة بقيادة الشهيد البطل إبراهيم الرفاعي وبناء على
تكتيف مباشر من القائد الأعلى للقوات المسلحة بمهاجمة أبلر البنزول في بلاعيم
وإشغال النار فيها في الخامسة من مساء السابع من أكتوبر كما قامت المجموعة
باحتطيم وإحراق حقل إسرائيلي.

ولنتذكر الآن آخر مرة رأيت فيها الشهيد إبراهيم الرفاعي في الساعة السابعة من
سباح اليوم التالي للعمليات ٨ أكتوبر وقد عاد إلى مقر القيادة بالقاهرة مسرورا لنجاح
العملية ومعه فيلم كامل لصور الحرائق المشتعلة في بلاعيم ولكن البيان الحصى
يتعهد هذه العملية الجزئية لم يصدر إلا بعد ٢٨ ساعة من وقوعها لاعتبارات خاصه
تتعلق بأمر عملية خاصة أخرى.. في اللحظة التي اتفق على إذاعة بيوس عملية بلاعيم
كان إبراهيم الرفاعي ورجاله يهجمون بجرلة نذرة المواقع الإسرائيلية المحصنة شرو

بورفولاد وبدأ هجومهم في الساعة الحادية عشرة وثلاث وعشرين بقعة مساء ٨
لكنوير بعد لحظة يبل عملية بلاعيم.

في السابع من أكتوبر سوف يبقى يوماً مشهوداً ذلك لأنه اليوم الذي شهد معركة
تثيت وإنجاح عملية العبور كما شهد دحر كل محاولات الرد الإسرائيلي المصدا في
البحر والبحر والجو.

وبمساء هذا اليوم كانت كل المصبة الشرقية القصة قد أصبحت في أيدي قوات
تماماً واستسلم ماكني فيها من نقط قوية باستثناء نقاط لسان بورفولاد والقنطرة شرق
وبورفولاد التي ظلت محاصرة تماماً.

كما شهد يوم ٧ أكتوبر أسر أعداد كبيرة من الإسرائيليين استسلموا داخل النقط
القوية كما أسر آخرون بمركباتهم ومعداتهم وأسلحتهم.

وفصلاً عن ذلك كله استمرت القوات المصرية المسلحة في تكثفها عبر القناة وهي
تقتل بنجاح على طول خط المواجهة وتسقط المدرعات والمشاة الميكانيكية المتقدم
إلى حلق وصل في بعض القطاعات إلى ١٢ كيلو متراً.

وبالنسبة لفسائر الإسرائيليين في ثاني أيام الحرب فوفقاً لأقل التقديرات خسرت
إسرائيل على الجبهة المصرية ٤١ طائرة مقاتلة ومسكاي هوك وميراج و ٨٠ دبابة
و ٤٦ سيارة مصلحة ومئات البنادق والمدافع الرشاشة التي تم الاستيلاء عليها سليمة
تماماً مع مجموعة من العربات المدرعة والدبابات ولوحظ يومها أن طائرات
الهليكوبتر الإسرائيلية وجهت مجهودها الرئيسي طوال اليوم لإحلاء جثث القتلى
والجرحى من أرض المعارك، واستحق هذا اليوم أن يسميه الإسرائيليون في تقرير
لجرائات عن الحرب بأنه كل يوم يرفقت الاستغاثة ويوم الحصار؛

طوال السنوات الست التي صفت حرب أكتوبر كلفت إسرائيل ثقب في نظر العالم
قذمة عسكرية لا يمكن هزيمتها وكل البعض قد بدأ يرى في موسى ديس القائد
للعسكري الأعور رمزاً ونموذجاً مجسداً للتفد العسكري المنتصر الذي لا يعرف

الخوف كما لم لاسلوكات العسكرية التي قامت إسرائيل بها لمطاردة الفلسطينيين الفلسطينيين صورت مقاتلي الجيش الإسرائيلي في نظر الرأي العام العالمي كـ"سوبر مان" تتوارى أعمال جيمس بوند البطولية خجلاً أمام أعمالهم، وأصبحت أسطورة المحاربين الإسرائيلي التي تسمع ديبب القطة في كل مكان من العالم بموجباً يحدى خصوصاً بعد نجاح الفلوجة الإسرائيلية على قلب بيروت في أبريل ١٩٧٣ عندما تمكنت القوات المصرية من الوصول إلى بيروت عن طريق البحر وتوجهت بالسيارات لاغتيال بعض زعماء المنظمات القذافية مما ساعد على تضخيم صورة هذا الجهاز الاستخباري ليس في نظر العالم فقط بل في نظر الإسرائيليين أنفسهم أيضاً

وفي القاهرة كانت العيون ترقب وتسمع ولا تتكلم. كل الصمت والصبر صمدت للوقت وصبر المؤمن.. فقد كانت الأجهزة المسئولة تنتظر اللحظة المناسبة لتكشف بعضاً من أوراق الجنود المجهولين في أجهزة المخابرات المصرية الذين كانت مهمتهم متابعة وتحليل كل نقاط الضعف في أسطورة المخابرات الإسرائيلية.. يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر وسنة بعد سنة وعملية بعد عملية كانت القاهرة قد زادت بقياً رتبة فيما نراه ونعتقد به من المخابرات الإسرائيلية. جهاز عادي صنعت منه تقصيراتها في عام ١٩٦٧ شكلاً أسطورياً هو لحد ما يكون عنه.

كان ما رآه القاهرة من فشل للمخابرات الإسرائيلية بمساعدة في خط يهالي مور للسط المتصاعد في حرية السياسة الإسرائيلية دبلوماسياً وتقوية للجيش المصري عسكرياً وللنفاق إلى قلب مصادر المعلومات الإسرائيلية استخبارياً وكانت سلسلة الفضل التي اعتبرتها القاهرة اختصاراً حقيقياً لدى قوة جهاز المخابرات الإسرائيلية تمثل في

١) عملية الهجوم القذافي الذي قام به ثلاثة من الليبيين على مطار اللد الإسرائيلي في ٣١ مايو ١٩٧٢ والتي أسفرت عن مصرع ٢٤ شخصاً وجرح عشرات آخرين والتي لم يكن سوى هزيمة قاطعة للأسطورة المخابرات الإسرائيلية التي حاولت تبرير فشلها في معرفة ما حدث بالقول إن هذه ظاهرة جديدة وأسلوب

جديد لم يعرف عنه شيئاً ولم تعتمد لسل هذا الهجوم المروع - وكثل ذلك بدوره - على مثل آخر هو أن الجهاز المفكر الذي يتولى تقويم أساليب للعمل للممكنة للقاتلين وتحديد طرق مكلفتها يعانى من خلل جسيم يقول أن أحدا من الذين كان يتوجب عليهم القيام بذلك لم يأخذ بالحمايل خروج القاتلين عن خط أصلهم المعروف بخطرات إلى التحول إلى إسرائيل نفسها وتتعدد عمليات دملها، ثم فى ذلك، ككد وجود ثغرة عميقة فى جهاز الولاية الإسرائيلى وانعدام الاستعداد والتأهب فى قاعة الانتظار والقتل فى مطار اللد.

(٢) بعد أربعة أشهر فقط وقعت عملية الهجوم القذفى الذى قامت به مجموعة من رجال منظمة ليلول الأسود فى اليوم الحادى عشر لدورة الألعاب الأولمبية فى ميونيخ بالتصام مسمى البعثة الإسرائيلية فى المدينة الرياضية والتى أسفرت - بسبب محاولة الضربة القذفت بها سطوات الشرطة فى بافريا - عن مصرع ١١ إسرائيلياً وقد حاولت حكومة إسرائيل أن تلقى المسئولية على عاتق غيرها أيضاً فى هذه الكارثة القذفت هزت إسرائيل لكثير من أى هجوم قذفى سابق وذلك بإلقاء المسئولية فى نفس تكبير الأمن والمدرسة على المدينة الرياضية فى ميونيخ فى حين أن المسئولية الأساسية كلفت على عاتق حكومة إسرائيل دون إلحاح إلى معنى البعثة الأليمبية الإسرائيلية كلفت هزيمة كراء لجهاز الأمن الإسرائيلى وضلاً أمنياً خطيراً، وكان الأسس فى كل هذا الفشل يكمن هنا أيضاً على تقويم جهاز المخابرات الخطأ أن الصراع بين جهاز الأمن الإسرائيلى وبين المنظمات القذافية وقد خرج فى هذه المرحلة عن إطار القوة وأصبح تصرعاً بين العقول والمكائد وفى الوقت الذى يجهد القذافيون فيه عقولهم لاستتباط أساليب جديدة لضرب إسرائيل لم يفكر جهاز الأمن الإسرائيلى مسبقاً على إكس قيام القاتلين بذلك.

(٣) لم تمر ثلاثة أشهر أخرى حتى وقعت حادثة أخرى فى نهاية ديسمبر ١٩٧٢ عندما سيطرت مجموعة من رجال منظمة ليلول الأسود على سفارة إسرائيل فى

بانكوك عاصمة تايلاند واحتجزت بعض موظفي السفارة وبيعتهم سمير إسرائيل
في كمبوديا كرهائن.

ولم تكن المعالجة في الهجوم بعد ذلك بل في حقيقة نجله لأنه منذ كارثة ميويج
عرب المخاوف الإسرائيلية أن جميع مفاوضات إسرائيل في الخارج هي
أهداف ممكنة لهجمات القذائف واستحوالة الاستيلاء عليها وقد رابت بالفعل
وسائل الدعاية والحماية على المفاوضات الدبلوماسية الإسرائيلية في الخارج
واتخذت سلسلة كاملة من التدابير للحيلولة دون حدوث معالجة أخرى على غرار
ميويج ومع هذا فقد نجح رجال ليول الأسود في قتلهم مبعي السفارة الإسرائيلية
في بانكوك بسهولة مذهلة.

(١) وبعد أقل من شهرين أصيبت المظاهرات الإسرائيلية بهزيمة أخرى في الحادي
والعشرين من نوفمبر ١٩٧٣ أسقطت الطائرات الحربية الإسرائيلية طائرة ركاب
مدنية ليبية كانت قد صفت طريقها وانخرطت شبه جرملة سيداء وأدى ذلك إلى
مقتل ١٠٦ من ركاب الطائرة المدنيين وقد وقعت هذه المأساة المروعة التي
أحدثت تحولاً حاداً في الرأي العام العالمي بالنسبة إلى إسرائيل - وقعت بسبب
سلسلة من التقصيرات والأخطاء والتفكيرات الخاطئة والحسابات المتسريعة التي
تثبتت أن للمظاهرات الإسرائيلية فقدت توفيقها من جراء العمليات القذافية
الناجحة.

(٥) بعد خمسة أشهر بالضبط وبالتحديد في مساء السبت ٢١ يوليو ١٩٧٣ جرى في
ضواحي القرية النرويجية "ميهلم" ماكن مغترماً أن يصبح عملية تصفية أحد
الرصاص الكبار في ليول الأسود إلا أن هذه العملية أصبحت - على حد وصف
مجلة "تايم" الأمريكية - مأساة من الأخطاء قُتلت لصوصا كثيرة على متنها، في
ذلك اليوم أطلقت النار على أحمد بوشيكى المواطن النرويجي من أصل مغربي
ببما كان على عتبة بيته في "ميهلم" واتضح بعد موته فقط أنه لم تكن له صلة
بالمخطط القذافية وأنه قتل على ما يبدو بعد أن شخص خطأ كر عجم منظمة

للبول الأسود "حمن سلامة" فلسطينية والنياء للذئب فقرنا يتفقد للمعبدة للنبي
كشعت السلطات الترويجية مسئولية المخابرات الإسرائيلية عنها أنت إلى إلقاء
التبص على شبكة كاملة من عملاء المخابرات الإسرائيلية مزلوا حتى هذا اليوم
مستقل في الترويج.

٦) وبعد أقل من شهر وخلال الأسبوع الأول من أغسطس ١٩٧٣ تطلعت طائرات
مقاتلة إسرائيلية نحو المجال الجوي اللبناني كانت متوجهة نحو العراق ثم
لهبتها على تغيير وجهة سيرها نحو إسرائيل حيث سقطت في مطار عسكري
وبعد أن تم فحص جميع ركاب الطائرة سمح لها بالصعود إليهم والعودة إلى
بيروت، وقد أعترفت إسرائيل آنذاك بأنها اعترضت الطائرة اللبنانية خالفة
القانون الدولي لأنها كانت فيها مطويات نقد بأن جورج حبش لرئيس الجبهة
الشعبية لتحرير فلسطين موجود على ظهرها.

ولضلاً عن الفضل المبين الذي واكب عمل المخابرات الإسرائيلية وأكد بكمال
تضليلها واستغلالها فقد برهن عمل الفرصة هذا على سوء التقدير ومدى
الارتباك والزعزعة.

٧) وبعد بضعة أيام من اعتراض الطائرة اللبنانية لمطاف مجوس ليهي يدعى
محمد النومي طائرة ركاب لبنانية من طراز بوينج كانت في طريقها من بعلبكي
إلى بيروت ولجبر فلقدما على التوجه إلى إسرائيل وإزالة الطائرة من مطار اللد.
ولعل القصة بأكملها تبدو مسرحية لولا أنه كان خلفها فشل وغباء إسرائيل
خطير جداً عندما اعترضت الطائرة اللبنانية في ميناء كل أحد التطلعات لإسقاط
الطائرة الخوف من أن تكون "مصيدة حية للفلسطينيين" الذين يتوون التوجه بها نحو
بدي المدن الإسرائيلية وتغييرها هناك. وهنا عندما احتلف القوس الطائرة
للبنيانية فرق عبرس وأمر فلقدما بالتوجه نحو تل أبيب نجح في تنفيذ ما ادعى أنه
غير قابل للتفكير فقد أخذ إيتاً بالتحقيق فوق تل أبيب دون أن يعلم أحد أن خاطف
الطائرة شخص مجنون وبالعقل نصه كلى بالإمكان أن يكون فلان فلسطينياً

يدوى تعجير الطلقات في تل أبيب. وعلى الرغم من ذلك لم يصب أي شخص
هذه المرة من هذا الاحتمال.

٨) وقبل أسبوع واحد سقط من حרב أكتوبر وفي يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٣ اختطف
القدسيون الفلسطينيين ثلاثة مهاجرين يهود من روسيا في أثناء مرورهم في
القطار من تشوكوبولوفكا إلى النمسا. واحتفظوا بهم مشترطين لإطلاق سراحهم
تعهد حكومة النمسا بتمسيرة معسكر الانتقال "مبونار" الذي يستخدم لاستيعاب
المهاجرين اليهود من روسيا في طريقهم إلى إسرائيل وقد استجابت حكومة
النمسا بالفعل لمطالب القذابين بينما كانت المخابرات الإسرائيلية ورجالها في
النمسا في غفلة عن حماية المهاجرين.

ولم تكن هذه السقطات للمخابرات الإسرائيلية في النمسا سوى مسك الختام لمسلسلة
من السقوط والفشل كانت القاهرة نراها بعين نقطة ومفتوحة وفي ظل إدراك كامل في
أن هذا الفشل وذلك السقوط في يكون الأخيرين في حروب المعلومات والمخبرات التي
سوف تنقل حتى أشدها ما بقي الصراع العربي الإسرائيلي قائماً

قبل ٦ أكتوبر ١٩٧٣ لم يكن يمر دور أن تنقل مصادر الأنباء العالمية بصريحتهم للقادة الإسرائيليين وتحثون فيها على القوة والسرور عن خوفهم الذي لا ظهر وعن يقينهم بأن للفوق الشاسع بين القوة الإسرائيلية والقوة العربية لا يمكن تعويضه وبالتالي فإن الأمر كله في يد إسرائيل تتفوق عما نشاء من الأرض العربية المحتلة وتتمسك بما نراه ضرورياً لأمنها ربما لمزاجها التنصبي والمحتوي ولقد صدق العالم تماماً ما كانت تروج له إسرائيل. بل إن شواهد كثيرة كانت في تجلباب بعض العرب تصديق الأسطورة وشماهل التاريخ.

ولكن بعد أن نجحت القوات المصرية في ٦ ساعات فقط في أن تعظم حياطة الغروب وأن تدير المستحيل ماذا قال الإسرائيليون وكيف كانت تطبيقاتهم. وهل استمر ضرورهم وصلتهم؟ .. هي الحقيقة . لا .. بل إن ما حدث كشف عن زيف الأسطورة وأثبت أن جنرالات إسرائيل ليسوا أبناء هم العقيدة العسكرية الجبراة التي صورته دعاية الوهم عقب الانتصار الخاطف عام ١٩٦٧. لها هي إلا ساعات مضت على نشوب القتال وبدأت نصرهم يتكشف حجم انهيارهم وتكسبهم . للجنرال حاييم هرتزوج مدير المخابرات العسكرية الإسرائيلية السابق والمناطق الحساسة المعروف يقول : "إنه للمرة الأولى منذ عام ١٩٤٨ يخوض الجيش الإسرائيلي حرباً دفاعية .. في المعركة ليست سهلة وستكلفنا ضحايا بأعداد كثيرة".

وبعضى هرتزوج يقول في منطقه أن المعركة ليست في أيدينا وستمر فترة على هذا الوضع حتى يبعث قوات الاحتلال من الخطأ في وسطوع الجيش الإسرائيلي أن يحارب حرباً جديدة طبقاً لأسلوب الحرب السابقة لأننا أصبحنا في وضع مختلف من ناحية الحذر وقواته ومعداتة والموقف السياسي بالإضافة إلى حدوث تغييرات في التكنولوجيا العسكرية

رأى محاولة لتدوير حجم الخسائر الهائلة في الساعات الأولى من القتال أصعب للقيادة العسكرية الإسرائيلية بيقاً بعد ١٠ ساعات من بداية الحرب قالت فيه في القوات الإسرائيلية التي تقاتل على طول جبهة قناة السويس وجندت نفسها مشتبكة في نفس

لوقت في معارك أخرى مع الكوماندوز المصريون الذين قتلوا في العمق نقص
لخطوط الإسرائيلية.

وهرع أبا إيبان وزير الخارجية الإسرائيلية الذي كان موجوداً بنيويورك ليعتلي
منصة الأمم المتحدة ويعلن من خلالها بعد يومين قسط من تشوب المعارك أن إسرائيل
تكتب خسائر جسيمة في الأرواح.

ويعترف الجنرال شيراز جوفين قائد الجبهة الجنوبية بهول ضاربي بعضل بساله
الجندي المصري ويقول أنه بعد ٢٤ ساعة على بدء المعارك يمكن القول بشكل أكيد
بأن المعارك قاسية جداً وبأنها تسبب خسائر المدمجة المصرية الضخمة بالقرب من
منطقة المواجهة ويعود هالهم مرتزج مرة أخرى يؤكد مدى الانهيار الذي أحدثته
المفاجأة فيقول يوم ٨ أكتوبر: في الحملة الإسرائيلية لإلحاق الهزيمة بالعرب لن تكون
سهلة أو سريعة وإن القتال كان حتى الآن مرهقاً ولبس هناك شك في أن
الصراع الذي يواجهنا ليس صراعاً سهلاً لأننا لا نتعامل في اللحظة تراهة مع عدو
ضعيف.

ويعترف الجنرال أمرون بلريف مدير المخابرات السابق بأن شبكة الدفاع الجوي
للمصري سقطت عدداً كبيراً من الطائرات الإسرائيلية خلال الـ ١٤ ساعة الأولى من
الحرب كما أن عدداً كبيراً آخر قد سقط في معارك جوية مع المقاتلات المصرية
والسورية.

ونقلت وكالة رويترز يوم ١٠ أكتوبر عن أحد كبار الضباط الإسرائيليين قوله أن
العرب سيحجم على الإسرائيليين عندما نعلن عليهم التفاتر كلها، ومصى يقول إن هذه
الحرب ليست حرب ١٩٦٧ بل هي حرب قاسية وأن السوريين يقاتلون بصراوة بيب
الإرهاق بدأ على وجوه الجنود الإسرائيليين. وبعد صمت دام أكثر من خمسة أيام منذ
بداية الحرب خرج كبير هم موسى ديان ليعول في التلفزيون الإسرائيلي: في إسرائيل
تخوض الآن حرباً لم تحارب مثلها من قبل سواء عام ١٩٥٦ أو عام ١٩٦٧ وقال
ديان وكله لسي وحسرة "هذه حرب صعبة .. معارك المرات، قاسية ومعارك الجو

جها مريرة، إنها حرب ثقيلة بألوانها وثقيلة بدمائها". ولأنه رايدو نل ليبب نصيف للجبر ال حايم هر تروج قال فيه أن مصر تستخدم تكتيكاً جديداً في الحرب بعوات الكوماندور. ونقل رايدو كذلك عن الجنرال كللمان قلند أحد المواقع في شمال سيناء قوله أن القوات المصرية للخدمة تدخل سيناء من كل مكان ومن كل اتجاه وبكل الوسائل بطائرات الهليكوبتر والقنابل ومسيراً على الأقدام إلى هذه القوات تقاتل بشراسة وهي مدعومة بالمدفعية والأسلحة.

ونقلت صحيفة جيو رور اليم يومت عن أحد كبار الصباط بالقوات الجوية الإسرائيلية قوله أن النطاق المصري المضاد للطائرات يتمتع بقوة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الحروب تلوق تلك التي واجهها الأمريكيون في فيتنام.

ونتيجة لتصور وعجز في فهم عاجز خرج الجنرال شونل جونين قائد الجبهة الجنوبية ليقول أنه يبدو أن كميات الأفراد ضخمة وعمليات الهجوم والعتاد ضخمة والأسلحة المضادة للطائرات ضخمة كما أن أعداد الدبابات الأخرى ضخمة وأن هذا التكتيك الذي يشبه المصريون يشبه تكتيك الصينيين في كوريا .. فهم يهجمون موجات وراء موجات.

وقضبح أحد القادة الإسرائيليين الذين كانوا مسؤولين عن خطر بلوف حالة الانهيار التي وقعت لهفوده عندما سرح لمطة شتون الألمانية بقوله أن القوات المصرية قد وصلت إلى هذا الخط عند اقتحامها له بسرعة لا يمكن للعقل أن يظنها وأن القوات المصرية صبت كميات هائلة من القنابل بصورة لم يشهدها من قبل على الإطلاق ومعنى لذلك الإسرائيلي بقول أن الجندي الإسرائيلي لخطته المفاجأة ولم يفهم حقيقة مدبنت وعندما بلغت واضحا أن قوة مطلوبة لإعادة عقارب الساعة إلى الوراء هي محاولة يقسة وأن على الإسرائيليين أن يعترفوا بما حدث خرج فيجال ألون نائب رئيسة الوزراء عن صمته ليقول : لقد انتهى ذلك العصر الذي كنا نتألم فيه من تحت بأنفسنا وانتهى أيضاً موقف الاحتفال والصلف الذي كنا نتخذة حيال العرب لأن هذا

العصر وذلك الموقف لم يعد لهما وجود .. فقد أظهر العرب استبسالاً وشجاعة
وأحرروا انتصاراً سيادياً ونجحوا في كسر جمود الموقف.

وعندما عاد أنا إيمان إلى تل أبيب قادماً من نيويورك بعد ٦ أيام من بداية الحرب
أدلى بمصريح قال فيه - إلى النصر السريع الحاسم في حرب ١٩٦٧ قد أعطى للشعب
في إسرائيل احساساً كلاباً بالأمان وقد صدق الإسرائيليون مثل باقي دول العالم في
إسرائيل لا يمكن صربها أو هزيمتها حتى إذا ولجبت الظروف السلبية للمية، ولقد كس
هذلك إحساس خارج إسرائيل بكل طاقاتها يستطيعون الانتصار في المعركة حتى بدون
طائرات وكانت النتيجة أننا عشنا طوال السنوات الست الماضية في عالم غير واقعي
ولقد ترتب على ذلك أننا ندفع الآن ثمناً غالياً مقابل هذه الأوهام.

وإذا كانت تصريحات قوس وإيمان تعني اعترافاً صريحاً ب سقوط الأسطورة وانتهاء
لأوهام فإن دافيد البعازر رئيس الأركان الإسرائيلي كشف بنصه يوم ١٢ أكتوبر عن
سقوط الأسطورة وإنهاء الأوهام عندما قال في مؤتمره الصحفي : إلى نكل حرب
معها مفاجئتها وكانت أكبر مفاجئة لنا في الحرب هي كفاءة الجندي المصري
وتضحيته واستعداده للتضحية ووجود الدافع القوي للقتال عنده، وأضاف البعازر قائلاً:
بأنه على استمداد لأن يؤكد أنه لم يكن لديهم تصور خاطئ للحرب وأن الجيش
الإسرائيلي كان مستعداً لها ولكن كل حرب معها مفاجئتها وهناك أشياء لا بد من
لتعلمها وهي أن تصبح معلوماتنا فيها ولأكبر هذه المفاجآت أن الجنود المصريين
وكذلك السوريين قد أظهروا قرأ من الكفاءة والتضحية بالنفس يعوق غداً بكثير مما
أظهروه في الحرب السابقة

ولم يكن كل ماسبق مجرد شهادة .. شهادة أولية أكتكت في الانهيار لم يكن مقصوداً
على خط بارليف وحده إنما لآرمة انهيار مروج لجنرات الأسطورة.

في الموقف يبدو حرجاً ولكي ندفع عن إسرائيل لم يبق أمامنا إلا أن نحسب ثقلنا
خلف معرلة في جيباء وعلى قسم هسية الجولان ومن حق الشعب في يعرف الحقيقة
كامله وسوف توجه على الفور حديثاً بالتقريرون.

هكذا قال دبيل في الثامن من أكتوبر - أي بعد يومين فقط من القتل - أمام رؤساء تحرير الصحف الإسرائيلية الذين دعاهم والذين استقبلت عليهم الدهشة من جراء تصريحات وزير الدفاع الذي لم يبد من وجهة نظرهم في حالته الطبيعية عدد كافي (إلا هان بانياً على قساعات وجهه وكان صوته يسمع بالكاد وبدأ وكأنه يعكس صورة عمة للظروب العسكرية التي لا تتفق كثيراً مع اللياقات والتصريحات الرسمية التي يتحدث عن الانسحاب.

وخلال هذا الاجتماع عرف رؤساء تحرير الصحف الإسرائيلية من دبيل أنه في أكل من 18 ساعة تمكن الجيش المصري من عبور القناة ولحلال خط بارليف الحسين وأن خمس فرق من وحدات المشاة والبنات والمدرعات المصرية الثقيلة تتقدم على جبهة طولها مائة وعشرون كيلو متراً داخل سيناء وأن ما يريد على ألف دبابة سورية يساعدهم الطير أن قد غزت الجزء الأكبر من هضبة الجولان وأن بعض العناصر قد وصلت بالفعل إلى حدود إسرائيل قبل عام 1976 وتحوّلت دهشة الصحفيين الإسرائيليين وذهولهم إلى قلق عارم وتفجرت إحدى الصحف في البكاء وقالت (إن لمهي نهاية الدولة وبداية تصحوة كبرى جديدة).

والثقت رئيس تحرير صحيفة يديعوت أحرموت السافونية - الذي اشتهر بمساندته لسياسة الجنرال دبيل - وقال له بلهجة غفوة وقد فرجت شفاهه كيف وصل بها الأمر إلى هذا الحد؟؟.

وأجاب دبيل قاتلاً: لقد كان ثور شجاعاً جفماً ورد عليه الصحفي وقد ارتسمت الدهشة على وجهه ولكن جولدا مائير صرخت لأول أمس بأنها كتبت على علم نام بالاستعدادات العسكرية العربية ثم استورد قاتلاً: كتبت للسفوف الوحيد عن الكارثة ولن أعرف عنك من القسك بالكرامة ينبغي أن يجعلك تترك الحكم.

وبعد مناقشات حادة عنيفة كان الصحفيون الإسرائيليون خلالها معترسين على بداعة أي أنباء تنس الروح المعنوية للرأي العام الإسرائيلي - ففض الاجتماع وتوجه دبيل إلى مكتبه لكي يعد بيانه الذي سيوجهه إلى الشعب الإسرائيلي عن طريق

التفريون بينما استقل رئيس تحرير صحيفة يديوت أحرفوت ميلوته وتطلق بها في سرعه جنونية إلى منزل جولدا مائير حيث طلب مقابلةها قوياً لأمر هام وأبلغها بتفاصيل مدججى خلال اجتماع ديان بروساء تحرير الصحف الإسرائيلية

وأيفت جولدا مائير أن ديان قهار نعلماً وأن حفيظه الذى يرجع لى بوجهه عبر للتفريون سوف يصيب للشعب والجيش الإسرائيلى كله بالهيار ومن ثم فقد اتخذ قراراً ببيع ديان من توجبه كلمته فى التفريون والتي كان مبدع فيها قرار الانسحاب الإسرائيلى من الجوراء الأكبر من حياء والجولان.

وسارعت جولدا مائير إلى الاتصال بالجنرال بارليف رئيس هيئة الأركان السابق بناء على توجبه من إيجال ألون وكلفت مائير بارليف بإجراء تقييم عام للموقف على جبهات القتال وعاد بارليف ليقول لجولدا مائير أن للموقف حرج للغاية ولكنه يدعو للأيأس الكامل وأنه لابد من الصمود بأي ثمن لأننا لاملك حالياً القدرة على شن هجوم معاد.

وكان استدعاء بارليف مقدمة لاستدعاء هيئة كبار من جمرالات إسرائيل وقادة جيشها السابقين الذين تم دفعهم إلى كافة المواقع فى محاولة لتقليل حجم للكارثة التى لحقت بالجيش الذى لايقهر.

وبينما كانت القيادة العسكرية الإسرائيلية تفكر فى وسيلة تسديد بها سمعتها التى غرقت فى الوحل أمام وحف جيوش العرب كلل الانقسام والتفكك قد بدأ يسرى بين الورياء الإسرائيليين أنفسهم فقد اكتشفوا أنهم - هم الآخرون - قد خدعوا تماماً فلقد جاءت الحرب بالنسبة لهم مفاجأة تماماً حتى أن إيجال ألون نائب رئيس الورياء لدى رأس اجتماع لمجلس الوزراء قبل الحرب بأربعة أيام عندما كانت جولدا مائير فى لعمسا لم يكن يسرى عن التوتر على جبهات القتال شيئاً

وسرى الانقسام والأيأس من الحكومة إلى أفراد الشعب الإسرائيلى ، بدأت تظهر معه جنيدة فى الصحف والإذاعة والتفريون ولحقت تماماً كلمات الحطاسة والصنف

والمرور وبدأ القناص في إسرقتل وسنحسون من الإذاعة والتليفزيون طوال النهار إلى
أعية جديدة كلماتها تقوى:

باسم الجود الذين لحتروا أحياء في دبلاتهم .. باسم الطيارين الذين هبطوا
والنيران مشتعلة في أعضائهم باسم حرب يلسم .. يلسم .. يلسم . أعذك يا صموني
المريزة في هذه الحرب ستكون الأخيرة .. نعم الأخيرة . والأخيرة .

ولصحت نمناً من براسج قرانيو والتليفزيون الإسرائيلي أمانيتا حرم للشيخ والقدس
الذهبية للقتال ككتنا من شمل حرب ١٩٦٧ وتعطيان للإسرائيليين فرحة الحياة ولدة
العمر لقد أدرك الإسرائيليون منذ هذه اللحظة أن حرب أكتوبر حوت لفرحة إلى ماتم
وبدا الإسرائيليون يشعرون حققة بذل الهرمة ومهانتها ومن ثم فقد كان ذلك هو
الترجمة الحقيقية لكلمات الأغنية الجديدة التي توصح هذه الشدة والحدة للمتعطشة
للسلام والهدوء وروال القوتور ..

على أن أهم ما يلفت النظر هو انهيار أسطورة لقادة العسكريين الذين اعتبروا
انفسهم يوماً للذات وفحولاً في الفكر العسكري إلى حد أن أحدهم — هو إسحق رابين
المرشح وقتها لمنصب رئيس الوزراء الذي صرح ذات يوم بعد معارك ١٩٦٧ بأن
لديهم عطماً جاهزة لكل الاحتمالات بما في ذلك خطة لاحتلال كوكب المريخ .

بعد الساعات الأولى من نشوب القتال أصيب الجنرال شموئيل جوبين لالذ جبهة
سواء بالتهيار عصبى، وبدلاً من أن يصدر ديلان قراراً بإعفاء جوبين من منصبه
أصدر أمراً بتحرير مركزه في قيادة سواء بثلاثة من الجهزات قصائدعين وهم
الجنرال كالمين والذي حل في قيادة المدرعت مع الجنرال أبراهام مندسر الذي لقي
مصربه على للجبهة المصرية والجنرال شارون الذي كان يتولى من قبل قيادة جبهة
سواء والجنرال لائل الذي تم تكليفه بملازمة جوبين في مقر قيادة جبهة سواء، ومع
استمرار التصاعد المستمر في حجم الضائر الإسرائيلية تصاعدت حدة الخلافات بين
الجنرالات الأربعة في سواء واضطرت جواتا ماتير لأن تتدخل بنفسها لحسم ماجرى
ولصدت أمراً لحليم بارليف وزير التجارة والصناعة في حكومتها ورئيس الأركان

للمناقب نكي بتوجه على القصور إلى جبهة سيناء ويتولى قيادتها والتتسيق بين قنصيه
للمنصر عين، ولكن بلربيع بحكم طبيعة علاقته وارتباطاته الحربية لئلا يلى أن يكون
وسيطا بين القادة المتصارعين وتدخل هو الآخر فى خصم صراعاتهم.

ومن العجب أن يكون يوم ٦ أكتوبر يوم تهيئهم جميعاً رغم أنه لم يكن قد مضى
على شوب المعارك لكثير من يومين، فقدى نفس اليوم - وكفى وزراء إسرائيل سدا
شوب الحرب فى حالة اجتماع مشعر - دخل دافيد بن غوريون رئيس الأركان إلى قاعة
مجلس الوزراء الإسرائيلي يحمل تقريراً به كل معاني القلنس والقنوط التي حثمت على
إسرائيل يومها .. كان تقرير بن غوريون يقول: "إنه من بين ٢٥٠ دبابة إسرائيلية كانت
تمثل الاحتياطي التكتيكي لإسرائيل فى المنطقة الممتدة من رفح إلى قناة السويس لم
يعد هناك صالحاً سوى ٦٠ دبابة فقط" وفيه إزاء ذلك فقد لصطر إلى أن يصدر صباح
يوم الاثنين ٨ أكتوبر "أمرأ برفع ٦ ألوية مدرعة من الاحتياطي الاستراتيجي إلى جبهة
سيناء".

وخرج البعائر من اجتماع مجلس الوزراء الإسرائيلي مسرعاً إلى مقر السفارة
الأمريكية فى إسرائيل حيث طُلب اجتماعا عاجلا من الملقق العسكري الأمريكي ونقل
إليه قائمة كاملة بمطالبي إسرائيل الملحة والملمحة، وكانت القائمة تشمل طائرات
ودبابات ونشاور وطلح هوار ولم يكن قد مضى على الحرب سوى يومين اثنين فقط ا

طوال ليلة ٨ أكتوبر وحتى صباح اليوم التالي كانت الجبهة المصرية تُشبه بحلقة
محل لم يهدأ للحظة، فيما بين أفرار شهبانها مدينة القططرة شرق بعد تمريرها إلى
استعدادات واسعة على طول خط المواجهة لشن هجوم واسع مع حاصفت الحجر الأولى
لليوم الرابع للحرب بقوات فرق المشاة المصرية الخمس لتحقيق مزيد من التقدم على
أرض سيناء ولتظهر يبقى للجيوب الإسرائيلية.

وبينما كانت الاستعدادات المصرية تجري طوال الليل على قدم وساق كسل
الإسرائيليون يستعدون أيضاً لضربة إسرائيلية واسعة ضد رموس للجسور المصرية
وبالدات تلك الواقعة على المحور الأوسط.

لن ينقشع اللول في الساعة الثالثة والنصف من صباح ٩ أكتوبر بدأ الإسرائيليون
هجوماً بلواء إسرائيلي مدرع في مواجهة رأس جسر الفرقة الثالثة من الدبابات
كمخبراً لاستطلاع طريق الهجوم وتأمين اتصالات دباباتهم على الموانع المصرية
وتقدمت المفرة الإسرائيلية مسافة ٨٠٠ متر داخل الخطوط المصرية دون أن تلحظ
أحد في طريقها ودون أن تواجه أي مقاومة، وتوقفت الدبابات الإسرائيلية وأعطت
إشارة الأمان لبقية قوات اللواء المدرع فهذه فرصة ذهبية، وعلى ما يبدو ليس
المصريين إذ ناموا أو غطموا إلى أن الإسرائيليون شن بهجومهم القليل ومن ثم فبن
لفرصة سائحة للرد على مفاجأة ٦ أكتوبر بمفاجأة ٩ أكتوبر — هكذا كان ليس
هال الإسرائيليون يقولون؟

وبدأ الانفجار الدبابات الإسرائيلية في ٣ محور ووجه في اتجاهها حسب الطريق
المربوب لتنادي أثر الصوت الذي يحثه لاحتكاك جنائز الدبابات بالأسفلت، وسلكت
الدبابات الوادي المخصص شمال غرب قطاع الشجرة ووصلت في تقدمها إلى مسافة
٨ كيلو مترات شرق القناة بينما يتأخير أقوار العبر بدأت في الظهور.

وأصدر قائد اللواء المدرع أمراً بسرعة الانسحاب جنوباً لتطويق رأس الجسر
المصري الذي كان قد تم تجلوه. يتجابه القناة بكثر من ١٥٠٠ متر على أن تتدفع إلى

لأمام مجموعة أخرى لمهاجمة مقر قيادة الفرقة الثانية التي تقع على بعد ٢ كيلو مترات في اتجاه الغرب.

لم يكد قائد اللواء المدرع ينهي تعليماته حتى تحولت الساحة كلها إلى جحيم من انفجارات كافة الاتجاهات صواريخ الـ آر بي جي وصواريخ ساجر المصرية لتتشعل مقدمة ومجره اللواء المدرع وساد هرج ومرج وبددت لطقم الدبابات الإسرائيلية المحترقة نقر من الدبابات مذبذورة لا ترى شيئاً أمامها بينما القصف المصري مستمر دور أن يحرق الإسرائيليون مصدره.

كان للقاصة المصريون مختبئين في حفر تحت الأرض وفي برميل رصت على طول طريق الهجوم الإسرائيلي، وعندما حاولت بعض الدبابات الإسرائيلية الارتداد خلفاً للاستعاب وجددت دبابات مصرية في انتظارها، وكيف كانت الساعة قد بلغت السادسة وعشر دقائق من صباح ذلك اليوم عندما خرج من دبابة القيادة ضابط إسرائيلي برتبة عقيد يحمل في يده منديلاً لبيض ويرفع كلنا يديه إلى أعلى ويصبح بالعربية، لقد انتهى كل شيء سوف نستسلم .. أرجوكم أيها المصريون لا تقتلونا.

وثقف للقصف المصري وأصبح العقيد الإسرائيلي أسيراً مع عدد كبير من جنوده، وتم نقلهم على القور إلى مقر قائد الفرقة الثانية مشاة اللواء خمس أبو سعده حيث بدأت كل مشاهد سقوط الأسطورة الإسرائيلية تتجلى وتصبح هدماً لتصبح القائد الإسرائيلي من نفسه قائلاً:

أنا العقيد عساف ياجوري قائد اللواء الإسرائيلي المدرع ١٩٠ الأوسط بهدف الوصول إلى القناة في مواجهة مدينة الإسماعيلية لإقامة رأس جسر إسرائيلي على الشاطئ الشرقي في هذا القطاع.

وستمر عساف ياجوري في الكلام بخير توقف وليس له سوى طلب واحد هو أن تُصن معاملته كقائد كبير. وروى عساف في اعترافه الأولى كل ماغور في ذهنه للقيادة الإسرائيلية من أفكار وحطت لمواجهة العبور المصري.

وكان التساؤل الوحيد الذي يسيطر على عقله يلجورى وكرره أكثر من مرة
قنلاً تريد أن أعرف أين كل يصبى رجال المشاة المصريين محتصو للديابات
حاصلو الـ آر بى جى وأية نوعية من الرجال أولئك الذين يملكون للشجاعة على
التصدى للديابات؟

ولم تكن التساؤلات الجديدة التى طرحها العقيد صلف يلجورى خلال الساعات
الأولى لتوحيده مع الأسرى سوى أن الإمبراطورين لم يفهموا بعد ملول كل ماجرى
حتى هذه اللحظة، ومن الحق أن تقول أن للإمبراطورين عذرتهم فى ذلك حين خبراء
الاستراتيجية فى العالم كانوا فى حيرة من أمر ذلك الانقلاب الهائل الذى أحدثته
لصالح المشاة المصرية فى المفاهيم العسكرية حول دور وإمكانية وأهمية للديابات فى
حرب الصحراء المكتشفة

لم يكن أحد فى إسرائيل يدرك أن التصور ليح المضادة للديابات والتى يمكن أن
يحملها شخص واحد أو شخصان وربما ثلاثة تستطيع التصدى للديابة فى الأرض
المكتشفة للمائة قتله جزيرة سيناء... بل إننى أستطيع أن أقرر أن للملحقين
للمصريين الأجانب فى القاهرة - وقد صعدتهم فى جولة واسعة بسيناء عقب انتهاء
للمعاركة مباشرة - كانوا هم أيضاً عاجزين عن فهم ماجرى عندما شاهدوا بأعينهم
لكثر من عشر مناطق مصرية قتل للديابات الإمبراطورية.

ولم يكن مراً هؤلاء الخبراء العسكريين المقيمون أكثر من ديابات محطمة تحيط
بها خطر اختباء أفراد المشاة ملفوفة بالثوب فى القرية.

وكان هناك إجماع فى رأى بين كل هؤلاء الخبراء بعد رؤيتهم لقطع للقرية
الذاتية مشاة التى أسر عندها العقيد صلف يلجورى أن الضوف والرهبة للذين كانوا
يتسللون أفراد المشاة فى العالم من الديابة قد زال حيث أصبح فى إمكان أفراد المشاة
إصابة الديابة دون أن يكتشفوا أحد، ومن ثم فقد أصبحت الديابة عرضة للتخلص بعد أن
كانت هى القاصمة !

وبغير أن يستلزم بعداً من تسلسل عمليات القتال فبني استثنى في أن لنقل بامانة
أراء الملحقين العسكريين في القاهرة عن لهم الدروس المستفادة من حرب أكتوبر
وبالذات تلك الدروس التي هناك إجماع عليها من خبراء الكتلون الشرقية والعربية
والتي تمثل فيما يلي :

لولا : أن قرار الهجوم يمكن اليوم أن يتركز في أيدي قليل من الأشخاص وأن
الهجوم يمكن أن يبدأ بسرعة لا يمكن لأجهزة المخابرات من الوقوف على
حقيقة تفويتها والأهداف.

ثانياً : أن الأرض أصبحت تتحكم في السماء فبينما كان جميع الخبراء - حتى حرب
أكتوبر - يركزون على أهمية التفوق الجوي قبل الصواريخ لرض
- جو - من طراز سام التي أسقطت مئات الطائرات الإسرائيلية قد غيرت
من صورة الحرب الحديثة فأمام هذه الحقيقة - "الصواريخ" التي تم تطويرها
على أحدث طراز - لا يمكن لأحد من الآن فصاعداً أن يتحدث عن التفوق
الجوي.

ثالثاً : أن العرب استطاعوا أن يكتسوا الأمر تملأ في خلال الأشهر السابقة لحرب
أكتوبر قامت الطائرات الإسرائيلية بعدة طلعات فوق سورب للتعرف على
الدفاعات العربية المصانة وخلال تشيكه جوي فوق السماء السورية قبل
الحرب بأسابيع قليلة قبلت سوريا أن تنصر عدة طائرات إلا أنها هزمت
على عدم استخدام بطاريات صواريخ سام في المعركة ومن ثم فقد دخل
الإسرائيليون الحرب الأخيرة وهم مقتدرون بأن تفوقهم في الجو لا جدال فيه
بحر في الحقيقة كانت عكس ذلك تملأ.

رابعاً : أن الحرب أثبتت أن الجتود العاملين في صواريخ سام كانوا أكثر من أكفاء
وليس هناك خلاف على أنهم كانوا أقلم تحد صعب في استخدام السلاح وهو
وي لم يكن صعب الاستخدام إلا أنه لا يزال يثير في رأى جميع الحير
مشاكل معقدة خاصة بالصيانة.

خامساً . أن الرعاء الحرب أتيوا أنهم كانوا على أن يكونوا متعطشين ابرع مما
يتصور أحده فقد تصور الإسرائيليون بعد استثناء مصر عن الحبراء
السوفيت في يوليو ١٩٧٢ أن ملحت لمصر سوى قرعة تتخطى بالكراسة،
وكانوا يعتقدون - ومعهم معظم خبراء الاستراتيجية في العالم - أن
المصريين إذا ما تركوا لأنفسهم أن يستطيعوا أن يستخدموا أسلحتهم الحديثة،
ولم يتصور أحد على الإطلاق أن هذه كانت خدعة حرب من 'خطه خداع
السادات' وقد أثبتت النتيجة مدى قوة المصرية البائدة في أنفسهم

ولم كان العقيد صافي باهوري أسيراً في يدهى القوات المصرية بالهوس أول
مرحلة الاستجواب في الجبهة كانت تكتف بالدرعات المصرية تعاونها لصفقات
الطيران قد تمكنت من تدمير كافة مواقع الاعتراض التي أقامها الإسرائيليون على
طريق تقدم القوات المصرية.

وفي القطاعين الأوسط والجنوبي كانت القوات المصرية تحقق انتصاراً جديداً إذ
بدو أن انكسار الهجوم المضاد الذي فاده اللواء الإسرائيلي المدرع رقم ١٩٠ قد أفقد
القيادة العسكرية الميدانية لإسرائيل القدرة على اتخاذ القرارات السليمة فقد دفع
الإسرائيليون في مواجهة القوات المصرية بلوامين مدرعين آخرين في ظروف هبطت
فيهم روح القتال لدى الجنود الإسرائيليين وقد ضلّطهم القدرة على المبادرة
والتصرف في المواقف الصعبة.

وعلى امتداد ساحة القتال في القطاعين الأوسط والجنوبي دارت معارك التباينات
وفقدت إسرائيل حوالي ٥٠ دبابة في القطاع الجنوبي و٧٤ دبابة في القطاع الأوسط،
وتكثرت الهجمات الإسرائيلية المصنفة قبل أن تصيب الشمس عن أنفق سبباء،
وسمحت باقي التباينات الإسرائيلية إلى الخلف تطاردها التباينات المصرية على حين
وقع في أسر القوات المصرية عشرات من الأسرى ولم تكن محاولات الهجوم
الإسرائيلي للمضاد معصورة على حرب المدرعات فقط في رابع أيام الحرب وإنما
شملت كذلك محاولة بيرة وأخرى جوية على قرية من سواحل بور سعيد حاول

تشكيل بحري يمدد اتيلي يحكون من ٩ لثلاث تدعنه ٦ طائرات هليكوبتر مهاجمة ميناء بورسعيد فتصد له الروافق البحرية المصرية بمحاولة المدفعية الساحلية ودارب معركة بحرية استمرت حوالي ٢٥ دقيقة وخسر الإسرائيليون خلالها ٥ لثلاث و٤ طائرات هليكوبتر وأصيب القوات البحرية المصرية ٢ وروافق.

وقد صلبت بوقت الهجوم البحري الإسرائيلي على ساحل بورسعيد في السابعة و الربع صباحاً هجوم جوي إسرائيلي بـ ٦٤ طائرة على ٦ قواعد جوية مصرية ولم يستغرق الهجوم سوى ٤ دقائق عادت بها الطائرات الإسرائيلية إلى قواعدهم سالمة عدا ١٦ طائرة ناقوم ومصرح ٢٨ طياراً وعلاها وأسر ٤ طيارين، وقد نجحت الطائرات الإسرائيلية خلال هجومها في إصابة أحد الممرات الفرعية في أحد المطارات واستقرم إصلاحه وإعادة تشغيله مرة أخرى ٤٠ دقيقة من جهد وعزم للمهندسين العسكريين المصريين.

وإزاء استمرار التقدم المصري في سيناء وتكرار كل الهجمات الإسرائيلية المضادة بدأت التسلاات في مصر داخل صفوف القوات المسلحة حول احتمالات تطویر للهجوم شرقاً.

وكان هناك اتجاه عام بتعجيل سرعة الانطلاق عبر سيناء لاحتلال الممرات والمضائق.

واستغل زنهى أركان حرب القوات المسلحة المصرية طائرة هليكوبتر من مطار المنطة العربي واتجه بها إلى جبهة القتاة حيث قام بتفقد القوات المشتركة في العمليات ووجد الفرصة سانحة لكي يرد على كل هذه التسلاات والهمسات وأعطى في اللب الجبهة .. وبببما الحرب دفرة على أنشأها في يومها الرابع :

'انه إذا كل مجاح عرفنا في الحبور وجل ليس يتلف شوقاً للتفنج الدهانية لباني أقول لهم في العبارة ليست بالوصول السريع إلى التفنج، وإنما بحصيفتها المؤكدة إذ أن

نعم قواتنا في ميناء يتم طبقاً لخطة محكمة يجرى تنفيذها بدقة وطبقاً للمعدل رمى بحصص لمواد تكتيكية وتعبوية.

وكن مذكراً رئيس الأركان المصري حتى ذلك الوقت يبدو متعاً مع السطو ومنشياً مع خط سير الحرب في أيامها الأربعة الأولى التي كل كل رماح المباشرة فيها في يد الجيش المصري في جبهة ميناء والجيش السوري في جبهة الجولان غير أن الأمر بدأ مختلفاً تماماً بعد يوم واحد من تصريجات ونهب الأركان المصري فقد تغيرت الظروف سلباً على الجبهة السورية، وجعلت مسار الحرب يأخذ شكلاً مختلفاً يقتضي إعادة بعض المسافات التي تخصصت عن قرار تطوير الهجوم المصري شرقاً مع لمر يوم ١٤ من أكتوبر لتضعف الضغط الإسرائيلي المتردد على الجبهة السورية، ولتأخذ الحرب شكلاً جديداً ومساراً آخر

عندما أشرقت شمس الرابع عشر من أكتوبر ١٩٧٣ الموافق يوم الأحد ١٨ رمضان ١٣٩٣ هجرية كانت حرب أكتوبر - رمضان - قد دخلت يومها التاسع وكانت قوات الجيشين المصري والى والثالث قد مجتأ في التجمعات قناة السويس والامتبلاء على خط بارليف بالكامل وإنشاء خمسة زوايا كبرى بعمق فرق على مواجهة طولها ١٧٥ كيلو متراً

أى أنه بعد ثمانية أيام من الحرب كل ما يربو على ١٠٠ ألف جندي مصري قد عبروا قناة السويس ودخلوا قوات الجيش الإسرائيلي من خط المياه إلى عمق ميناء، ولكن في نفس هذا اليوم كان الأمر مختلفاً تماماً على الجبهة السورية فشركة التي كان الإسرائيليون قد وجهوا مجهودهم الرئيسي نهرها قبل أربعة أيام عندما لمسوا أن تقدم القوات السورية عبر خطية الجولان ووصولهم إلى مفرقة من جسر بنات يعقوب لا يهدد إسرائيل بحظر الهزيمة التضاء فقط وإنما بات يهدد الوجود الإسرائيلي ذاته .

في ذلك الحين رأيت إسرائيل أن عمق ميناء وعمق صحراء القصب وكل لها صحة من الوقت نرتب نهبها وتستعجل وصول النجدة الأمريكية لها ونحاول أن نعيد بعضاً من توازنها بمحاولة الانفراد بالجبهة السورية على أساس الاكتفاء بصد واحتواء

للهجوم على الجبهة المصرية ولكن ما كل يدور في ذهن القيادة الإسرائيلية لم يكن غائباً عن فكر أولئك الذين كانوا يقودون الحرب العربية الإسرائيلية في غمرة العمليات المصرية إذ لم أحد مقومات الصوية الاستراتيجية المشتركة التي تم الاتفاق بين مصر وسوريا على توجيهها صباح ٦ أكتوبر كان ضرورة حرمان العدو من أهم تحصيلاته الاستراتيجية في مواجهة القوة العربية بجهة بعد جبهة. كل على أفراد^١

وانطلاقاً من هذا المفهوم اتخذت القيادة العسكرية المصرية قرارها ببدء تطوير الهجوم للمصري صباح يوم ١٤ أكتوبر وكانت في قرارها هذا تطلق من عدة اعتبارات من بينها - كما أسلفت - : تخفيف الضغط على الجبهة السورية لنفخ إسرائيل لمصوب مجهودها الإسرائيلي في الطيران والمدفوعات بصفة خاصة من الجبهة السورية تجاه الجبهة المصرية، وثاني هذه الاعتبارات هو تصعيد هدم إحداث أكبر خسائر ممكنة للإسرائيليين في الأفراد والمعدات وبصفة خاصة في المدرعات وذلك عن طريق دفع الإسرائيليين للتخوف في معارك كبرى للعمليات في محاور متعددة وعلى امتداد مساحات شاسعة من سيناء شرقاً وغرباً وتشتت تفكيرهم ووجع بعد ذلك ثالث هذه الاعتبارات وهو تحرير مزيد من الأرض وتحقيق رموس الكبارى للمصرية ونفخ الإسرائيليين إلى إعادة توزيع مناطق حشدتهم وتحويلهم ثم إلى رابع هذه الاعتبارات التي أطلق منها قرار غرفة العمليات المصرية بتطوير الهجوم هو مواصلة تحقيق المفاجأة واستمرار تلك معالم المبادأة لتتميق حالة الارتباك والشلل التي سادت القيادة الإسرائيلية على الجبهة المصرية منذ بدء العمليات بسبب المجرى وقصور عن فهم وتحليل برها وحدود الضربات المصرية القائمة أو المحتملة.

كانت ضرب الساعة تشير إلى السادسة والربع من صباح ١٤ أكتوبر عندما تلقى قائد الجيشين الثاني والثالث المصريين إشارة التصديق النهائية من غرفة العمليات الرئيسية ببدء العملية الهجومية والواسعة تطوير الهجوم^٢.

وانطلقت عدة طوابير مصرية مدرعة على عدة محاور رئيسية في اتجاه الشرق في عمق سيناء وعلى امتداد الجبهة كلها من القطرة شمالاً وحتى عيون موسى جنوباً.

ولم تكن عملية الانطلاق المصرية لتطوير الهجوم مجرد رغبة جامحة أو معلومة غير محسوبة وإنما كانت بالتحقق كله حساباً وعلماً وتخطيطاً ليس فقط بالنسبة لهذه التطوير وإنما كذلك بالنسبة لشكل العمليات التي سوف يستلزم خوضها للوصول بهذا التطوير إلى هدفه الصحيح وكانت القيادة العسكرية المصرية تدرك تماماً أن قوة سلاح المدرعات الإسرائيلية ودوره الرئيسي في تنفيذ الاستراتيجية الإسرائيلية، ولم يكن لها للمرحلة من هذه القيادة المصرية أن الإسرائيليين يعتبرون سلاح المدرعات شفرة السلاح العادة - من وجهة نظرهم - التي يجب استعمالها للأجهزة على الخصم بصورة حاسمة وإن إسرائيل لا تخطط لأية عمليات عسكرية بالمدرعات إلا على أساس وجود تفوق جوي وتعاون وثيق بين القوات المدرعة والفرات الجوية والوحدات المحمولة جواً.

وليضاً فإن القيادة العسكرية المصرية كانت تهتم للخطوط العامة لنظر القيادة العسكرية الإسرائيلية ورويتها بالنسبة لاستخدام المدرعات في الحالات التالية:

(١) في محاولة لاستغلال النجاح الذي حققه الهجوم وأحدث خرقاً في جبهة الخصم فتتبع الجزء الرئيسي من القوات المدرعة للانتماع في الأسفل لمهاجمة جوانب الخصم وتدمير مؤخراته وشل قدراته على المقاومة.

(٢) أو في حالة القيام بعمليات تتطلب حفة الحركة كالقتلوق والانتقال.

(٣) أو عند الرغبة في القيام بالمطردة السريعة لقوات الخصم المتحصنة

ومن الواضح أن كل ملامات الاستخدام الجيد للمدرعات الإسرائيلية حسب هذا المفهوم العسكري الإسرائيلي لم تكن متوافرة عندما قُوت القيادة المصرية لتطوير مجرمها فلم يكن الإسرائيليون قد حققوا أي نوع من النجاح بالمساة أو المدرعات وكان

التفوق الجوي قد أصبح يمثل الصواريخ المصرية مسألة لا وجود لها. وفصلاً عن ذلك كله فلم تكن هناك وحدة مصرية قد أُجبرت على الانسحاب لظاردها للقوات الإسرائيلية أى أنه باختصار شديد وفى إيجاز بسيط كان توقعت الفرار المصري بتطوير الهجوم توقيتاً موقفاً وملائماً لاستهداف جر الإسرائيليين إلى معارك واسعة ومطاحنة بالذخايف من ظروف لا تكتم الفكر العسكري الإسرائيلي وعلى مسرح عمليات يصعب على الإسرائيليين تحويله لصالح هدف تحويل مجرى الحرب لصالحهم.

بل إنى لا ألتجوز إن أقول أن قرار التطوير كان ضرورة استراتيجية ونكبة لضمان استمرار امتلاك رماح المبادئ في أيدي القوات المصرية خصوصاً وأن شواهد عديدة على الجبهتين المصرية والسورية كانت تشير إلى أن الخطوة الإسرائيلية القادمة هي استخدام كل عناصر الدعم الأمريكي المتكثف على إسرائيل في شن هجوم مضاد واسع على الجبهة المصرية.

على أنه - قبل الخوض في تفاصيل معارك الدبابات - ينبغي الإشارة إلى أن القيادة العسكرية المصرية كانت قد تهبّت كذلك إلى أن الإسرائيليين بعد فشلهم للزحف على خط المياه على امتداد السويس وانسحابهم إلى الانسحاب للخط منحورين كانت خططهم الرئيسية اضطرراً من يوم ٩ أكتوبر* يظل أقصى جهد ممكن لتثبيت الجبهة المصرية والاكتفاء عليها بمجرد المشاهدة النسبية بصفة مؤقتة لتفترغ تماماً للخطر السوري فداهم الذي يهدد الوجود الإسرائيلي ذاته والعمل على إزالة هذا الخطر وتصفهته تماماً في خيبة من الضغط المصري .. ولقد بدا ذلك واضحاً أمام القيادة المصرية بعد تأكيد معلومات لا يرقى إليها شك وشواهد ترجع هذه الإصابات والتي من بينها أن للهجمات الإسرائيلية المضادة تكثفت وقلت كثيراً عن محلها المرتفع عند بداية العمليات بالإضافة إلى إهلاك جزء كبير من المعهود الإسرائيلي الرئيسي على الجبهة المصرية في تجهيز خط دفاعي ثل جند يحافظ المصافق من ناحية

الغرب مباشرة وعلى مسافة بعيدة من مدى القدرات المؤثرة المدعومة والدعيات المصرية في منطقة رموس الكباري.

وهكذا في سوء كل هذه الشواهد والمعلومات وتحققاً لاستمراره توفير هدف للصرب للمشاركة على الجبهتين وتمشياً مع متطلبات التنسيق العسكري بين مصر وسوريا لثرت الفعيلة العسكرية المصرية يوم ١٢ أكتوبر مبدأ التفكير بتطوير الهجوم المصري شرقاً اعتباراً من صباح ١٤ أكتوبر لملازمة الظروف الجديدة على الجبهة السورية ودون انتظار التوقيت الذي كان محدداً في الخطة المصرية الأساسية والذي كان مرتهناً بثلاثة عوامل أساسية هي:

لأولاً : الانتهاء من إنشاء وتثبيت رموس الكباري المصرية.

ثانياً: تحقيق أكبر قدر من الاستكشاف لقدرات العدو بتوالي تعطيم ضرباته وإفشالها.

ثالثاً: إعادة ترتيب أوضاع القوات المصرية شرق وغرب القناة بما يلائم متطلبات المرحلة المقبلة

ولكن ظروف الجبهة السورية حثت الإسراع بعملية تطوير الهجوم المصري شرقاً

ولذا فإن القيادة العسكرية المصرية بعد دراسة كاملة للموقف انتهت من رسم حدود وأبعاد خطة تطوير الهجوم. وكان قرارها في هذا الصدد مبنيّاً على جزء من أوقاتها لتطوير الهجوم حين أن يكون لذلك أي تأثير على قدرة رموس الكباري الفعالة، وكان هدف التطوير الرئيسي هو تحرير مزيد من الأراضى للوصول إلى صق يصل إلى ما يربو على ٢٠ كم تقريباً إلى على مقربة من منطقة الدخول الغربية لمسلة المسلك الجبلية وذلك في حد ذاته يحقق عدة أهداف مشتركة بضرية واحدة والتي منها:

أولاً: أنه يعطى هدف التخصيب على الجبهة السورية بعداً جديداً ومؤثراً، على الجبهة المصرية بتحرير مزيد من الأراضي في سيناء.

ثانياً: أن منطقة بلوغ القوات المصرية في حطة التطوير تصل إلى منطقتها بشاء للحط الدعاى الجديد لإسرائيل وهو ماسينقع إسرائيل إلى التفهق شرق منطقتها المصانق فضلاً عما يمكن أن يترتب على هذا الانحدار إلى حط دعاى آخر من آثار مدمرة على القوات الإسرائيلية والقواعد العسكرية نصها.

ومع وصول الهدف الذى بنت القواعد المصرية لقرار التطوير في حصوله لم يكن صعباً على رسم الحطة المصرية أن يصح الأمطوب المناسب، وبالفضل فإن للتوجيهات الرئيسية التى خرجت من غرفة العمليات المصرية إلى قيادة الجبهتين لثالثى والثالث المصريين كانت ترتكز أساساً على دفع معارز قوية من المدرعات والقشاة الميكانيكية لتحرير مساحات جديدة من الأراضي لتتبع رعوس الكبارى المصرية للخمس إلى مدى ٣٠ كيلو متراً من خط المياه على طول قناة السويس ولأن تتوالى هذه المعارز ثلاث مهام رئيسية أخرى في حطة عملها :

أولاً : مطاردة وتحطيم القوات الإسرائيلية المتمركزة في المناطق المستهدف تحريرها، ثانياً : العمل على حرمان القوات الإسرائيلية من استخدام الطريق القروصى الرئيسى الذى يربط كل محاور الطريق في هذا القطاع من سيناء سواء بالمسطرة الكاملة عليه أو بضميره في مناطق الوصلات الرئيسية لو من خلال تلقيه من كافة أنواع المركبات.

ثالثاً. الانطلاق بنفسى سرعة ممكنة لبلوغ منطقة السدائل الغربية للمصانق وذلك لتتبع هذين رئيسيين في سرعة واحدة .. أولهما قبل طريق الإمدادات الإسرائيلية المنتفخة من شرق سيناء عبر المضائق .. وتلقبها بتطويق وحصار القوات الإسرائيلية الموجودة غرب المصانق بين طرقتى كمانسة من القوات المصرية.

قبل الهجوم الشامل بالربع وعشرين ساعة

ومع أول سوء في الساعة والرابع من صباح الأحد ١٤ أكتوبر بدأت القوات المصرية أصحح هجوم شامل منذ بداية الحرب، وقد بدأ وأصباحاً منذ اللحظة الأولى إلى المعركة بعد من أصعب ما شهدت سيقاء من معارك منذ ٦ أكتوبر ولم يمحى سوى ١٢ ساعة من بداية الهجوم لتتدخل في قبل غروب آخر سوء من هذا النهار حتى كانت القوات المصرية قد تمكنت من تحرير مساحات جديدة من الأرض على جميع خطوط المواجهة بعد أن تمردت القوات الإسرائيلية ما يربو على مائتي دبابة ومثلها من العربات المدرعة في قتال مرير ضد قوات مدرعة ضخمة حشدتها إسرائيل بكثافة وكانت تحاول صتاً وقف الهجوم المصري والتثبت بالأرض

وظهر بوصوح في مسرح العمليات مدى التعاون الوثيق بين الأسلحة المصرية المشتركة في الهجوم، فقد تدخلت قوات الدفاع الجوي المصرية أكثر من مرة ضد الطائرات الإسرائيلية التي حاولت ضرب المدرعات المصرية المهاجمة بطول الجبهة واستطاع الدفاع الجوي المصري إغلاء سماء المعركة من الطيران الإسرائيلي بعد أن أسقط له ٢٩ طائرة منها طارت في من طراز هليكوبتر

كما شارك الطيران المصري في الهجوم الشامل بقصف مركز على مواقع الصواريخ المضادة للقذائف التي كانت تموق تقدم المدرعات المصرية المهاجمة وتمكنت للطائرات المصرية من تخمير جره كبير من هذه الصواريخ وبعدها عن مسرح عمليات سيناء الذي كان يشهد في تلك اليوم أضخم هجوم مصري بالمدرعات والمشاء الميكانيكية جرت في الساعة الرابعة بعد الظهر معركة جوية كبيرة في منطفه شمال الدلتا بين الطائرات المصرية والإسرائيلية خسرت إسرائيل خلالها ١٥ طائرة ولم يصب من السلاح المصري ثلاث طائرات على الوجه الآخر لما جرى في ١٤ أكتوبر يوم الهجوم المصري الشامل وهو من جانب العدو - أعطى الصوّره المتكاملة للموقف.. في الثامنة صباح ذلك اليوم قطع رانيو تل أبيب لإرساله لأول مرة منذ بدء المعارك في ٦ أكتوبر وأنذاع على موجتيه باللغتين العربية والعبرية بياناً جاء

فيه ثل القوات المصرية بدلت مع القجر هجومًا علمًا وشملًا يطول الجبهة من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب وأنه تم التهديد لهذا الهجوم بقصف شديد بالمدمعية و هجوم مركز بالطير لـ"

ثم أعقب ذلك صمت كامل في إسرائيل عن أخبار الجبهة المصرية وسير القتال فيها لمدة ٨ ساعات حتى كانت الساعة الرابعة بعد الظهر - عندما قطع الجدارل حاييم هرتزوج كبير المعلقين العسكريين الإسرائيليين الصمت حول ما يجري في الجبهة المصرية لمعلل أن الهجوم الذي شنته القوات المسلحة المصرية صباح اليوم في سيناء يدور على جبهة واسعة جداً وأن القتال عنيف للغاية كما أن كافة الدلائل تشير إلى أن "الإسرائيليين" أصبحنا الآن في مرحلة هرجة وصعجة جداً من الحرب الدائرة على الجبهة المصرية.

وكشف هرتزوج في تصريحه هذا عن مدى الارتباك والفشل الذي ساد القيادة الإسرائيلية ومدى عجزها عن فهم نوايا وأبعاد الهجوم المصري بقوله "إن الإنسان نحبس بعجزه عن أن يتنبأ بشيء وبشأن نهاية هذا الهجوم السابعة من مساء وفي نفس اليوم أعلنت إسرائيل أن الجنرال أبراهام مندler القائد العام للقوات المدرعة الإسرائيلية في سيناء قد لقي مصرعه في القتال ثم أعقب إعلان هذا القبا موسيقى جنائزية على سكر موجات الراديو الإسرائيلية وبحل أن ينتصف ليل ذلك اليوم الطويل ظهر موسى ديان وزير الدفاع الإسرائيلي على شاشة التلفزيون حيث لقي بياقاً قال فيه "إن إسرائيل تخوض الآن حرباً لم تعارب مثلاً من قبل سواء في عام ١٩٥٦ أو معارك ١٩٦٧... إن هذه حرب صعبة. معارك المدرعات قاسية ومعارك الجو صعبة مريعة إنها حرب ثقيلة بأوسها وثقيلة بدمائها".

وأشار ديان في بياقه إلى مايدور في سيناء منذ الصباح الباكر لهذا اليوم هو صعه بأنه "معركة أساسية يتوقف عليها الكثير" ثم أضاف "وليس أمامنا الآن إلا أن نحاول بطوب كسيرة ولكن يجب علينا جميعاً أن نطوى أعناقنا كلونا على الآخر لـ".

واعترف دويل بمراة ما وجرى وقال : في وزارة الدفاع في عام ١٩٦٧ لم نبلغ
اسر قتلى الحرب باسماء قتلاهم إلا بعد انتهاء الحرب أما الآن فإننا نبلغهم لولا بأول
لأن الحرب سوف تكون طويلة ولأننى لا أعرف كم من الوقت مستمر هذه الحرب
لكمى لحشى الا يقتل المصريون وقف إطلاق النار ولو يغير شروط

ولقد كان في ومع أى مراقب لما جرى في إسرائيل في تلك اليوم مع بداية الهجوم
للمصري من برى حجم القذع والانهيار والانس والقتلوم فمن أن أعني رايو إسرائيل
مصرع الجنرال أبراهام منظر في المعارك والرفيدو الإسرائيلي لا يذبح سوى
للمرشدات الجنائرية على حش يقيم العزى الثقيل على المستعمرات وبصورة خاصة
تلك التي خرج منها إلى غير رجعة العديد من الطيارين والضباط والجنود الإسرائيليين.
وفي خصم هذا الفجر الجنائري الحزين وجه كبير حاضرات إسرائيل شلوماجرين
بيد إلى الشعب الإسرائيلي قال فيه : نرجو أن تقوى روحنا في مواجهة هذه المصيبة
التي حلت بالأمة اليهودية كلها.

على أن هذا الفجر الحزين المشتم لم يحد دون أن تقتل إسرائيل بنكتة مضحكة فقد
أعلنت في اليوم نفسه أول بيان رسمي لها فترها على جبهتي سيناء والجولان خلال
الأيام الثمانية الأولى للحرب وكثرتها بـ ٦٥٩ قتيلاً، ولم يكن من الممكن للمنشدت
العسكري المصري أن يترك النكتة الإسرائيلية ثم دون تطبيق ول يوضح أن الرقم
الذي أذاعته إسرائيل رقم مضحك ول في القيادة الإسرائيلية تعرف ذلك وكذلك الخبراء
العسكريون في العالم كله!

وبل الاستطرد في تفاصيل الهجوم الشمل وما أحدثه من أثر واسعة على جبهتي
للقال بهمي العودة إلى الأربع والعشرين ساعة التي سبقت عملية الانطلاق المصري
للمدفع في سيناء وبأذات تلك الواقعة الهامة والخطيرة التي بدأت بالسيط في الساعة
لأوحدة وحسن دقائق من بعد ظهر يوم السبت الثالث عشر من أكتوبر عندما اختراق
للمجال الجوى المصري بالقرب من أريكيكل من طراز من- ٧ على ارتفاع ٢٥ كيلو
متراً متراً للضياء العالي بسرعة تصل إلى ٢ أضعاف سرعة الصوت، وكان خط

سيرهما من فوق جسر مسيد حيث بدأ الاختراق ثم مروراً فوق الجبهة المصرية كلها، عبوراً بشاطئ البحر الأحمر ثم اتفاقاً من وراء نجع حمادي ثم عودة بقوس إلى سماء القاهرة ثم مروراً ثكنة فوق الجبهة والمعرض هذه المرة وليس بالطول فأسدده منبهاء المحنة ومنها إلى الخطوط السورية ثم خروجه إلى البحر متجهاً إلى قاعدة أكره سيري الأمريكية في اليومين

لم يكن مثل هذا الأمر لومر بسهولة تون فحصى وقصص من جانب القيادة العسكرية المصرية.

صحيح أن التدخل الأمريكي إلى جانب إسرائيل بدأ مبكراً من ذلك التاريخ وبالتحديد مع بداية الجسر الجوي الثقيل لنقل الإمدادات والأسلحة والمتطوعين بعد اليوم الرابع للحرب.

وصحيح أن الأمريكيين أعلنوا عن تدخلهم السافر إلى جانب الإسرائيليين دون حشية وبلا أية مؤامرة معلنين ذلك بل في إسرائيل لم تعد فقط مجرد عاجزة عن الصمود في وجه الهجوم العربي وإنما أصبح لوجود الإسرائيليين - إذ استمرت نعمة للحرب كما هي عليه - أمراً مشكوكاً فيه.

ولكن القيادة العسكرية المصرية في هرة العمليات كانت ترى في هذا الاختراق ما هو أبعد من تعاطف ووصوح التدخل الأمريكي فسافر كانت ترى خريطة الشرق الأوسط قد تغيرت وأصبحت القوات المصرية تتمركز في سيناء شرق قناة السويس في أعماق تصل إلى ٢٠ كيلو متراً..

وكانت القيادة العسكرية المصرية تدرك أن السؤال المطروح في هذه اللحظة في الولايات المتحدة وفي إسرائيل سؤال يقول: ما هي الدوافع المحتملة للقوات المصرية بعد نجاحها في عملية العبور وثبتت وحسن الكباريه وفرتبط ذلك بوصول القيادة المصرية إلى الإجابة عن الوجه الآخر للسؤال حول التوايا المحتملة للقوات الإسرائيلية

بعد اندحارها من خط بارليف وتورطها في الجبهة السورية تلك الإجابة التي كانت
متمثلة في قرار تطوير الهجوم مع أول سوء من صباح بكر الأحد

ولمست أنيع سرّاً إذا قلت أن الأمريكيين والإسرائيليين في حورهما لمعتصل حول
محدد النوايا المصرية المحتملة كنا يريلى لثمانين لاثلاث لهما. وأصيف بسرعة قبل
أن أطرح هذين الاحتمالين أن القيادة المصرية كانت تعرف مايدور في الفكر
الإسرائيلي الأمريكي المشترك من أن مصر ليس لهاها الآن سوى.

(١) إما أن تنشبت القوات المصرية بالمواقع الجديدة التي احتلها على الشريط الممتد
من الشمال إلى الجنوب بمحاذاة قناة السويس من الشرق وبحق بترجوح ما بين
١٨، ٢٤ كيلومتراً على لمس أن هذه المواقع تتيح لها أن تتمتع بحماية حائط
الصواريخ القهائل على الضفة الغربية للقناة ورامها حيث يبطل أثر الدعم
الأمريكي المستمر من الطائرات المستهدفة باستمرار ضمنان التفوق للجوى
الإسرائيلي، وبالقلى في القوات المصرية في ظل هذه الأوضاع سوف تكون
قادرة على تعطيم واعتواء كل الهجمات الإسرائيلية المضادة واستتراق القدرة
العسكرية الإسرائيلية.

(٢) أو أن القوات المصرية سوف تتقي بين لحظة وأخرى لمرأ بالانطلاق إلى عمق
سيناء وصولاً إلى أبواب المضائق المعلقة في سيناء لكي تتركز فيها.

ولكن مفاجأة الاختراق الأمريكي ظهر الثالث عشر من أكتوبر وحيرة الأمريكيين
والإسرائيليين في تحديد احتمالات المصرية المصرية القاعمة لم يكن لودع القيادة
المصرية عن الرجوع في قرارها بتطوير الهجوم صباح الأحد ١٤ من أكتوبر
وهو القرار الذي تم إقراره يوم ١٢ من أكتوبر انطلاقاً من رغبة أساسية
وضرورية في تخفيف الضغط على الجبهة السورية.

وكانت القيادة المصرية في بصورها على تنفيذ الهجوم الشامل مدرك تماماً
— استناداً إلى حصيلة لاير في إليها شك وترتيباً على معلومات الفكر العسكري

الإسرائيلي - أن إسرائيل سوف تكون خلال ساعات قليلة أمام اختيارين لا ثالث لهم - سواء بدلت مصر هجومها للشمال أم لم تبدأ.

أما عن الاختيار الأول - فهو أن إسرائيل قد تبدأ من جانبها معارك واسعة بعمليات لمنع أو عرقلة احتمالات تطوير الهجوم المصري، ومع أن مثل هذه الخطوة من جانب إسرائيل سوف تتم في ظروف غير ملائمة لها إلا أنها قد تكون من وجهة النظر الإسرائيلية السبيل الوحيد الباقى أمامها لمنع تطوير الهجوم المصري.

وأما الاختيار الثانى - فهو أن القوات الإسرائيلية قد تلجأ إلى صربية مصادرة ثلاثم لوشاعها ولكن ذلك يقتضى أن تسمح لها ظروف القتل بفرصة تساعد على إهدى منمراتها المفصلة في الاختراق والتطوير.

هكذا وبوضوح كامل لا أبس فيه كانت القيادة المصرية ترى الصورة من كل جوانبها لغة وعلماً وحسباً وكانت كل ملائسات الموقف تجعل من احتمالات النجاح الإسرائيلي على الجبهة المصرية مجرد وهم في ضوء عدد من العوامل أهمها.

(١) أن مفاجأة العبور كانت قاسية ومدمرة حطمت ولجأة المرور في المؤسسة العسكرية وشلت تفكير القيادة شامساً وثرثب على ذلك نشره حالة من فقدان التوازن سيطرت على تصورات القيادة السياسية والعسكرية في إسرائيل.

(٢) أن فقدان حالة التوازن في القيادة الإسرائيلية ولدى رأى العلم الإسرائيلي لم يكن مجرد صورة مصورة وإنما كان أكبر من ذلك بكثير فقد نهالت نظرية الأمر الإسرائيلية في أسسها ومخططة بخط بلوف الحمين وتضطمت مئات من طائرات النجح الأمريكى "الفتوتوم" واجترقت مئات أخرى من القنابل والمصممت ووقع في القتل أو الأمر ألوف وقطع الجيش الإسرائيلى القدرة على الصمود.

(٣) أن ظروف مسرح العمليات ليست مواتية للعمل بسوء التفكير الإسرائيلى على الجبهة المصرية في ضوء الأوضاع الراجعة إذ أن الأرض المفتوحة من غرب المصنق إلى قمة وعوس الكبارى المصرية منطقة ضيقة ومحصورة وهى ليست

لميدان الأكل المنزوعة بالمدركات واستعمالها في حركات الإلتفاف والتطوير
بالإضافة إلى أن مساحات كبيرة من هذه المنطقة المصنوعة للنس لا تسمح
بحركات الإلتفاف والتطوير تقع تحت نيران المدفعية المصرية البعيدة المدى على
التحليق الغربي لقناة السويس.. وأهم من ذلك كله أن هذه المنطقة قريبة من حائط
الصواريخ وبالتالي فإن عمليات المدركات الإستراتيجية سوف تجري في غيبه من
التمهيد والحملات الكافية من القوات الجوية الإسرائيلية.

وليس من شك في أن هذه الخطوة الكاملة لدى القيادة المصرية هي التي كانت وراء
كل ما صاحب عملية التطوير الشامل.

كان ذلك بتدبير على التمسك برعوس الكبارى في سيناء وعدم إضعاف القوات
الرئيسية على ضفتي القناة لاستمرار ضمان القوات المصرية لثرائها الاستراتيجي
والشعوي في مواجهة أي تطورات معقدة خلال عملية التطوير.

وكان ذلك يؤكد على ضرورة استخدام مغازل صغيرة الحجم نسبياً من المدرعة
والمشاة الميكانيكية لتتبع بقوة نيران كبيرة وبشرط أن تكون هذه المغازل من خارج
التكوين الأساسي لفرق المشاة الخمس التي كلى عليها أن تتمسك في التثبيت برعوس
الكبارى.

ولقد بدأ الهجوم المصري الشامل في موعده في خطة العمليات بهجوم واسع
النطاق بواسطة تشكيلات كبيرة من الطائرات المصرية شملت كل مراكز الحشد
والقيادة والتوجيه والتنويدة والمطارات والميزة الاتصال والطرق الرئيسية في سيناء
وكانت إلى حد كبير مصرية ملجئة وكبيرة متشابهة لضربة الطيران في ساعة الصفر
يوم ٦ أكتوبر.

وقد صاحبت عملية الطيران المصري صرية واسعة ممانعة بالصواريخ التكتيكية
أر من المروسة المدى صدقن المراكز بأهداف الضربة الجوية، وفي بعض التوقيتات
انهمرت آلاف القذائف من أكثر من ٥٠٠ مدفع ميدان متوسط وقيل أو عربية بطلق

صواريخ ولمدة تزيد على ٢٠ دقيقة .. الأمر الذي سهل تماماً عملية تمهيد الطريق
للمن القوات المصرية المهاجمة والتي بذلت عملها بالتحديد بعد ١٥ دقيقة من الصرب
لجربة وكصف للصواريخ والمدفعية أى فى حوالى الساعة السادسة والنصف صباح
يوم الأحد ١٤ أكتوبر حيث بذلت معزز المدرعات والمشاة الميكانيكية هجوماً شاملاً
على طول الجبهة وهي اتجاه أربعة محاور رئيسية:

- من اتجاه ممر مثلاً للدفع لواء مصرى وكثيفة مشاة ميكانيكية
- وفى اتجاه مصيق الجدى تطلق أحد الألوية الميكانيكية.
- وفى المحور الأوسط بدأ هجوم مصرى كاسح
- وصوب المحور الشمالى قام لواء مصرى بتطهير المنطقة والاندفاع نحو الطريق الساحلى.

وفى مواجهة الهجوم المصرى تشغل على المحاور الرئيسية الأربعة السمات
القوات الإسرائيلية متارفة صلبة وكثيفة من نيران المدفعية والأسلحة المضادة للذبابات
التي كانت نصب إلى أرض المعركة مباشرة عن طريق البحر الجوى الأمريكى .. فى
الوقت الذى دفع فيه الإسرائيليون إلى سماء المعركة بتشكيلات كبيرة من الطائرات
لمهاجمة مغرر القوات المصرية وإيقاف الهجوم الكاسح وتولت المدفعية الإسرائيلية
الثقيلة مهمة نيرانها نحو مواقع صواريخ الدفاع الجوى المصرى.

ولكن كل هذه المدفعية الإسرائيلية الكثيفة من الأسلحة المضادة ومن المدفعية الثقيلة
ومن القصف الجوى لم يوقف مرعة اندفاع الهجوم المصرى إذ لم تكن قد مضت
سوى ١٠ ساعات على بدء الهجوم حتى كانت تشكيلات متعددة من معزز القوات
المصرية قد نجحت فى اختراق الدفاعات الإسرائيلية وتحرير مساحات جديدة من
الأرض فى أعماق كبيرة متر فوح ما بين ١٢ء ١٥ كيلو متراً.

وكل التقدم المصرى السريع ملحمة جديدة من ملاحم البذل والعداء للانسان
العصرى حيث جرى القتال فى مواقع متحدة على شكل التحطم كامل سواء بالسلاح

الأبيض أو بالرشاشات وحتى المدرعات جرى الصدام وجهاً لوجه وكم من مرة التهمت فيها مومير مدافع الدبابات الإسرائيلية والعصرية وتعلقاً غلق الأعداء ولقد كاتب هناك لحظات وساعت لم يكن فيها خير من الأرض في المنطقة الواقعة ما بين رموس الكيلوي العصرية والمدخل الغربية للمصالح إلا ويدور فيها للثام وصدام شرس وعيف فوق بحور من اللماء وعلى أنسلاء من الجثث وتحت ليق مشعل بالثيران والذهب.

وقبل أن ينصف الليل وبعد مرور مايقرب من ١٨ ساعة على بدء الهجوم الشامل الذي كانت كفة القوات المصرية هي الراجعة طوال كل مراحلها كان واضحاً أن أهم الأهداف المصرية من تطوير الهجوم قد تحققت وذلك بعد أن بدأ الإسرائيليون تحويل جهدهم للهوى الرئيسي من مضمة الجولان إلى سيناء وبعد أن أصبحت الطرق الرئيسية عبر إسرائيل والقصب تحفل بمنزلات المشاحنات التي أهدت قتلى المدرعات على عجل من الجبهة السورية إلى أرض سيناء.

ورداً من يقين القيادة المصرية في تحقيق هذا الهدف أن الإسرائيليون بدأوا بعد ظهر هذا اليوم ولأول مرة منذ بدء الحرب في تحريك الجزء الرئيسي من الاحتياطي الإسرائيلي والقوات المصنفة التي كانت مخصصة أساساً لعملية قلب إسرائيل ذاتها.

عند هذا الحد وإزاء توفر معلومات جديدة من حجم ودور الإمداد والدعم الأمريكي ولي سوء الشواهد الراجعة المحتملة لتطورات القتال على الجبهة السورية قررت القيادة المصرية بتسيق كامل مع القيادات الاتحادية أن كل ملاحظات السوفت تعلم الاكتفاء بنجاح الهجوم في تحقيق هدفه الرئيسي في تحنيط الضابط على سوريا ومن ثم فقد صدرت الأوامر من غرفة العمليات المصرية إلى كافة الجيشين بحودة المعارز المتخذة إلى مواقعها السابقة لدخل رموس الكيلوي وأن يصحب ذلك إعادة ترميب لوصاع القوات بتظيمها وتقويتها لكي تتلاءم مع ما تشير إليه تقوايا الإسرائيلية المحتملة في صباح اليوم التالي يبدأ هجوم مدرع مصدا .

وبمس للشجاعة التي اتخذتها قراره العبور المصري ومن بعده قراره بطوير للهجوم كل قرار القيادة المصرية بعودة المغرور التي صنعت طليعة الهجوم للشامل، لتتاهم في بدء مرحلة جديدة من مراحل الحرب وهي مرحلة تثبيت ونفوية رموس للكباري لإحباط للهجمات الإسرائيلية المصادة بالمدرعات والتي كفت للمخابرات الحربية قد رصدت كل شواهدا لحظة بلحظة وحظت هذه الشواهد إلى نتيجة ريميه واحدة وضعتها أمام عرقه العمليات المصرية فنتيجة تقول : لم يجد أمام إسرائيل سوى اتجاه واحد للحركة سوف يكون باتجاهنا على الجبهة المصرية وفي شكل هجوم مضاد بالمدرعات مستهدفاً محاولة التقدم في أي قطاع بين قواتنا للوصول إلى رأس لفلة على التناطلي للثواني للثانية

معاومات جس النبض والمعجوم المصاد

صباح الخامس عشر من أكتوبر كان الجانب الآخر من المواجهة على النحو الذي تصوره للقيادة المصرية تماماً في أعقاب مصادم الهجوم للشامل،.. فقد حشد الإسرائيليون ٧ ألوية مدرعة في مواجهة رموس الكباري المصرية وتدعها قوات أخرى تقرب في حجمها الكلي من ٥ ألوية من الكتائب الممفظة من المشاة والدبابات والعربات للمصفحة والمظليين.

ولم يخل هذا الحشد الإسرائيلي الضخم كانت تشكيلات كبيرة من الاحتياطى للثعبوي والإستراتيجي قد تحركت من قلب إسرائيل ولجأت مدينة العريش وبدأت عملية إعادة تنظيمها وتشكيلها في منطقة شرق المضائق وفكرت هذه القوات بخمسة ألوية من بينها لواء المظلات ولواء من الميكانيكيين ولواء من مدر على

ورغم هذا التحشد الهائل فإن العمل الإسرائيلي تقسم طوال فترة الصباح بمحاولات لجس النبض والإرهاق فقط حيث تقتصر كل العمليات الإسرائيلية على مجرد من هجمات مصادة محدودة الحجم بينما تولى الجزء الرئيسي من القوات الإسرائيلية مهمة بشاء ما يعرف عسكرياً باسم "خطوط الصد" في المنطلق لمواجهة لقوات رموس

للكبارى المصرية للعمل على تثبيت حركتها من طريق المشاة وذلك بالشاحح ومن الأسلوب الذى كان مقبلاً من جانب الإسرائيليين طوال فترة نورطهم فى الجبهة السورية وقيل بدء عملية تطوير الهجوم المصرى الشامل.

ولم يكن تلحر الإسرائيليين عن البدء فى هجومهم المضاد المحتمل كجزء من تكثيف عملهم المتعد سلفاً من قبل وإما كانت قد واجهتهم ظروف غير عادية عطلت خطة عملهم المقررة إذ أن وحدات كبيرة من رجال الكوماندو المصريين قد تمكنت فى نفس الوقت عودة المغامر المصرية إلى قواعدهم ابتداء من بعد منتصف ليل ١٤ أكتوبر من التسلل إلى خلف الخطوط فى عمق سيناء ونجحت فى توجيه عدة ضربات قوية جريئة ضد كافة installations الإسرائيلية

وزاد من ارتباك القيادة الإسرائيلية أنه بينما كانت الضربات تتوالى على كافة الجوارب فى عمق الخطوط الإسرائيلية كانت معززة لفرى من رجال الكوماندو المصريين قد بدأت هجوماً شاملاً بعيداً عن العمق فى اتجاه المحور الساحلى الشمالى لسيناء ضد أحد مواقع العدو المعصنة فى منطقة شرق بور فؤاد.

وعلى الطريق الساحلى ثنت المقاتلات المصرية القاذفة هجوماً ضد أحد الجوانب للمدرعة التى كانت فى اتجاه الموقع المعصن لتجدها تلوكت الطابور ودمرت منه ٨ دبابت ، ٥ عربات مدرعة و ٢٢ عربة شئون إدارية، وعلى أبواب الموقع الإسرائيلى المعصن فى شرق بور فؤاد جرى قتال وحشى وعنيف تلاصقت فيه مواجهات الأكراد.

وبعداً من عمق سيناء ومحورها الشمالى الساحلى جرت عند أقصى لتجذب وعلى مسافة ٢٠ كيلو متراً داخل سيناء معركة تصاليمية واسعة كلى للمصرية المصرية فيها دور حاسم حيث استمر هديرها فى شكل قصف لايعرب العدو على الرغم من محاولات الطائرات الإسرائيلية لإسكتها بالقصف الجوى من ارتفاعات عالية ومسافات عابرة ومسافت بعيدة لتحتفى دخول فترة الموت التى تصمم قواعد لتصورىخ المصرية المتشبكة ولتؤكد استمرارية السيطرة المصرية على مركز القيادة

الإسرائيليه غربي مصر مثلاً الذي كان يسيطر به الإسرائيليون على كل منطقة جنوب سيناء

على أن أهم ما ألفت عنه عملية السيطرة على مركز القنطرة هو الحصول على وثائق هامة للإسرائيليين تشتمل على خرائط للتسليكات وقرارات القتال وصور الاستطلاع الجوي ومقاتيح الكود لشخري والرمزي ودرجات القيادة لعمدة ودرجات تجارب أجهزة الإغاثة والنشورة والتوجيه فضلاً عن كميات لا حصر لها من مهمات للشؤون الإدارية.

هكذا كانت الصورة التي وجد الإسرائيليون أنفسهم عليها صباح يوم ١٥ أكتوبر الذي حددوه موعداً لهذه توجبه صيرتهم المضادة الرأسية ومن ثم فقد بات معلماً على الإسرائيليين أن يزلخوا موهده صيرتهم المضادة إلى ما بعد ظهر ١٥ أكتوبر وهو محسبته للقيادة المصرية تماماً واستحدث له فكان ما كان وجرى ما جرى من صدمه للذبابات لم تشهد لنشورة مثله في حروبها العالمية.

من الأربعاء بعد ظهر ١٥ أكتوبر بدأت القوات الإسرائيلية هجومها المضاد الواسع ضد القوات المصرية على مختلف المحاور التي تكتشر فوقها رموس الكباري ولكن ظهر بوضوح في التفكير الرئيسي موجه أساساً ضد القنطرة المصرية ١٦ مشاة التي كانت تمثل مهمة للجيش الثاني المصري والتي كانت تمثل قوة الحراسة للجانب الأيسر من المفصل الموجود بين الجيشين المصريين الثاني والثالث.

وطوال الليل وأصل الإسرائيليون موجلت هجومهم المضاد بكثافة ودون أي اعتبار لما يتكبدونه من خسائر خصوصاً تلك الهجمات التي تركزت على مينة للجيش الثاني المصري وبالذات قوات اللواء المصري الذي يحصى للجيش الأيمن للقنطرة ١٦ مشاة مصرية

وقد وجدت القوات هذا اللواء المصري في التبات في مواقعها واحتواء كل للهجمات المضادة التي وجهت إليها طوال الليل ثم ما لبثت أن تحولت هذه القوات من موقف

الندع إلى حالة الهجوم وشككت من حصار القوت الإسرائيلية المهلجمة ودمرت عدد كبيراً منها بلغ وفق أقل التقديرات في هذه القيلة ما يزيد على ثلاث كخائب من اللبابل غير قوا المشاة الميكانيكية المعلونة

كانت أول هذه القوا الإسرائيلية المحاصرة والمعمرة هي طليعة أول محولة إسرائيلية على نطاق واسع لاجرائ الأوصاع الدفاعية للقوا المصرية عن طريق استدلال طليعة الأرض المسبحة الملحقة في المنطقة المحاذية ليمهه لاجيش الثاني شرق القناة.

كانت هذه للقوا الإسرائيلية التي جرى تكويرها تحلل الفصل للقوا العاملة في فرقة "شارون" ولكن الإسرائيلون مع ذلك سارعوا بدفع قوا أخرى بحيلة ثم تكويرها أيضاً وبسرعة بالغة دفع الإسرائيلون بتشكيلات جديدة دخلت في معارك شرسة مع للقوا المصرية التي كانت قد أصبحت تغطيتها في هذا القطاع وعمرت استعداداتها بقوت أكبر كثيراً مما كان يعتقد الإسرائيلون.

وقد استمرت المعركة في هذا القطاع خمسة أيام متوالية كانت كلها لها ناراً ودماً وتللاً، ودفع بها الإسرائيلون شتاً غليظاً حصواً تلك المعارك التي دوت عند قرية الجلاء المصرية.

ولم يسمح الإسرائيلون طوال معركتهم الشرسة في هذا القطاع في تحلل الموقف المصري الذي كان هدفاً للهجوم والسيطرة عليه سيطرة كاملة إلا بعد إقرار وقف إطلاق النار في ٢٢ أكتوبر.

نقد كان الموقف المصري الذي جرى حوله أصبح قتال بالمدفعات في المعصر الحديث يعتبر موقفاً منعكماً في محور الطرق والمدفقت في هذا القطاع

وصحيح أن الإسرائيلين نجحوا بعد ٢ أيام من القتال حوله في السيطرة عليه ولكن هذه السيطرة لم تكم سوى ٤ ساعات بحيث بعدها قوا المصرية في تطوير الموقف

وإعادة السيطرة المصرية عليه وهكذا استمر القتال والموقع يسقط ثم يستعد ثم يسقط
ثم يستعد وهكذا !!

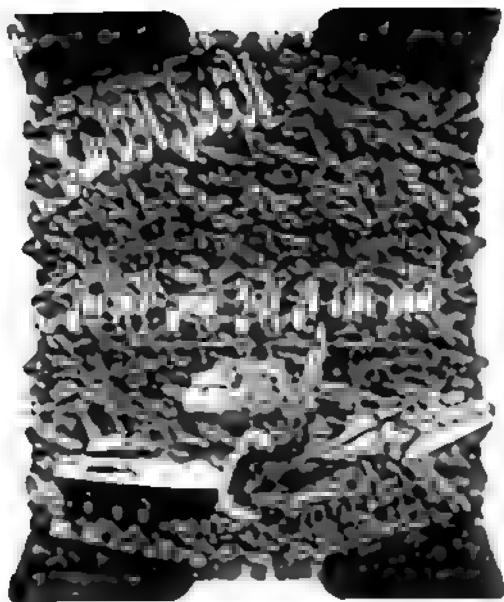
وطوال معارك المعرقة والاستعدادة جرت معارك الدبابات على مسافات لم يعرفها
تاريخ الحروب من قبل حيث وقعت الدبابات المتحركة على مسافات تصل إلى ١٠
أمتار فقط من بعضها بعضاً، وفي أماكن كثيرة كان يمكن مشاهدة دبابة "باتون"
إسرائيلية متحركة على بعد متر واحد من دبابة ت ٥٥ مصرية مصفحة حيث لامست
مدافعها بعضها بعضاً تحجراً عن مشهد درسي تقول لديهم مأثور "طابق الأعداء".

طوال ليل الخامس عشر من أكتوبر كان واضعاً أن الإسرائيليين بكل ثقلهم الذي
يدفعون به إلى المعركة يستهدفون أساساً تصفية رأس الكوبري في قطاع القرية ١٦
مشاة لمواجهة المنطقة المحيطة بهدف الاستيلاء والوصول إلى نقطة صغيرة على
خط المياه في الضفة الشرقية لقطاع إقامة رأس جسر يسهل إمكانية إنشاء عدد من
المعابر والمعدلات لقطع جزء من القوات الإسرائيلية إلى الضفة الغربية كمحاولة
لإحداث الذات قبل إقرار وقف إطلاق النار الذي كانت شواهد كثيرة في المسرح
الدبلوماسي الدولي تؤكد اقتراب توليته إقراره.

ولأن التلويح الإسرائيلية كانت واضحة تماماً بهدف التدرج في ذهن القيادة المصرية
لأن الإسرائيليين لم يتمكنوا طوال هجومهم المضاد في هذه الليلة من تكليف هدف
تصفية رأس الكوبري المصري، ويشي بأخط من الأكراد والمعدات لم ينجح
الإسرائيليون إلا في مرحلة التنازل الأملية لواء الأيمن للقرعة ١٦ إلى الخلف
لمسافة ٢ كيلومتراً فقط.

ويرى الإسرائيليون في مختلف الروايات التي صدرت عنهم عن هذه المعارك أن
قوات شارون واجهت معارضة صليوية ودامية وأن أصعب المعارك كانت تلك التي
جرت حول الموقع الذي عرف باسم.. "المرحلة الصينية" والتي المنفجعة للمصريين
كانت تعمل طوال المعركة بوثيرة هائلة وأن مثلت الأطنان من التناقص نزلت على
القوات الإسرائيلية وعلى محاور تحريكها.

إن ما حدث في معارك هذه القليلة كل مشهداً من الصعب وصفه فقد انتشرت آلاف
الذبابات ورحمت فوق كل لانهية لها من القوم والنخيرة والوقود والجود على المحر.
متراً متراً واقتضت الضرورة في تلك الساعات تجتهد معظم طائرات الهليكوبتر
الإسرايلية لسحب جثث القتلى والجرحى.



إن أنصم مغبرة في ترويج الجيش الإمبراطوري كانت حول "المزرعة المسيبية" تلك الموقع المصري الحصين الذي يقع إلى الشرق من خط السكة الحديد لموارد لقاه السويس على الضفة الشرقية وفي المنطقة الموازية لعنق البحيرات المرة، ولم يكن الحصن المصري شبيهاً بتلاع حط بالرفق وإنما عدة مبانٍ كانت تستخدم قبل حرب ١٩٦٧ كمحطة بحلوان زراعية مصرية والمصاحبة مع البيلاب التي توفقت بعض خبرتها وكانت بعض جذري المنازل تعمل عمارين باللغة اليونانية ولعل هذا هو السبب الذي دها الإسرائيليين في الاعتقاد - وبعد حرب يونيو ١٩٦٧ - بأن هذه المكتبة اليونانية ما هي إلا كتابة صينية واسطلموا على تسمية المكان باسم المزرعة المسيبية.

يقول شارون كانت المعركة في المزرعة المسيبية دامية ومميتة وتدمرت أكثر من مرة قوات المدرعة التي حاولت الانقضاض على الخطوط المصرية وهي تتقدم لخصائر فادحة، وحتى عندما فكروا في استخدام المظليين بدلاً من المدرعات لتدخل إلى هذا الموقع المصري بمعية فتخافية من أجل السيطرة عليه، فقد كانت عزوفاً عن سماع هجم القنابل التي لعنت بنا بصل التجهيزات المصرية المضادة للدبابات والأفراد.

وإدري إسحق شفي تلك قوة المظليين الإسرائيليين التي تشارفت أشلاء معظم أفرادها على أبواب المزرعة المسيبية: لقد أحضرونا إلى منطقة القتال بالآلوبيسات وطائرات الهليكوبتر وثقلنا أمراً من القلعة فلم يقول: "صغار الدبابات المصريين يحاولون دون تفقد مهارة القنابل، انقضوا عليهم ودمروهم بأسرع ما يمكن" وبدلت لوقتاً متعدياً بضع مئات من الأمتار وقملاً فتح علينا أنون من النار وبدأ تسلط للرجال وصاح لحد قادة المجموعات عبر اللاسلكي قائلًا: "يا إلهي ماذا يجري هنا؟" ولم يكن أمام من كتبهم أهم الفجأة سوى الانسحاب بالأرض والانتظار حتى تمر للمصعة ولكن محاولات الاحتباء والتخندق لم تفلح في الأخرى فعندما أصدرت أمراً لأحد قادة الفصائل بالتخندق في أحد الأماكن خلال عملية الانسحاب رحبها مع المصريين النار على قوة المظليين واسطلموهم وهم مكتوفين على الكتيبات الرملية

إن ما رسمه إسحق تدمي قائد المظليين الإسراييليين لم يكن سوى صورة مصغرة
 إذ أن ماجرى للإسراييليين في هذا القطاع كان هو الحجم بعينه ولم يكن باستطاعته
 أحد من الإسراييليين أن يتدخل مبدئياً في المعركة حول العروعة الصوفية ويخرج سالماً إلا
 بمعجزة فقد كانت كل نخوض هذا المحور طينة بمراكز الرشاشات والمدفعية تدعمها
 صنادل مدججة من القذائف وفصائل أخرى من المشاة الميكانيكية والمشاة المدرجة
 للمروحة بالصواريخ المضادة للقذائف، ولهذا السبب فشلت كل محاولات الإنقاذ التي
 بذلها إسراييل لإخراج المظليين الإسراييليين من دائرة الموت، وقد توجهت كل فرق
 الإنقاذ الإسرائيلية سبلاً لا يهدأ من التيران جعل من رجال الإنقاذ أضحوكة في هذا
 المجال إذ كانوا هم في حاجة إلى ما يقدّمهم فقد قتل قاتلهم وقذارت أشلاء معظمهم
 وسقط بعضهم أسيراً في يد القوات المصرية.

ويقول الإسراييليون في تقريرهم الرسمي عن الحرب : لقد فشلت محاولة إرسال
 وحدة أخرى لإنقاذ سرية الطهبة أو الانفصال على الهدف المصري، ولقد تحركت
 على وحدة الإنقاذ نيران القذائف ولوقعت فيها قتلى وجرحى وقتل قائد وحدة الإنقاذ
 الذي حاول انتشال مصابيه واستمرت المعركة ساعات طويلة وأجبرت السيرال
 المصرية المظليين الإسراييليين على التراجع الأرض ولم تمكنهم من الانفصال أو حتى
 من التراجع واستمرت عملية القتال الجرحى الإسراييليين طوال الليل وفي حالات
 كثيرة أصيب أيضاً المنتقلون كما أصيبت محطة تجمع الجرحى وأصيب عدد كبير من
 الجرحى الذين كانوا معها مرة أخرى !

لقد كان المصريون يطلقون الصواريخ بسرعة إطلاق مبدئية الرشاشات وكانت
 مدفعية الجريوف تطلق النار طوال الليل وأصبحت قذائف المدفعية المصرية رجاء
 ليس بقوا ملزمين الكتيبة الرملية في الطريق إلى العروعة الصوفية

ولكن حدث سر هذه المعارك الوحشية تمكن الإسراييليون من دفع سرية مشاة
 ميكانيكية على متن بعض حلقات الأكراد البرمائية الأمريكية لاصبح من طرف
 ١١٣ مع سرية تهايات برمائية، وتسلقت تلك القوة الصغيرة في ظلام الليل عبر

الطرف الشمالي للبحيرات المرة إلى مطار القوسوار المهجور واتخذت من كثافة الأشجار والأحراش المنتشرة في هذه المنطقة سقراً ومخابئ لها ونصبت هذه القنوب المتصلة صباح ١٦ من أكتوبر بالانتشار متجهة صوب الصواريخ المصاحبة للطائرات مسندمة أسلوب قتال الكوماندوز بالمدرعات أى تجرى هنا وتصرب هناك وتحترق في مكان آخر. وتمكنت القوة المتصلة من إصابة بعض هذه القواعد ومنها عن العمل بإحداث نغرة في شبكة الدفاع الجوي المصرية كل الأنو يسعى جاهداً لإحداها منذ بداية الحرب لتفاد إلى مؤخرة قواتها ومهاجمتها ولستر دولاه الحقيقة في توسيع نطاق التمثل إلى حرب القنات لتبدأ الحرب مساراً جديداً.

قبل أن ينقضي يوم ١٧ من أكتوبر صدر قرار القنات العام بأن يتولى اللواء عبد المنعم خليل قيادة الجيش الثاني الميداني بدلاً من اللواء سعد مأمون الذي كان قد أصيب بالرمة القلبية يوم ١٤ من أكتوبر وعلى عكس ما تمنى الإسرائيليون فشل التلويحات صدرت للقوة المصرية شرق القنات بالتنازل بمواقعها وعدم الالتفات للخلف ومواصلة العمل على تحرير المزيد من الأراضي .. فططم القنات مجموعة من الكوماندوز المصرية التي تعمل في العمق خلف خطوط العدو لكي تقوم بدورها في مواجهة التمثل الذي كان قد بدأ يأخذ شكل أسلوب الكوماندوز أيضاً ولكن بالمدرعات ؟ ومع صباح يوم ١٨ من أكتوبر شكل الإسرائيليون مجموعة عمليات جديدة تحت رقم ٢٥٢ بقيادة النهرال كامل ماجن وتضم ٥ لواءات مشكلة حديثاً من بينها لواءين مدرعاً ولواءين من المشاة الميكانيكي ولواء مشاة عادي وكلفت مهمة هذه المجموعة الجديدة ذات أبعاد ثلاثة أولها مشاهدة القوات المصرية على طول لمواجهة في رومس الكبارى والثاني العمل على تثبيت أوضاعها وعدم تشكيلها من تحرير مساحات جديدة ثم القيام بهجمات مضادة جديدة لها أمكن وحضلاً عن ذلك واصل الإسرائيليون سحقهم الشديد على الفرقة ١٦ بالطيران والتمشية والبحور عموماً فتبنت رأس البصر غرب القنات وكال الإسرائيليون في مهمتهم هذه يعملون على محورين رئيسيين

المحمور الأول بمجموعة الصلوات رقم ٤٥ التي يتولى شارون قيادتها والمكونة من ٣ لواءات مدرعة هي ٦٠٠، ٤٢١، ١٤ ومعها اللواء المظلي المحمول على عربات مدرعة

وقد أسدأ لهذه المجموعة مهمة مواصلة الضغط على الفرقة ١٦ وحررها شمالاً لتوسيع طريق التماس إلى منطقة رأس الكوبري شرق القناة وتسهيل عملية إنشائها المعابر.

لما مجموعة الصلوات رقم ١٢١ لمشكلة من اللوازم المدرعين رقمي ٤٠١، ٢١٧ ولواء المظلة الميكانيكي بقيادة الجنرال أبراهام أدان فقد كلفتها القيادة الإسرائيلية بمحاولة تطوير الانتشار والتمسك غرب القناة جنوباً في اتجاه السويس لاحتلال المدينة وتطويق قوات الجيش الثالث وقطع خطوط الإمداد والقنوين عنها

وببساطة يمكن القول بأنه مع حلول يوم ١٨ من أكتوبر أصبح حجم القوات الإسرائيلية في منطقة القناة يتكون من ٣ لواء هي اللواء المدرع رقم ٤٢١ واللواء المظلي المحمول على عربات مدرعة م ١١٣ واللواء المدرع رقم ٢١٧ الذي أكمل عبوره في نفس اليوم.

وخلال نفس اليوم تمكن الإسرائيليون من إنشاء معبر على القناة في منطقة للفرسوار بينما بدأ اللواء المدرع ٢١٧ الانتشار والصل في منطقة ليد جنوب القدسوار واستخدم الإسرائيليون أسلوب حرب المصائب بالدبابات حيث تنتشر أكبر مجموعة من الدبابات في أوسع سلسلة ممكنة وتحتل في انتشارها وتركزها لتسلق السلسلة الخلفية من أية مناطق دفاع مصرية وتكفي بهجمة مناطق الشوي الإدارية وبطاريات قصوريق التي لم تكن محصنة بقوات حماية أوصحة كافية طوال يومي ١٩ و ٢٠ من أكتوبر تحت الضغط الإسرائيلي على الفرقة ١٦ لتأمين لسممرار وصول الإمدادات إلى قوة القناة بواسطة المعابر وواصل الإسرائيليون تكلفتهم و زاد حجمهم غرب القناة وبلغ مع مساء يوم ٢٠ من أكتوبر أكثر من أربعة لواءات في شوب الذي

أردناك فيه كثافة الطيرين الإسرقولى فى سماء سيناء والفرسوى بعمل لدعم الأمريكى واسع النطاق.

ولقد كل ذلك نور هم وعلمهم لإحداث الفكرة فلما صحت القوات المصرية فى مواجهتهم وما تلقى الذى دفعه الإسرقولىون ثمناً لحمايتهم ؟ .. تلك رولىه الإسرقولىون أنفسهم كما وردت فى تقرير "جيرانت" الذى ولى كان وصف الفكرة بأنها الإنجاز الوحيد الذى حققته القوات الإسرقولية فى جهة السويس طوال فترة الحرب إلا أن التقرير يؤكد أن العملية لم تصف إلى السجل العسكرى الإسرقولىي شيئاً أكثر من أنها أربطت ببناء أكبر مقبرة طينة لجندو إسرقول على طول التاريخ.

فى البداية يعترف التقرير بأن العملية كانت محل خلاف شديد فى القيادة الإسرقولية وكس الإحساس بعدم جدواها يسيطر على الجميع لم يكن المصريون قطعاً هم الذين سببهم الشكوك قراء الاتصالات نجاح محاولة العبور الإسرقولية لى الجانب الإسرقولى أيضاً فى القيادة الألمانية للجبهة الجنوبية كانوا يتابعون ما يجرى بنوتر ولقى وقد ساورت الضباط الإسرقوليين - الذين تلقوا تقارير عما يجرى بالنسبة لى إقامة رأس الجسر الإسرقولىي للتحريك غرباً - شكوك خطيرة، وفى وقت معين سمع يوم الثلاثاء ١٦ من أكتوبر لم يكن قد تم بعد استخدام جسر العوامات وكانت لذلك المدفعية المصرية تصيب هدفاً منها وتعمل مواصلة إقامة الجسر .. أهد للصباط فى القيادة الألمانية يتنبهون للأخطار المحدقة بقوة العبور.

وعسى التمرى : وفى الساعة ٢٢٠٠ أصوب جسر العوامات الذى لهم على القناة واتحت فيه فجوة ولحقت إحدى العوامات التى يتكون منها الجسر تتسفل وفى الوقت ذاته احتشدت فى الساحة القريبة من نقطة العبور وفى الطرق المؤدية لها عشرات المركبات المعصلة بالإمدادات وال ذخيرة وكان صباط الهندسة عربىكيون وحى تلك اللحظة لم تصل العوامات الاحتمالية لى منزل مكان تلك التى أصوبت كانت مستمرة فى مكان ما على المحور بموجب زحمة السير التى تكوئت عليه وواصل رجال الهندسة لعمل خلال ٤ ساعات متتالية لإصلاح القجرة فى الجسر وفى هذه الأثناء ازدادت شدة

القصف وتم إخلاء القتلى الأوائل على الجسر على مؤخرة الأسلحة، وقد عملت محطة
جميع الجرحى ملوالت الليل تحت النار من أجل مساعدة الجرحى ونقلهم إلى الحف
وكانت كل دقيقة تتجور داخل الأسلحة تسبب ضرراً ومؤذى إلى سقوط قتلى
إسرائيليين.

وينقل التقرير عن محيط هو قتلى يدعى إبراهيم روفيتش عن تلك العملية التي تولى
فيها مسئولية قائد الجسر - كانت تلك الليلة أصعب ليلة في حياتي، كل علينا أن نقل
على الجسر وهذاب مدرعة ومدفعية. لم تكن هناك سيطرة على المحور وبعد كل
رشق من المدفعية المصرية كل علينا أن نركض ونقذ الجسر من جديد وكان يحدث
في كل مرة عطل آخر وخلال تلك الساعات القوية نلقت علامة كانت تسير وسط
القناة بإسالة مباشرة وغرقت القنابلتان فكانا كلنا عليها وقد استطاع ثلاثة فقط من
المراد الطولم الثمانية القوا منها إلى الخارج.

وبصف الشكر. وعندما أخذت التقارير عما يحدث حول نقطة العبور نصل إلى
قيادة الجبهة الجنوبية ازدادت المضايقات على مصدر رأس الجسر وصاح الجبرال
شموايل جودين قائد المنطقة بالانسلاكي بالجندال شارون : "ليس هذا ما نعتقد به".

لنا تقرير إيجرافات يقول : كانت قوات القتل نفسها تتألف من فرق أساسيين
قوة مطلين محمولة على مجررات وكانت مهمتها الوصول إلى ضفة القناة وعبورها
بالقنارب المطاطية والتقدم إلى الجانب الغربي لتمكين مد البصور وكانت القوة الثانية
تشكيلاً مدرها.

ولقد بدأ القتال في ١٥ أكتوبر قبل الظلام تقريباً بمعارك ضارية ودسيرة مع وهدفت
ملاح لمشاة للمصري التي كانت متخلفة جيداً شرق القناة وتصيح أن المصريين
عزروا استعداداتهم بقوات أكبر كثيراً مما كان يتصور في البداية وقد استمر المعركة
في هذا القطر ثلاثة أيام وكانت أصعب المعارك بصورة خاصة تلك التي جرت حول
الموقع الذي عرف باسم المزرعة الصينية.

كانت المعركة في "المرحلة الصيفية" مستمرة منذ ٤٨ ساعة وقد ترجعت للقوة المدركة الإسرائيلية التي حاولت اختراق الخطوط المصرية وهي تتكبد خسائر فادحة. وبعد ليلة الأربعاء ١٧ من أكتوبر تقرر إرسال قوة مظلات لمحاولة تطهير النجيرات المصرية المصانة للعمليات المصعدية.

ولم يعتبر المظليون الإسرائيليون في تاريخهم مثل هذه الكمية من النيران. وكل عدد المصيريين يرد له من لحظة إلى أخرى وقد أسمى "الليل العظيم" بقليل مضيق وصارت الإشارة التي تقول : "قد قتلنا محاولة إرسال وحدة أخرى لإنقاذ مسيرة المنظمة أو الانقضاء على الهدف المصري وقد تولت على وحدة الإنقاذ سيران للهريت وأوقعت فيها مئات القتلى والجرحى وقتل قائد وحدة الإنقاذ الإسرائيلي الذي حاول لانتقال مصليه واستمرت المعركة ساعات طويلة وأجبرت النيران المضيق على التراجع الأرضي ولم تمكنهم من الانقضاء أو حتى التراجع واستمرت عملية لانتقال القتلى والجرحى طوال تلك الليلة وفي حالات عديدة أصيب أيضاً الملتصقون كما أصيبت محطة تجمع الجرحى وأصيب عدد كبير من الجرحى الذين كانوا فيها مرة أخرى".

سرى أحد قادة الإسرائيليين : "كان المصريون يطلقون الصواريخ بسرعة إطلاق نيران الرشقات وكانت مدافع "البريمو" تطلق النار طوال الليل وأصبحت نذات المتفجعة المصرية رجالها الذين بقوا بين القنابل القرمزية في الطريق إلى المرحلة الصيفية".

سرى الجنرال أديان : "عبرنا الجسر في المشرقة ليلة ١٧ من أكتوبر وماكنت نمر ثلاث نبال من نبالنا حتى تمطل الجسر وبقي متهلواً لوقت ما وبينما كنا نتجسس هناك تلقينا أحد نصف عرفاء".

ومنذ اللحظة التي اكتشف فيها المصريون حقيقة وجود القنابل وحجمه وجهوا إليه ستم القوات المدفعية التي كانت في حوزتهم في تلك المنطقة، وقد بذلوا جهوداً

مصبية لهمم الجسور وصرب القوت الموجودة حولها وإنا كانوا قد امتعوا حتى تلك المرحلة من دفع طواقمهم إلى المعركة بكميات كبيرة فقد شرعوا بعد ذلك في إرسالها موجات نحو الجسور والمحاور المؤدية إليها وكانت الموجودة بالقرب من الجسور هي المحطة الأساسية لإخلاء المصابين أما طائرات الهليكوبتر التي سقط منها أعداد كبيرة في عمليات انتشار الجرحى فلم يسمح لها بالهبوط في الجانب العربي من القناة خوفاً من إصابتها بالصواريخ.

وقد تعرضت الساحة خلال جميع تلك الأيام للقصف والهجمات الجوية المتواصلة وفي رسالة بعث بها قائد إسرائيلي إلى قائده في أحد هذه الأيام قال : «تسبب القصف هذه الليلة على ما كنا كنا أصعب.. أطلقوا علينا نيران الكناوشا طوال الليل، كل القصف أسوأ وأسى الأمور التي مرت علينا هنا حيث رافقت ذلك القصف غارات جوية فعندما يكون مجرد قصف تفكر ولكن عندما تأتي مع هجوم جوي فإنه أصعب كثيراً، عندما تسقط القاذف تريد أن ترى أين تسقط لكي تهرب منها لتغير موقعك، ثم تسقط المنفعية، فعندئذ تريد أن تكفي الراس في الرمال. كل هذا قوياً حقاً، ويبدو أن المصريين قرروا تقصصاً على الجسر وقد أتلوا علينا يوم الخميس ٢٨ من أكتوبر ٢ أرباب رباهية من الطائرات وحملوا الجسر وقتلوا رجال الهندسة وقادهم

وبينما كانت تساقط المنفعية المصرية القوية القوية على الجسر أخذت المعركة على الجسر تزداد حدة. وقال مظلي إسرائيلي يدهي يولان كلى يقف على مقربة من الجسر «كنا جالسين في مبنية وسقطت علينا قذيفة خطيرة وقبلاً سمعنا واحد يصرخ في الخارج. رجلى . رجلى جرح . وكل ذلك المشهد يتكرر كثيراً»

وبعث آخر برسالة لقائده يقول فيها . «كان هناك مثلاً قطاع كلى الجبهة إحدى الجيوب القلعية، وكلنا هناك نصف وقبلاً سراج : طائرات وإغارات الطائرات وأما لما ففرت مدعوراً وقد أقيمت قتال نالام وأسيت أنا بشظاياها. ركعت باتجاه الجسر وبينما كنت أركض شاعت ٤ طائرات موج بحر علينا لتسقط بالسفتر القريب ورأيت قتال سقط والصواريخ تطلق، القزيت من الجسر ورأيت هناك سلحا وسر عشرة

من الرفاق احتبئوا بين القسطنطينيين جروا كان هناك وأغلقت عليهم الطائرات وأصبحت هناك كل شيء حولهم يتحول كل منهم القنلى والجرحى، كانت هناك تلة صغيرة داخل الساحة عليها حمامات وحمامات وهي مغطاة بالبطانيات وبمرورك من هناك تشاهد أختية حمراء ومودام وحصراء وتضاد أطراف حمامات الشجر الأشقر والأسود كانوا هناك ويقاتلون وخشيت أن أرفع بطانية في رعد بطانية رأيت رفقا.

واعترف أحد صديقي مذكراته: كنت أفكر طمأن في تلك الممرات من الحمامات في الليالي الطوال وانقضت مطلع النهار لأتبع عن تلك المناظر ولكني لتوقف من تركض تحت وأبل القصف في الليل يطلق المصريون النار بصورة متواصلة والذى لم يزل عليها هناك فلا شيء أقل من عيار ١٦٠ ملم وكان يمسك بصوت بسبب علة وكانت الساعة تمر زحفاً.

وطبقاً لما ورد في تقرير لجنة اجرائات فقد استمرت المعركة الدفعية التي خاضها الإسرائيليين في المنطقة الموصلة نقطة التماس شرق القناة ٧ أيام متتالية منذ السلاسل عشر من أكتوبر وحتى وقف القتال. وروى كبير الضباط الأطباء: "كنت تنقلى دور أن يكون في متورك أن تفعل شيئاً وكل أحد يوقفك في قرولية ويضربك بقبضته وكل ما تستطيع أن تفعله هو أن تنقلى الضربات، حدث مرة نصف شديد وخرجت بسيارة جيب إلى الجانب الآخر لأحضر الجرحى وعندما حدث من هناك على الجسر سقطت قذيفة في السماء لمسى نلماً ووصلت إلى محطة جميع الجرحى وإذا بقذيفة تسقط على بعد ١٠ أمتار هزته إلى دبية الإخلاء وطرقت لهم على الباب فاعتقوا أن ذلك طرق لتسللها على الباب ولم يفتحوا ولم يدخلوني إلا بعد أن سمعوا صراخى ثم خرجت مرة أخرى سقطت قذيفة وانفجرت في مكان جلوسى وطلعت رأسى وسمعت الصفيح ورعدت تشظيها وبعد أن خف القصف التفت وشاهدت دبابه تتسجل وكفى هناك قبل ذلك طاقم دبابه يدور وجهه قد تقى أفراده الأربعة إسمية مباشرة ولم يبق منهم أحد".

بعد أن تمكن الإسرائيليون في منطقة النغز سولر من ضرب بعض محطات الدفاع الجوي وشل فاعليتها وأصبح هناك قدر من حرية الحركة أمام الطيارين الإسرائيليين للعمل فوق منطقة الثورة، بدأت محاولة ترجمة التسلل إلى حقيقة احتلال وكسر الهدف هو التقدم شمالاً نحو الإسماعيلية باعتبارها مدينة حامية وسوف يحس سعيها في لديهم شهادة أمام العالم وأمام أنفسهم بأنهم صنعوا في الحرب شيئاً هيبلاً عن أنهم تصوروا أن مثل هذا السقوط قد يكون خطئاً للتأثير على معنويات المقاتلين المصريين شرق القناة. وأهم ما في الأمر أن القيادة المصرية لم يكن غائباً عنها اللحظة في محاولة التقدم نحو الإسماعيلية قد تكون جزءاً من مقاومة للدفاع والتضليل عن الهدف الرئيسي للتكتل شمالاً جنوباً نحو السويس بينما كان الطريق إلى النغز سولر موحداً واثلاً ورهيباً دفع فيه الإسرائيليون ثمناً باهضاً كلن الطريق إلى الإسماعيلية نموذجاً آخر لنبالة المقاومة المصرية.

لم يكن على الطريق سوى مجموعة من رجال المشاة المصريين المحتشمين بأحد المواقع جنوب شرق الإسماعيلية وبدأ أول طيבור لمقاتلي مدرع مكون من ١٢ دبابة يجتاز قرية مريديوم في الطريق إليهم.

ولم تكن مجموعة المشاة المصرية سوى أربعة رجال قطع قرروا فيما بينهم ودون الرجوع إلى أحد أن يتشبثوا بمواقعهم وأن يوقفوا طيבור المدرع المتدفع أو يستشهدوا تحت جناريره كفتحة صمود أولى تكون مقبلة وجرس إنذار للمواقع المصرية بعدهم.

وبدأت الدبابات الإسرائيلية تقترب من مواقعهم وفي تطلق القنابل في كل اتجاه ليث الأحر والفتكش عن وجود أية قوات مصرية ترد عليهم بالمثل. وبإصرار فطري غريب أدرك أن رجال الأريمة أن الدبابات الإسرائيلية قد أصبحت في مرمى نيرانهم فاطلقت دفعة من الصواريخ المضادة للدبابات فتجوز أربع دبابات جانب إصابات قاتلة ويوقف طيבור المدرع عن التقدم وبدأ يطلق القنابل بكثافة وفي كل اتجاه يهيم بسحب الرجال الأريمة زحفاً على بطونهم في اتجاه موقع آخر وقربون هه كمياً جديداً لطيבור الدبابات الإسرائيلية.

وحسباً لمصلحة الرجال الأربعة قام ثمنون لجنات كتيبة على مفكرهم لموقعهم حتى كانت كتلة من جهنم سقطت فوقه - مئات الجنات الثقيلة وتصور الإسرائيليون أنهم قد حصوا على كل مخلوقة في المنطقة ومن ثم قرروا معلومة الانتفاخ شمالاً وتقدم طيورهم مرة أخرى وإذا به يواجه الطيران من موقع آخر.

وبتوقف الطيور لمهبط تيرافاً كثيفة يرد عليها الرجال الأربعة - حيرت معادلة من أربعة اتجاهات تزيد من ربحهم ويتصور الإسرائيليون أن المنطقة كلها مملوكة بالبراد الكوماندور المصري ويصبح أدهم وأقار تسمك بمقدته : يا إلهي إليهم فراعنة نزلت لعلتهم علينا

وبدأ الطيور الإسرائيلي يتراجع للخلف معقاً فضله وعمره وعلى محور آخر كانت شمة محاولة أخرى جرت أحداثها يوم ٢١ من أكتوبر عندما حاول الإسرائيليون التقدم من واحة المنياف في اتجاه تربة المنياف جنوب الإسماعيلية ودارت معركة رهيبة استمرت حتى غروب شمس ذلك اليوم، وإن هي إلا ساعات حتى تم إعلان وقف إطلاق النار في الساعات الأولى يوم ٢٢ من أكتوبر تقييداً لقرار مجلس الأمن رقم ٢٣٨، وكما كتبهم دائماً حاول الإسرائيليون استغلال لضعف القوات المصرية للقررو وبدأت محاولة قتلار جديدة ظهر يوم ٢٢ عندما تقدمت دورية استطلاع إسرائيلية مدرعة على الطريق من مر فبيوم إلى الإسماعيلية وما أن تقدمت الدورية بضغ طبات من الأمطار والثرثرت من الكوبرى رقم ١٠ على تربة المنياف حتى كتلت نيران مصرية خفيفة تنسب عليها من كل اتجاه، وأطلقت أول قذوة مصرية أول حربة في الدورية المضطلة وهي مدرعة من طراز ١١٢ فزعت غطاء موقويزها وأشعلت فيها النيران وبدأت مستحيلةً بإمكان استمرار الدورية في التقدم للركب إلى الخلف مصحوبة ببررر حافلة أصدت خسائر لا يعرف مقدارها إلا الإسرائيليون الذين تنشوا لصظتها وكتبت لهم النجاة من أحوالها.

ومره أخرى حاول الإسرائيليون التقدم من طريق آخر بـ ١٤ دبابة ليو لجها بكعيس
 آخر دمر لهم ٦ دبابات ويصلطون إلى الاستعانة بقواتهم الجوية التي حلوات عبثاً مع
 دبر في كثيفة من المدفعية والمدفعات تشوب المنطقة وتبوءة السروح لتقدم قواتهم
 وفجأة يظهر في أرض المعركة عامل جديد لم يكن في الحساب ولم يكن وأرد في
 دهي الإسرائيليون عندما هوت تطلقات في ٣ دقائق بواسطة النطاق الجوي للمصري
 الذي تصوره الإسرائيليون قد انتهى تماماً من المنطقة وقتل في المحاولة وبعد
 الإسرائيليون تظلم أنفسهم من جديد لمحاولة أخيرة كانت آخر مراحل فشلهم على
 طريق الإسماعيلية بينما عرفة العمليات المصرية تتابع باهتمام بالغ ما يجري على
 أبواب الإسماعيلية مايقوم به الأبطال المصريون لصد المحاولات الإسرائيلية المتكررة
 لتوصول إلى المدينة رغم قلة وقوف إطلاق النار.

صباح يوم ١٩ من أكتوبر قام الإسرائيليون خلال انتشارهم السريع جنوباً في اتجاه
 السويس بقطع شريعة التي نمد المدينة بالعباء وفي اليوم التالي هاجمت الطائرات
 الإسرائيلية خطوط الضغط العالي على طريق القاهرة السويس فالتقطت الكهرباء عن
 مدينة السويس، ومع تزايد حملات الإرهاب التي بدأ الإسرائيليون توجيهها ضد سكان
 القرى ثعل في مناطق الدفرسوف ومراميد وأبو سلطان وفاد بدأ لتدريج وكثفت
 وجهة النازحين دقماً صوب السويس لكن أحياناً من أبناء السويس لم يتركوا للخطوة في
 مبالغة المدينة على الرغم من أن الطريق إلى القاهرة كان حتى هذه اللحظة مفتوحاً
 وأبداً.

ولم يتوقف تدفق اللاجئين من قرى صوب السويس حتى يوم ٢٢ من أكتوبر،
 وبعد إعلان وقف إطلاق النار بأربع وعشرين ساعة كان قد دخل السويس أكثر من
 ١٢ ألف مواطن جديد ليتضاعف عدد المقيمين بها.

كان الخطر دائماً وكان الجميع يتوقعه بين لحظة وأخرى رغم قلة إطلاق النار
 ومن ثم بدأ العمل في تشكيل قوات الجيش الشعبي من المتطوعين الموجودين داخل
 كردون المدينة وعندما بدأ الطيران الإسرائيلي ظهر يوم ٢٢ أكتوبر في نصف

السويس حس مسجد الشهداء قد أصبح كجبه بخرقة للعمليات التي بدأت منه أول حيلوة المقومة الشعبية ضد محاولة غزو السويس التي كلفت قد بدأت ملامحها تظهر من خلال عمليات القصف المركز طوال اليوم لتمهيد الطريق للسكة الإسمر انيلين في لقحام المدينة

وعندما حل المساء وماتت الطلقات الإسمر القوية تواصل قصتها للمدينة كل مسجد الشهداء صامقاً بلا حركة رغم أن لواءه الأربعة كانت مكتظة بأكثر من ألف نسمة لم يكن لهم من حدث إلا عن وسيلة ضد الغزو المتعطل خصوصاً بعد أن أكدت معلومات الرجال الذين تولوا حماية مدخل المدينة أن القوات الإسمر القوية بدأت مع فجر اليوم ٢٤ من أكتوبر تحركاً بالمدركات في اتجاه المدخل الثلاثة للمدينة من ناحية طريق الرينة وعلى طريق القاهرة السويس ومن طريق الإسمايلية للزراعي.

ومن قلب المسجد خرجت أول إشارة إلى كلفة أضاء المدينة تحيط المواطنين علماً بدأ تقدم المدرعات الإسمر القوية صوب المدينة وبدأت جماعات المقاومة الشعبية تأخذ مواقعها على جانبي شريط السكة الحديد من حي الأربعين حيث يتوقع مجيء الإسمر انيلين.

ومن فوق أسطح المنازل كان المواطنون يتبعون تقدم قول من الدبابات الإسمر القوية ٣٠ دباباً في (عز) الظهر حتى وصل إلى ميدان الأربعين دون أنسى مقاومة وكل السويس خلت من أمة مقاومة وغداة بدأ تدور الطلقات من مدافع "الآر بي جي" المضادة للدبابات ومنطلت مقمة القوي بتعطل أول دبابه فيه وبدأت بصر الدبابات في الاتجاه في طريق أحد صوب قسم شرطة الأربعين بينما وقعت مجموعة أخرى من الدبابات وأطلقت دباب مدافعها صوب مباني القويان المصرية، ولأن المقاومة كانت شديدة ولم تكن وردة في الصلابة بعد القصف الكثيف الذي قام به الطيران الإسمر انيلين في رينك شديداً حل بالإسمر انيلين ونجح معظمهم إلى القوي في محاولة للاختباء داخل قسم الشرطة في محاولة للاختباء بصيلاً وجود القسم كرهائن للمعاملة ومر عن ما ورعوا أنفسهم على كلفة أنوار القسم وسدوا كل الفوهات الأبواب لمنع

المعروفة للشعبية من القحطام المهي ووصفوا مأمور القسم وصياغة في إحدى الحجاز
وكلفوا مجموعه بحر لستهم وهذا أصبح الاختبار صعباً أمام قيادة المقاومة

كان في الامكنى بدمير قسم الشرطة بين قبه من جنود العدو ولكن العبه تكسر على
هذه المحافظة على أرواح الصباغة والجنود المصريين المحتجزين داخل القسم
صباغة وثلاثة جنود ولكن رأياً آخر كان يقضى بحسن التقييد ويصادى قراره بترك
الإسرائيليين داخل القسم حتى يعطوا استسلامهم حيث لاحظوا من لخمراز يقتلهم ثم
يأتى قبل لا كسلا فلم يكن الرجال على استعداد للتسليم بوجود إسرائيليين داخل المدينة
دور عز الله.

ولكنصر الراى المستطرف القاتل بعدم توقف محاولات القحطام القسم مهم كشت
النسحيات وبالفعل بدأت مجموعة من رجال المقاومة عملها ونشبت أول محاولة
واستشهد أبطال آخرون وأصبحت فتوارع المحطة بالقسم مسرعا لأشجع أنواع القتال
للمتلاحم بالسلاح الأبيض وبالوشاشات وبالقنابل اليدوية

وبهذه معركة القحطام القسم على أثنائها استطاع أحد الجنود المصريين المحتجزين
داخل القسم لقتلهم الحجزه المحتجز فيها مأمور القسم وصباغة وقتل قوة الحراسة
الإسرائيلية عليه وسهل لجميع المصريين المحتجزين الخروج من الباب الخلفى للقسم
وكانت فرصة ماذرة لكى بعد رجال المقاومة خطتهم بلا حذر وانهممت بطلانهم
هو باب القسم ودأرت معركة شرسة وفتحت لتتسل كل أنحاء المدينة وعندما أتركب
للقيادة الإسرائيلية حيلة المصيدة النسي وقع فيها جنودها حاولت دعمهم ونقلهم
من مزال فور منزع من طريق الأدبية كان صعباً سهلاً لمجموعة الكمائن فتمويه ثام
وجرب محاولة دعم جديدة عن طريق الإسماعيلية الزراعى واجهت مقاومة عجيبة
من اصطر لإسرائيليين لوقف المحاولة، ولكنهم لم ييأسوا وجربوا محاولة جديدة عن
طريق كوبرى الزرير ولم يكن مصيب هذه المحاولة أفضل من سابقتها.

ونحل الليل على المدينة والظلام دامس والقنابل مازالت تسمر في الشوارع والديابات المحترقة يبيع منها سوء وحلج وتتسلل ٥ ديبات يسريينية صوب بور توفيق في محاولة لصرب قوات الجيش الثالث شرق القناة ولكنها تلقى مع أنفسهم أسوأ نهاية فقد تحولت الديابات الخمس بكل ما فيها إلى كتلة من الفحم

وظلت المدينة طوال الليل وقطة لا تعرف النوم وقوات المقاومة تحاول نصبة كل ما تبقى من أثر للإسرائيليين فيما الكل يتوقع أن تشهد المدينة مع صباح يوم ٢٥ من أكتوبر محارلة لقحام جديدة وحدث ملكي متوقفاً فما لي فبلج بور فصباح حتى كانت طائرات القاذوم والمرواح تغطي سماء المدينة وتصف كل ركن فيها وكان ذلك الفصل إنداء لأهل السويس لكي يستعدوا للصوم القادم فداناً يمهّد الإسرائيليون لهجومهم الأرضي بقصف جوي عنيف.

ولم تضر سوى ساعتين وفي الساعة صباحاً بالتحديد كان الإسرائيليون قد تمكنوا في محاولتهم الجديدة صوب مبنى شركة السويس لتصنيع البترول والتي بعد عن المدينة حوالي ٥ كيلو مترات واحتلوا مبنها وأجبروا مديرها على الاتصال بمحاظطة السويس للإبلاغ عن سقوط الشركة في أيديهم... ثم ما لبثوا أن أجبروه مرة أخرى على الاتصال بغرفة عمليات المحافظة لينقل للمحافظ إنداءاً بتكون من نقطتين

(١) إعلان انسحاب المدينة في مدة لا تتجاوز نصف ساعة تنتهي في الساعة صباحاً على أن يحضر المحافظ على رأس جميع المواطنين الموجودين داخل المدينة.

(٢) إنه في حالة عدم الاستجابة للإنداء، فإن القوات الإسرائيلية ستقوم بهدم المدينة على من فيها بواسطة الطائرات المدفوعة.

وكرر الإسرائيليون بلاغ الإنداء أكثر من مرة ولم يكن هناك من رد سوى أن البحث مستمر عن المحافظ بينما كانت هناك محاولات شتى لإجراء اتصال هوري مع القاهرة وبلاغها بما يجري وإزاء تعثر الاتصال بالقاهرة بدأ المحافظ مشاورات مع عدد من مساعديه وقيادات المقاومة الشعبية وكان هناك إصراع على رخص الإنداء الإسرائيلي جملة وتفصيلاً

وقبل موعد انتهاء الإنذار بحصص دقائق نجيب محاولة الاتصال بالقاهرة
وعبر اللاسلكي شرح المحافظ للقاهرة كل تفاصيل الموقف والظروف التي نجيب
بالمدينة
وكل رأى القاهرة على رأى شعب السويس تضافاً. رخص الإنذار شكلاً وموضوعاً
والمقاومة إلى آخر مدى.
ومع انتهاء الاتصال بالقاهرة جاء على الهاتف صوت القائد الإسرائيلي مجدده
الإنذار مشيراً إلى انتهاء المهلة المحددة .
وكل الرد هذه المرة مختلفاً عن المرات السابقة كتباً برخص الإنذار ولكم أن
تتصوروا كما نشأوا.

وإزاء هذا الموقف لجأ الإسرائيليون إلى خدعة خبيثة لصرب روح الوحدة
والتضامن داخل المدينة إذ بدأوا يبيعون بمكرات الصوت المركبة فوق دباباتهم أنباء
مختلفة وكذابة تتحدث عن مفاوضات جارية لتسليم المدينة بجرورها المحافظ مع القيادة
وبدأت سيارات المحافظة تنبع بمكرات الصوت بدلاً باسم المحافظ يؤكد فيه تصميم
السويس على التصمود ورفض الإنذار القوي.

وسط جو من التناقض والترقب لما سيقدم عليه الإسرائيليون عاثت المدينة لحظفت
لأسية لم يندد سوى أبرز الطائرات التي بدأت تعطي سماء المدينة دون أن تقصفها.
ومر اليوم وحل السماء دون أية محاولة من جانب الإسرائيليون لتتفقد بذارهم،
ولكن أحداً لم يصدق أنهم قد تراجعوا عن منظم فقد كل الكتل في السويس. يوقع
معمودة الهجوم

ومع أول ضوء من صباح ٢٦ من أكتوبر بدأت القصف الإسرائيلي لصفها ضيقاً
ومركزاً على المدينة من كل الاتجاهات ثم أعقب ذلك عليه لم هاب نفسي جديده
بتحليق الطائرات دون أن تقصف شيئاً وحدث مظلة الإرهاب بدفء محاولة جديده
للمعركة القصف الإسرائيليون مقر شركة النصر للبتروك التي تبعد حوالي ٤ كيلو مترات

عن المدينة وأجبروا العاملين على ركوب السيارات المدنية الخاصة بالشركة ونصروا بهم إلى معصرة قول لإسرائيل مدرع أحد طريقه محووب المدينة. (وككل معنى نصدي دفاعات السويس لمحاولة الفوز تحرير من الموظفين المصريين المدنيين للموب كب كن تركهم يدخلون المدينة بحى سوطها فى أيديهم وصياح كل التحصينات التي بدلت لبحرين الصمود).

وبدأ الحيرة مسيطرة على قوات المقلومة الشعبية بق جرس النابض في عرفة عمليات المحافظة وفي كلمات مربعة ومقتضية قال مدير شركة فصر للبترول في الإسرنيلين أنفروا موظفي الشركة من السيارات وأركبهم سيارة أخرى توجهت إلى الأدبية وأن سيارات الشركة التي تقدم القول المدرع خالصة تماماً من الركاب وستأثرها ممدية وأنها جزء من خدعة جديدة لاحتكام السويس.

ولقربت للدبابات الإسرائيلية من مدخل المدينة على ثلاثة محاور : الفتحت لبران الجحيم من كل اتجاه وأثر الإسرنيلين السلامة وأرشدوا مسجون.

وفي اليوم الثاني ٢٧ من أكتوبر كرر الإسرنيلين محاولتهم باستخدام مجموعة من الفلاحين الذين ألقى القمص عليهم في القرى المجاورة ولجبروهم على اعتلاء سيارة مدرعة في مقدمة قول من الدبابات بينما مكبرات الصوت تنذع أن محافظ السويس قد وقع معهم اتفاقاً وأنه يهيب بالمواطنين عدم المقلومة حرصاً على أرواح الفلاحين.

ومرة لمرى فإن القلعة لم تتحرك على أحد ولم يصدق أهل السويس حكاية الاتفاق المزعوم، ومع قول طلبة مباشرة من مواقع "الأر بي جى" تنطعت قنبرون في مقدمة القول المدرع. وفكر سابق سيارات المدرعة هارياً وأرغمت بقية القول للتعطى منسحبة ولم يبق في ساحة المعركة عند مدخل المدينة سوى دبابة إسرائيلىه مشدطة وعربة مدرعة إسرائيلىه بلا سابق وعليها الفلاحون الأسرى الذين زن عليهم قصمت فترة ثم ما لبثوا أن فجبروا صالحيين وهم يخطون أول خطوة نحو المدينة عرنتين. أيديوب السويس بليوت مدونتي لمشهد تحكك وقشيش إقت وايوت السويس.

ولخيراً فى ختام هذا الفصل لابد من كلمة .

نعم حدثت ثورة.. تسال منها العدو ولكن هل هذا يعني أن هذا العمل كان معجزة
لغريدا من ناحية التوقيت أو المكان أو شكل العملية نفسها؟

بالطبع لا . فلم يكن في المغامرة الإسرائيلية أية معجزة لنا. كل ذلك لعمالة وازد
في تخطيطنا وتقدريما لاحتمالات رد فعل الإسرائيليين على عملياتنا . ومن ثم كن
هناك تبيه متدد على منطقة الفصل بين الجيشين الثاني والثالث . عبرها نعلم
صعب وخصصنا قوات لتأمين الجانب الأيمن للجيش الثاني والجانب الأيسر للجيش
الثالث بحيث نستطيع التبرأ أن تصل في الوقت المناسب إذا حدث اختراق

كان من المحتمل أن نغطي كل شيء من الأرض على امتداد المواجهة وبؤسها
بقوات عسكرية وفك أننا المناطق الصعبة للحماية من الاختراق . أما عن كيف تم
الاختراق فإن الإسرائيليين كانوا يقومون بهجمات مضادة عنيفة حتى يوم ١٣ من
أكتوبر على قوات الجيشين الثاني والثالث وفي يوم ١٤ من أكتوبر قررنا تطوير
الهجوم شرقاً لنحقق هدفين رئيسيين أولهما : تخفيف الضغط على الجبهة السورية
وثانيهما : تحرير مساحات جديدة من الأرض في مجنا.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل كنا مصيبين في قرار التطوير ذاته وفي هذا
التوقيت بالذات وهل لهذا القرار علاقة بحدوث الثورة؟

والجواب هو أن التطوير كان ضرورة وكان من المحتمل أن نتوقف وكان لابد
من تنفيذ الخطة الموضوعة من قبله لم يكن مستمراً في بقى قوات في مواقعها
ونتحول من موقف الهجوم إلى موقف الدفاع لأن وقامنا مدافعة فقط ضد هجمات
العدو المضادة كالم ستبح له أن يخرقها من أماكن عديدة لأن هجماته كانت مستمرة
وكن الاخر تق هدفاً ونسجنا من أهداف خطة العدو .

إن الإسرائيليين كانوا يحتفظون بشريط قتالي من الشمال إلى الجنوب يبعد عن
قوتنا ١٥ كيلو متراً ومن مواقعه هذه كل يستطيع تركيز هجمته من أكثر من محور .
ومن ثم كن واجباً أن نواصل تحرير مساحات جديدة من الأرض نقدم فيها لكي

نصل إلى مواقعه وجبره على التهاجر شرق المناطق ومضى ثلث من هجماته المصلدة المسعرة.

أما القول بأن الثورة بدأت مع تطوير الهجوم فذلك قول غير صحيح فالنظير بدأ يوم ١٤ من أكتوبر ولكن القيادة القطرية لجمعية الثورة بدأت في حوالي الساعة العشرة من مساء ١٥ من أكتوبر عندما تمكنت قوة صغيرة لأحد من الوصول إلى غرب القناة في الوقت الذي كلى اللواء سعد مأمون قائد الجيش الثاني ١٣ كرك حوقه بسبب نقله إلى المستشفى منذ صباح يوم ١٤ لإصابته بجولة قلبية ومع أن تسللاً وقع مساء ١٥ من أكتوبر فإن القيادة العامة لم تبلغ إلا صباح ١٦ من أكتوبر ولابد أن نعرف أن ذلك كان أول الأخطاء في عملية الثورة.

وفصلاً عن ذلك فإن البلاغ الثاني وردت للقيادة كفت مضاربة بعضها يتحدث عن تقدم المدرعات الأمر أنه إلى الضمال صوب الإسماعيلية وبعضها يتحدث عن انتشارها السريع في اتجاه الجنوب صوب السويس، وبهذا كلى تقرير القيادة المحلية في قطاع الثورة أنها عملية محدودة يمكن القضاء عليها بسرعة كلى الواقع غير ذلك تماماً.

لقد رأت القيادة العامة في الأمر لا يمكن تركه للقيادة المحلي ولأنه يجب أن يعالج على مستوى القيادة العامة لأن الهجوم على القوات المسلحة بالقوات الاحتياطية غرب القناة لم يكن كافياً، ومن ثم صدر قرار القيادة العامة بوقف العمل بقوات صغيرة وصدرت الأوامر باستخدام لواء كامل من المدرعات مدعماً بمشدد من نيران المدفعية وبمعاونه فعالة من الطائرات ولكن مقاومتها لم تنجح لأن ضلالت العدو وسعت نطاق انتشارها في المناطق الجبلية والمناطق الكثيفة بالأشجار التي سمحت لها نوعاً من الحماية والنموه الطبيعي.

لقد كانت قواتاً بسيطة واستشهد أبطال عظيم خلال عملية الهجوم على قوات الثورة التي بدأت يوم ١٧ من أكتوبر والتي كفت تستهدف أساساً حصار الثورة في أقصى مساحة من الأرض غرب القناة والإمراع يتغيرها وفي نفس الوقت تشديد الهجوم

شرق الغد لإغلاق مخد الثغرة وذلك بأن يهاجم الجيش الثاني جنوباً ويهاجم الجيش الثالث شمالاً لصد الثغرة وقطع خطوط الإمداد وعمل مصيدة للمتطولين غرب الغد ولم يكن ذلك مجرد تحطيط على الورق وإنما جرى تنفيذه فعلاً بعد تقدم قوات الجيش الثاني جنوباً وتقدمت قوات الجيش الثالث شمالاً وصدقا المسافة بينهم إلى مايقرب من ٤ كيلو مترات فقط وأصبح إغلاق الثغرة وشيكاً وجرى قال رهيب استجبت به كافة أنواع الأسلحة وخسر الإسرائيليون أكبر خسائرهم في الحرب في هذه المعارك ونكهم استطاعوا مواصلة التسلل غرباً وريادة حجم قوات الثغرة إلى المنطقة الجبلية غرب القضا وبدأ الإسرائيليون محاولتيهما الفاشلتين صد الإسماعيلية والموسى الثاني سمعتا بمساندة فائقة.

ربنى سؤالهم هل كان بإمكان الإسرائيليون بعد تسللهم وخرقهم لوقف إطلاق النار بعد ٢٢ من أكتوبر وإغلاق طريق (القاهرة - السويس) أن يدمروا قوات الجيش الثالث شرقى القناة.

والجواب : بانقطع لا - لأن قوات الجيش الثالث في هذا الوقت كانت تتكون من فرقتي مضادة مدعمتين بالمدممة ولديها تمويح عسكري يكفى للقتال عدة أسابيع ويبقى أن نعرف بأن هذه الثغرة تعتبر نجاحاً تكتيكياً للإسرائيليين ولكن لا ينبغي أن ننسى إلى جانب ذلك أن الموقف الاستراتيجي العام للقوات الإسرائيلية كس يواجه الفضل الكامل . أى أن هذا النجاح التكتيكي لم ينفذ الفضل الكامل . أى أن هذا النجاح التكتيكي لم ينفذ الفضل الاستراتيجي المعنى في الوقت الذي كل هناك نجاح استراتيجي كامل لمصر لا يمكن أن يقال منه خطأ تكتيكي قد تكون وقعا فيه خلال عملية مقبولة للثغرة.

إن إيقاف إطلاق النار بصورة هطية لم يتم إلا بعد ظهر يوم ٢٨ من أكتوبر بعد وصول قوات الأمم المتحدة إلى مواقعها بين الجانبين، ولكن احتكراً من يوم ٢١ من

لكنهم بدأوا قواتنا المسلحة بتعدد خطة عمل كاملة لحرب المستعرة، والإعاجاج ضد
الإسرائيليين شرق وغرب القناة.

وكان هدف الاستعرة والإعاجاج عدم السماح للإسرائيليين بـ"تتمركز ونشيط
أوضاعهم في المناطق التي سقطوا إليها.. فضلاً عن أن ذلك كل بمشكلة تهيئة المدخ
بهجوم شامل للصيغة الفعالة وفق خطة جرى وضعها وصنق عليها المبادئ بحيث اسم
"خطة شامل" يوم ٢٤ من ديسمبر.

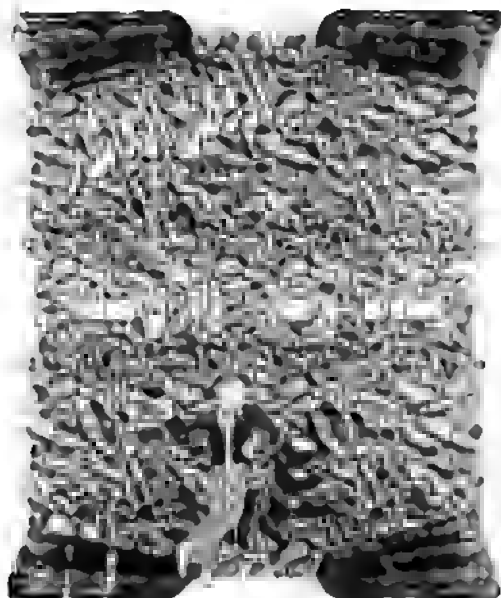
كان للخطة فوات جاهزة بقيادة مسئلة تولاها اللواء سعد مأمون الذي كان قد عين
مساعدا لوزير الحربية، ولم يكن من حقل دون بدء الهجوم الشامل إلا صبور أقرر
القناة الأعلى للقوات المسلحة لأن الخطة "شامل" تم تنظيمها إلى جميع فحدات القوات
المسلحة قبل تصديق القائد الأعلى عليها وبالتحديد في ٧ من ديسمبر، وبدأ كل في
مواقعهم يتخذ التدابير الكثيرة بشهذه "قوات البرية والجوية والبحرية والدفاع الجوي"
وباطرة سريعة على أوضاع قوات الجيوش في ديسمبر ١٩٧٤ نجد أن كل دبابة
إسرائيلية غرب القناة كلى يقابلها دبابتان مصريتان وطلمتان مضادتان للدبابات.

وكان الإسرائيليون محاصرين من كل جانب وليس لهم سوى منفذ واحد في
الدفرسوار لايزيد عرضه على ٥ كيلو مترات

أي أن الإسرائيليون كانوا يقتدون إلى أسس قواعد القناة على المقنونة والصمود
غرب القناة لالتقدم عليهم "مطلبات الإترال الاستراتيجي" فكل القوات المتشكلة شبه
محصورة والقوات المصرية شرق القناة حارلت متحركة بثبت في مواقعها على
طوب المواجهة وهي تكسب كل يوم أرضاً جديدة وخطوط الإمداد الإسرائيلية طالت
إلى أكثر من ٣٠٠ كيلو متر والممر الوحيد للإمداد أنشبه بنق ضيق ومظلم عرضه ٥
كيلو مترات ومحاصر من الجيوش بقوات الجيشين.

وبهذا لم يكن غريباً أن يتقبل الإسرائيليون اتفاق الفصل الأول للقنوات في يناير
١٩٧٤ بمرعة ونالهم فقد كانوا في مأزق لم يكن بالإمكان خروجهم منه بسلامة بغير
هرى كيسجر ورحلاته المكوكية المتلاحقة بين القاهرة وقل أليب

وإذا كلب المدافع قد سكنت إلا أن أصداء قذائفها ظلت تفرس نفسها على أجواء
 الدبلوماسية التي بدأت تأخذ دورها لكيلا لاستمرروا الحرب ويكسبوا أهدافهم يومئذ
 جديدة بسمد قوة الدفع من أجل حرب لم تكمل مصر من أجل الحرب، وإن جرحاتها
 لكي يبرر الحقوق الضائعة وتحقق السلام المنشود



لا يعتقد أن الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون كان يحير عسره
 للشخصى فقط عندما التقى بعدد من وزراء الخارجية العرب يوم ٧ أكتوبر ١٩٧٣ أى
 بعد يوم واحد من بدء حرب أكتوبر المجيدة، وظهور مؤشرات قوية تؤكد سقوط
 أسطورة التفوق العسكري الإسرائيلي وقوله لهم بالحرف الواحد: "أى ثوابت المندحة
 الأمريكية سوف تساعد إسرائيل علناً وبدون أية محاولة للتستر لأنها ملتزمة بمصالح
 إسرائيل". كان نيكسون يومها ويرغم كراهية اليهود له - يعكس وجهه نظر السياسة
 الأمريكية ونواياها تجاه منطقة الشرق الأوسط.

واليوم عندما تصاب واشنطن بالخرس ولا تصدر عنها كلمة واحدة ضد إرهاب
 الدولة الإسرائيلية الذى بلغ دروته فى محاولة اغتيال أحد رعاة حركة حماس فى
 قلب العاصمة الأردنية "عمان" فإن ذلك يهينى ألا يكون مدعاة للذهشة والاستغراب لأن
 كلفنتون ٩٧ لاهتف على نيكسون ٧٣، وإن أولبرايت ذات الدور اليهودية تؤدى نفس
 دور هنرى كيسنجر اليهودى أصلاً ونمناً .. ثم إن سميت الرئيس الأسبق ليندون
 جونسون الأمريكى القوام تجاه عمليات الاستيطان ومجاولات نفس الانفصاليات
 وضرب الحائط بمقررات الشرعية الدولية

نعم ، ليس هناك جديد.

نعم .. علب أن تعامل مع مايجرى أمام أعيننا على أساس أن أمريكا وإسرائيل
 كيان واحد حتى ساعة تاريخه.

وقد حرر من قاعنى بذلك كتاب صدر فى أمريكا أصحراً تحت عنوان "إسرائيل
 والمصالح الوطنية الأمريكية TIONAL INTEREST ISRAEL THE AMERICAN
 ومزلقه أمريكية من أصل يهودى اسمها تشارلز روبيرج وتسل استند مساعدة بكتابة
 العلوم السياسية بجامعة فلوريدا الدولية فى ميامى. وتعتبر من أبرز المحققين فى
 نمون الشرق الأوسط حيث صدر لها من قبل عدة كتب ودراسات وبحوث قيمة لحل
 أهمها كتاب "معركة التحرير الفلسطينية وفتحها القوية".

وكما نقول تشويريل رويبرج في كتابها، أنها لم تكتب مذكراته إلا بعد دراسة طويلة استندت بها أكثر من عشر سنوات، وأنها بدقتها وهي مقنعة تماماً، مثل معظم الأمريكيين - بل إن القراء الولايات المتحدة بل إن القراء إسرائيل أنهم هو موقف أخلاقي من القوى وأعني دولة في العالم وراء إسرائيل الصغيرة المساعدة للمحاطة بوجود كاسره مصممه على إبقائها في البحر وإزاء الشعب اليهودي الذي قسسى من أهوال الهولوكست وأقرى القتل على يد هتلر ورفيقته.

ثم تستورد المواجهة قلقة - أنها بعد أن أبحرت في دراستها ونعمت في أغوار المشكلة وسافرت بنصها إلى معظم دول المنطقة - بما فيها إسرائيل - والتقت بالعديد من الشخصيات المسلوكة ثم عادت إلى واشنطن لتتلقى بأعضاء الكونجرس ومسؤولي البيت الأبيض، خلصت إلى عدة حقائق هامة هي :

١) أن الذخيرة الصهيونية جمعت على امتداد ٥٠ عاماً منضلة وبواسطة هذه كثر من الإعلام الموجه للرأي العام الأمريكي تحديداً في أن ترفض مفهومها بالصلب تماماً بحقيقة النزاع العربي الإسرائيلي، إلى حد أن المواطن الأمريكي بات يعلم بصحة هذا المفهوم "الخاطئ" دون تفكير أو تمحيص.

٢) أن خلاصة أبحاثها المحددة في أصناف المشكلة، قد أكد لها أن إسرائيل لا تشكل فقط خطراً على جيرانها، بل أن خطرها الأكبر على الولايات المتحدة ذاتها!

٣) أن الصورة الخائفة لدى الرأي العام الأمريكي حول الشرق الأوسط وسابغى به من ذرائع ليست إلا رعباً مضللاً

ومن الأسف - كما نقول تشويريل رويبرج - فإن هذه الحقائق التي استخلصها ما زالت تُمثل - إلى اليوم - جدار وهم الذي يحكم توجهات السياسة الأمريكية بالشرق الأوسط في شغل الجواز أعني لا يرى إلا ما تبصره عين إسرائيل فقط.

والحقيقة أن هذا الكتفب يمثل استثناء لما يصدر في أمريكا من كتب ودراسات
تتصر دائماً لإسرائيل - بالحق والباطل - وقد يكون ذلك وراء عدم الاهتمام بنشره في
كبريات الصحف الأمريكية، كما يحدث لعدد من الكتب التي نقل أصوة عنه.

وقول مؤلفه للكتفب في الفصل الأول: في أمريكا كانت تتعاطف مع إسرائيل سراً
وعلى استحياء في السنوات الأولى لقيام للدولة العبرية ولكن الأمر بدأ يتغير مع بداية
الستينات.

عندما ساد الأمريكية الفهم بأن الرئيس المصري جمال عبدالناصر ثنائي في مناطحته
لأهداف وترجمات السياسة الأمريكية في المنطقة بدءاً من تنبيهه لإنشاء حركة عدم
الانحياز مع ستيفه جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند، وجوريف برور رئيس
جمهورية يوجوسلافيا الاتحادية، ومرواً بإلقاء حركة القومية العربية وبسقاط حلب
بغداد، ومشروع إبراهيم لعل الفراع في الشرق الأوسط ويوصل إلى لخط الأحمر
المحظور وتجاوزة بإعلان القرارات الاستراتيجية والدعوة لتسميتها في كل دول
المنطقة، ولتعداد الفراع العسكرية المصرية خارج الحدود في اليمن والجزائر
والكويت.

ومن سوء حظ مصر والعالم العربي، ومن حسن حظ إسرائيل، أن ذروة الضغط
الأمريكي تجاه سياسات عبدالناصر قد جاء فيان فترة رئاسة الرئيس الأمريكي ليندون
جونسون، الذي كان يعاقب لكتفباً شديداً بسبب عجزه عن الخروج من ورطة الحرب
في فيتنام، ونصاعده غضب الرأي العام الأمريكي ضده نتيجة تصاعده الفسائل
الأمريكية هناك.

وطبقاً لما ورد في كتاب إسرائيل والفسلح الوطنية للولايات المتحدة الأمريكية،
يقول المؤلف أن الأحياء اليهوديين والفكر ويوجين ويستو الذين كانوا في فترات الحرب
للمستشارين في عقل وقلب جونسون حساً في أنه بأنه بالإمكان سحب اهتمام للرأي
العام الأمريكي بعيداً عن فيتنام ليس الوقت حتى تتحسن الأحوال - عن طريق

يمكن إسرائيل من إلحاق هزيمة مريعة وسلطة بجمال عبدالناصر بتوفير الأسلحة والمعدات اللازمة لذلك، وإعطاء إسرائيل الضوء الأخضر للصريح بشأن العدوان وتستشهد المؤلفة في كتابها على صحة ذلك القريب التلميح بما أجمته بالدور المحدد الذي لعبه به إدارة الرئيس جونسون عقب نجاح الصربية الإسرائيلية في يونيو ١٩٦٧ ومعارضتها للتشديد والواسطة في مجلس الأمن للدعوى إلى انسحاب القوات الإسرائيلية إلى مواقعها قبل ٥ من يونيو ١٩٦٧ كما قلبي بذلك الأمراف الدولية، وعلى نحو مماثل تملأ لوقف الرئيس الأمريكي الأسبق ديفيد إيريهاور من العدوان الخلالى على مصر في أكتوبر ١٩٥٦ وإسراوله على ضرورة انسحاب القوات الفرنسية والبريطانية والإسرائيلية فوراً.

ثم كانت الكثرة بالهبة للعرب، عندما جاء الرئيس ديكسون إلى الحكم ولقى معه بهنرى كيسنجر حيث تصاعد الاهتمام الأصمى الأمريكى لإسرائيل وبلغ ذروته على أساس قاعدتين متناقضتين هما:

(١) لفتاح الإدارة الأمريكية بأن إسرائيل هي لادتها القوية لتأكيد ظفود الأمريكى وعناية المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط.

(٢) موصلة العمل على لفتاح الرأى العام الأمريكى بأن إسرائيل دولة صغيرة وضعيفة ومستهذفة وأن العرب يريدون إقامتها في البحر.

و الكتاب يتناول جوانب كثيرة ومهمة من جوانب الصراع العربى - الإسرائيلى ويعطى اهتماماً خاصاً للفترة ما بين يونيو ١٩٦٧ وأكتوبر ١٩٧٣ ومحاولات أمريك تجريد الموقف وإبقاء الحال على ما هو عليه بوسقل شتى . وكذلك يعطى الكتاب اهتماماً بمقدمات معانقت كاسب ديفيد وما بعدها وكيف كان الأمريكيون والإسرائيليون يحرصون أن كاسب ديفيد يمكن أن تكون بداية لتسلاخ مصر عن أمتها العربية وإزالتها لكامل في أحضان المحاسة الأمريكية.

ولكن الذي يهمني ان أركز عليه الجزء الخالص بحرب أكتوبر وشهادة الكتاب عن هذه الحرب كل حرب أكتوبر قد أسقطت كل الصائفت الأمريكية والإسرائيلية

ونبدأ تشيريل ووينج شهادتها عن حرب أكتوبر بقولها "إنه مهما اختلفت الأولويات حول مدى النصر الذي حققته العرب في أكتوبر ٧٣، فإن أحدًا لا يجادل في حققتين لا تقل إحداهما أهمية عن الأخرى، وكل منهما أثرت هائل فيما جرى بعد ذلك من أحداث هائلة بالمنطقة .. وعائلتي الحقيقتان هما:

١) سقوط نظرية الأمن الإسرائيلية التي كانت تقوم على أساس لوجم التخلف الأبدي للعرب، والجيش الإسرائيلي الذي لا يتغير والخطوط الدفاعية السامية التي لا يجرى أي هائل على التفكير في فتحها.. وأن كل هذه الأوهام قد هددت تحت أقدام الجنود المصريين وهم يكتمعون خط بارليف بكل حمونه الأسطورية في بضع ساعات لتنتهي تحت أقدامهم وإلى الأبد تلك الأوهام التي صوّرت للإسرائيليين إمكانية العيش بسلام مع استمرار احتلال الأراضي العربية.

٢) أن نجاح العرب في استخدام سلاح البترول لأول مرة كان له نفس تأثير الانتصار العسكري، لأنه نقل القزاع العربي - الإسرائيلي من مجرد مشكلة إقليمية إلى مشكلة دولية لا تتم أمريكا وحدها، وإنما لهم أيضاً أوروبا واليابان وسائر الدول المستهدكة للبترول في العالم.

ولأول مرة - كما تقول المؤلفة في كتابها - أصبح القاموس الأساسي لأمريكا هو البترول دون نجد القتال مرة أخرى، والإلحاح على عقد اتفاقيات للحد من الاحتياك على عكس ما كان عليه عقب حرب ١٩٦٧ عندما كانت السياسة الأمريكية استناداً إلى الانتصار الإسرائيلي تسمم أذنها عن أية تدابير السلام وتتحرك فقط في اتجاه تدعيم الصكر والاقصمالي المطلق لإسرائيل.

وتتحدث المؤلفة عن محطات القطار ولجهاز التوشرة والإعاقة وشبكات السور ليخ التي تكلفت على إسرائيل ما بين يونيو ٦٧ وأكتوبر ٧٣ بهدف استمرار

صمم القنصل العسكري لإسرائيل تحت وهم كاذب بأن ذلك القنصل كاذب يمنع شرب
الغزال على نطاق واسع مرة أخرى.

وتشير المواقف إلى إيمان واتصال لجهود المبعوث القنصلي جومار يلزج وتجميعه
للمحادثات الثنائية والمحادثات الرباعية آنذاك، لكي تنتقل إلى العرب وسطه معانده أنه
لا إمكانية للحرب ولا أمل في أية جهود دولية بشأن التسوية وأن السبيل الوحيد هو
الركوع أمام أمريكا والقبول بالضرورة الإسرائيلية.

وحتى عندما تمتد الرئيس السادات قراره بطرد الخبراء الروس من الجيش
المصري عام ١٩٧٢ لم تلق هذه الخطوة أي اهتمام من إدارة نيكسون وكيسنجر في
ذلك الوقت. وبو لمرج الإبقاء بأن هذه تعتبر خطوة مشجعة للبحث عن طريق لتسوية
للنزاع العربي الإسرائيلي.

ثم جاءت صفقة الوفاق بين القوتين العظميين في قمة نيكسون وبريجنيت الشهيرة
عام ١٩٧٢ لتعطي الفصل الأوسع ملامحة لإسرائيل وأمريكا معاً، وهو ما عبرت عنه
جولدا مائير. رئيسة وزراء إسرائيل آنذاك بقولها الذي أوردته هدى كيسنجر في
مذكراته "إن لم تكن في يوم من الأيام أعسى حالاً مما نحن الآن، فالوضع القائم هو
كثير الأوضاع ملامحة لأمر إسرائيل، لأن العرب لا يملكون الخيار العسكري".

وفجأة كما نقول مؤلفة كتاب "إسرائيل والمصالح الوطنية الأمريكية" - التلاعب
حرب أكتوبر وكنت مفاجئة حقيقة للإسرائيليين والأمريكيين معاً.

وأدركت كل من واشنطن ونيكسون أن الهزيمة قد لحقت بإسرائيل منذ اليوم الأول
لشروع الحرب.

ويعمل الكتاب فيه في اليوم التالي للحرب مباشرة ٧ أكتوبر * فمصدر كيسنجر
معلوماته لورير الدفاع جيمس شلر جرجر بأن يتخذ الترتيبات اللازمة لكي تقوم طائرات
العمل الإسرائيلية بشحن آلاف الأطنان من الحطائر والأسلحة الإلكترونية المتقدمة بم

في ذلك صولريخ "سيد وينتر" من القواعد البحرية الأمريكية في ولاية مارجيب وبدأ
البحر الجوي الأمريكي بالقتال قبل فجر يوم ٧ أكتوبر .

وعلا على وقع الروح المعنوية للإمبراطورين الذين كانوا قد أصبحوا بالدور والتهلح
وقب الرئيس الأمريكي ميكسون في ساحة البيت الأبيض ليعلن بنفسه يوم ٦ من أكتوبر
الترام وتشمل بالاسمجة إلى كل طليحت إسرائيل من الأسلحة بما فيها للطائرات
والطائرات والدخائر والصواريخ والقتال الموجهة بأشعة الليزر والذبل "سمارت" . كما
أعلن ميكسون أن أمريكا ستستخدم طائرات لصلاح الجوي الأمريكي لنقل المعدات إذا
لم تكف الطائرات التجارية لهذه المهمة.

وهكذا - كما تقول المؤلفة - أخذت الأسلحة والمعدات والأجهزة المتقدمة تتدفق على
إسرائيل بعد أن انفتحت لها كل أبواب مخازن البنتاجون بل إن بعض هذه الأسلحة
شحن إلى إسرائيل قبل أن تدخل في حصة الجيش الأمريكي.. غير أن هذا البحر
الجوي تلقى دفعة هائلة ابتداء من يوم ١٤ أكتوبر وحتى يوم ١٥ من نوفمبر - أي لمدة
شهر كامل - حيث قاست الطائرات الأمريكية بـ ٥٧٨ رحلة إلى إسرائيل.

وتقول المؤلفة في كتابها شهادة مهمة لجيمس بوبس مساعد وزير الدفاع الأمريكي
لأنه الأمن الدولي يقول فيها "إن الولايات المتحدة اضطرت لدرع سلاح صدرات
لوحداث القتالية في داخل أمريكا وفي غرب أوروبا لكي تفي بمتطلبات إسرائيل.
وإن كل هذه الأسلحة قد أعطيت لإسرائيل على سبيل قهبة"

وتقول مؤلفة الكتاب عن كيسجر قوله: "في حرب أكتوبر كلفت الولايات المتحدة
٣ مليارات دولار كمخروفات مباشرة من الخزنة الأمريكية وعلى ١٠ إلى ١٥ مليار
غير مباشرة"

ثم قد يكون معبدا أن أختم مقالتي بفترة مهمة وردت في ختام هذا الكتاب الرائع،
الذي يدور لي مصدر مثله في أمريكا ويظم له جذور يهودية، حيث يقول تشيريل
روبنبرج بالحرف الواحد مايلي:

بم والقبح الأمر يشهد بأن تفوق القوى الصهيونية في صياغة وتعبير السياسة الأمريكية بالشرق الأوسط قد أصبح يفتقر وكأنه قهضة تستك بضائق الإلزام الأمريكيه، فلم تعد المسألة مجرد الاعتقاد الخاطئ بأن إسرائيل تمثل رصيداً ينجيب للمصالح الأمريكية .. ولكن المشكلة أن القوى اليهودية فاعر على الاحتفاظ بهذا الاعتقاد الوهمي وتحويله إلى حقيقة غير قليلة المتناقضة مهما كلف الصبر لدى يمينيه للمصالح الحقيقية لأمريكا.

ونصف في ختام كتابها قلقة: أنه إذا كان العالم العربي يبدو الآن ضعيفاً ومنقسماً ومشتتاً وغير قادر على تحدي الهيمنة الإسرائيلية، فإن من الخطأ الفادح أن يتصور أن هذا الوضع لن يتغير .. فالناريخ عبارة عن مراحل متتالية من الصمود والهبوط، والقرب الدول والسرعة إلى الهبوط هي القولة التي تفرض سلطانها على غير شعوبها ولا ينبغي نفاق أن يتصور أن ٢٠٠ مليون عربي معطلون مستسلمين لإرادة أربعة ملايين ملأين إسرائيليين حتى لو كان هؤلاء مستودين في ظل الولايات المتحدة الأمريكية.

فلتكن امرأة يهودية ليست مقيمة ولا من حاربات الودع، ولكنها أستاذ للعلوم السياسية في واحدة من أعرق الجامعات الأمريكية.

وظني أن كلماتها الأخيرة تستحق التأمل وتستحق المراجعة ١١

وربما يكون ضرورياً ونحن نمتزج بعض تكريات ذلك اليوم المجيد، أن تلقى نظرة على الأوضاع والمعاهيم التي كانت مساندة قبل حدث الجور العظيم. وبالات على امتداد الفترة من ١٠ من يونيو ١٩٦٧ عندما تلكد وقروح القهرية العربية على مختلف جبهات القتال وحتى مساء السادس من أكتوبر ١٩٧٢ عندما تلكد النجاح العربي في إلحاق القهرية الاسرائيلية والفكرية بإسرائيل على الجبهتين المصرية والسورية.

كانت بكسة يونيو ١٩٦٧ قد صنعت قناعاً من الغرور بقضى وجه إسرائيل كلها خاصة ووجوه جرائد المؤسسة العسكرية الذين أصبح في أيديهم كل مفاتيح الحركة والتوجيه للمجتمع الإسرائيلي بأسره.

وكأن هناك بحسب علم سواء داخل إسرائيل أو في معظم الأوساط الدولية بأن إسرائيل تملك تقوياً عسكرياً سلطانياً يمكنها من حسم أي تهديد تتعرض له باستنادا إلى قوة جيشها الذي يحتفظ دائماً بزعام الميقاتة في جبهة، ويقدر على إجهاد أية محاولة لتحدي قوته، وهي صارت في طور الفناء، وأنه حتى إذا نجح العرب في أن يصلحوا المعجزة "الممنوعة" ولي يندحروا الصربية الأولى، قبل إسرائيل تستطيع من ساعات محدودة أن تنقل الحروب إلى أرض خصومها وأن تؤمن سلامة العمق الإسرائيلي من أية مخاطر وأن تحسم الصراع بأسلوب الحرب العاطفة التي نجيدها؟

وكانت حالة الانسحاب واللاحرب قد طالت ولنت إلى فرتقاع جذر الزعم الإسرائيلي بعدم قدرة العرب على تغيير الأمر الواقع وضرورة لخصالهم للشروط الإسرائيلية، وساعد على ذلك أن دعوات الهلث والإحباط قد شملت في معظم العواصم العربية من طول فترة السكون على جبهات القتال.

وكانت معظم الصلوات العلمية والعسكرية تقدر حاجة العرب - خصوصاً مصر - إلى ما يقرب من ٥٠ عاماً على الأقل لتجهيز الاستعدادات اللازمة لعبور قناة السويس كحاجز مالي بالغ الصعوبة، ثم اقتحام خط بارليف الذي يتجاوز في تحصيناته ومداته كل ما عرف من قصور العسكرية الشهيرة في التاريخ الحديث، مثل خط سيجلريد الألماني، وخط ماجينو الفرنسي.

وكانت أجراء الوثائق بين القوتين العظميين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي قد فرضت حالة من الانسحاب على معظم مناطق الصراع في العالم، وبدأ الهمس يتردد خصوصاً في بلدان العالم الثالث، عن تفصيل صفقة فوفان التي بحلى بها الاتحاد السوفيتي عن عدائه مقابل المصالح والمكاسب التي سيحصل عليها من جراء تطبيع علاقته مع أمريكا.

وكان وكان . الكثير والكثير مما أدى في النهاية إلى وصع عشوة على عبور إسرائيل وأصغلتها كانت هي التي صحت جانباً كبيراً مما اصطلاح عليه باسم حطة المداع المعنوي والانسار قيجي لكل من مصر وسوريا على حد سواء، مما أدى إلى تحقيق المعجزة الكاملة لإسرائيل ظهر يوم السادس من أكتوبر على جبهتي ش، السويس وهضبة الجولان.

ومن الإنصاف أن نقول إن الرئيس أنور السادات لعب الدور الأكبر في بدء حطة المداع بتحركه الساكنة في الداخل والخارج، وكانت ثمرات التحرك السياسي والدبلوماسي لمصر على امتداد العالم كله توجد انطباعاتاً للجميع بأن التغيير الوحيد أصمنا هو السلمي والتهنئة وراء حل سلمي، وإلى احتمالات إقدام مصر على شن حرب ضد إسرائيل لاستعادة أراضيها احتمالات صعبة وفي الأغلب فإنها احتمالات مستحيلة !

صيغة أساسية هي الإلحاح على طلب المساعدة وبذل الجهد المستطاع للتوصل إلى حل سلمي مشرع يؤول أفكار عدواني يونيو ١٩٦٧.

ثم جاءت جولة السادات "العربية" السريعة والمفاجئة في أغسطس ١٩٧٣ أي قبل موعد بدء الحرب بأسابيع قليلة لتكتمل منظومة المداع الاستراتيجي والتكتيكي للرائعة حيث قبل وقتها في زيارة الرئيس السادات لكل من السعودية وقطر كاتب من أجل طلب المساعدة والدعم لإنقاذ الاقتصاد المصري الذي وصل إلى قرب درجة الصفر، وإن تواقه في تحقيق لم يكن يستهدف سوى تقاع الزعالي على الحل السلمي فقط واستبعد الحل العسكري في ضوء ما تفرزته مأساة الوفاق بين القوتين العظميين من اختلالات خطيرة في موازين القوى المسلحة إسرائيل التي تغطي بدعم أمر يكي مطلق.

وعند حانت ساعة الصفر يوم ٦ من أكتوبر ١٩٧٣ ألقى العالم كله على واقع معابر لما كان في مخيله الجميع وتطورهم، فقد اتضح أن التحرك السياسي المصري

لوسيع لم يكن سوى ستار لحصل عسكري صمم يتم تحت القمى ترجفت السرية
والانصباط

وهي التفسير الذى أحتته اللجنة العسكرية بالكومبرس الأمريكى غيب ريريه
لواقع القتال على الجبهة المصرية فى نوفمبر ١٩٧٣ بعد إعلان وقف إطلاق النار
مايمكن اعتباره شهادة محايدة لهذه الحرب المجيدة من شهود يتفخر معظمهم بانهم من
مؤيدى إسرائيل.

يقول تقرير الكومبرس الأمريكى باللى

(١) إنه بالإضافة إلى عمليات العبور التى تعد فى حد ذاتها مظهراً مكثفاً لنفس القدرة
القتالية المصرية، فإن عملية التمويه والحداع التى صاحبت الاستعداد المصرى
للقنات والقدرة على كتملى هذه الاستعدادات لمدة طويلة من الزمن وبغفائها عن
أعين الإسرائيليين، هى التى تعتبر من وجهة نظر اللجنة موضوع اهتمام كبير

(٢) من العسكريين المصريين الذين تم الالتقاء بهم فى مسرح العمليات لم يدخلوا مع
أعضاء لجنة الكومبرس فى تفاصيل خطة الحداع التى لجئوا إليها للتمويه على
استعداداتهم لنش الحرب، بينما كان الحصى والغمر والإحساس بالمهد هو الذى
يحركهم طول هذه المدة

(٣) إنه من المؤكد أن المصادر العسكرية الإسرائيلية تنبّهت إلى وجود تحركات
عسكرية مصرية كبيرة على امتداد قناة السويس وفى أقصى الغربى منها، ولكن
تقدير الإسرائيليين للموقف انحصر فى الفراض أنها مجرد مناورات تدريبية
عادية مثل تلك المداورات التى تقدمت مصر على إسرائيل مراراً من قبل، وأنه
فى ظل هذا التقدير الإسرائيلى الخاطئ للموقف نجح المصريون فى تحريك
أعدائنا كبيرة من قواتهم ودباباتهم ومدافعهم ومخفقتهم القليلة إلى غرب حافة القناة

(٤) إن من أهم العوامل التى ساعدت على نجاح خطة الحداع المصرية وبالتالي نجاح
عملية عبور تلك السواتر الرملية التى شيدتها الجيوش المصرية على امتداد

الصفة العربية لقناة السويس والتي حقلت ههين مزدوجين. أولهما مراقبة
الحركات الإسرائيلية وقطاع القبول على امتداد الضفة الشرقية للقناة. وثانيهما
وهو الأهم تنفيذية حركات الأفراد والمعدات، فضلاً أن هذه السوتر صممت
بحيث تتخللها فتحات محصنة تم استغلالها كقناة للعبور ومزاغل لإطلاق نيران
المدفعية الثقيلة.

(٥) إن الإسرائيليين أعطوا عدد بناتية للعرب أن المصريين قاموا بإسقاط الحديد من الكوماندوز
رواء للخطر الإسرائيلي في عيني سيناء واعترف الإسرائيليون بحيرتهم في تفسير هذا
الإجراء حيث أن هذا الانزال لم يسطر في ربط مع أية قوات مصرية أخرى، ولم يبدل
أية جهود لقطعية، إلا أن العسكريين المصريين الذين التقوا بهم والتقت بهم
أشاروا إلى أن هذا الإنزال كل جزأ من خطة الإسرائيليين من كل الاتجاهات
وإرباك خطوطهم وعدم تمكنهم من معرفة وتحديد من أي الاتجاهات ستأتي
الضربة الأكبر.

(٦) في درجة الاستعداد المصرية على امتداد جبهة القناة لا توصف وإلى لجنة
الكوماندوز شامت على امتداد المسافة بين القاهرة وقناة السويس موالع لا حصر
لها من الصواريخ والبنات والمعدات وغيرها من الأغراض العسكرية. ولم يكن
هناك كيلو متراً واحداً بين القاهرة والقناة لم يتم تهيئته وتحصينه.

(٧) في المصريين والقوى من في الوقت في مصطنعهم وإلى إسرائيل نواجه موقفاً
صعباً لأن خطة لاحتلالها للإبقاء على قواتها المسلحة في حالة تعبئة كاملة بطلاقة
محدودة. حيث في معظم هذه القوات من رجال الاحتياط الذين تؤدي فترة
استعدادهم إلى نيل حركة العمل والانتاج في إسرائيل.

(٨) في الإحساس بالخطر العربي بالإنجاز الذي تم في الساعات من أكتوبر كبير،
وظاهرة لا يمكن لأي قطر مصري أن يتجاهلها وإلى القناة للعرب يشعرون بأن
قواتهم المسلحة قد استغللت قوتها بنفسها وفيه لم يكن من الممكن للعرب أن

يذهبوا إلى أي مؤتمر للسلام دون أن يشعروا بل أن قوتهم المسلحة قد ساعدتهم
سرفها في ساحة القتال.

(٩) في المصيريين يشعرون بفقر شديد لجناحهم في الحصول على الكثير من المعدن
لجربيه الأمريكية التي كانت بحوزة الإسرائيليين وإلى أعضاء الكونجرس مثلاً،
باعتهم الدبابل والمعدات الأمريكية معروضة في الحدائق والميادين تمهيداً لنقلها
إلى مصر من داعم للحرب.

(١٠) إلى لجنة الكونجرس لم تجد أي دليل يثبت صحة مزاعم الإسرائيليين عن وجود
أقوات أو خبراء سوفيت شاركوا المصريين في شن الحرب.

وقبل أن نذهب شمس الساعات من أكتوبر وقبل أن يخيم الظلام كانت قد تحققت
خلال ساعات قليلة حقائق جديدة على أرض الواقع تؤكد بما لا يدع مجالاً لأي شك في
للخريطة السياسية للمنطقة نتجه نحو التغيير في لم نكن قد تغيرت بالفعل !

كانت صيحات الفرور والظفرسة الإسرائيلية وهي ليست بعيدة عن بعض ما يصدر
الآن في إسرائيل - قبل غيرهم - في جنرالات المؤسسة العسكرية كانوا يبيعون لهم
الوهم، وأن ما ألقته الجنرال حاييم هيرتزوج المتحدث العسكري في اللحظة الأولى
لبدء الحرب من أن القوات المصرية منصرف محلي للهلاك والتدمير الكامل لم يكن
سوى هراء ساذج للحفاظ على قناع الفرور الكاذب لجنرالات المؤسسة العسكرية.

وسقطت مع سقوط خط بارليف أسطورة الجنرال موشي ديان الذي كان يؤكد أن
خط بارليف خط منيع يستحيل اختراقه، وأن إمبراقيل تلك القوة التي تمكنها من
الاحتفاظ به إلى الأبد وأنه إذا حاول المصريون عبور قناة السويس على قوتهم
ستحول إلى رماد وأن جيشهم سيواجه كارثة محققة.

وسلطت القوات المسلحة المصرية يدقة التخطيط وجسارة التفيد وروح القتال
المطيمة أن نكتسب احتراماً غير مسبوق ليس فقط العسكرية المصرية. ولما للإنسان
العربي

و عدد الاهتمام بقضية الشرق الأوسط وضرورة التحرك الدولي لطلب و منع كمين
تفجيرا ها مرة أخرى يفرض نفسه على جميع المحافل والمواضع الدولية
و استعانت مصر بحجمها الطبيعي مثلما استعانت الأمة العربية وكثير وحيتها ككوه
العلمية بشار إليها بالاحترام والتقدير

ولكن من الضروري أن نقول أن جذور يوم السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ م
تبت فجأة في هذا اليوم ولا يقوله بأيام وشهور فقط.

إن التاريخ الصحيح لمولد ونبات جذور هذا اليوم المجيد، تعود إلى ما قبل ذلك
بأكثر من ٦ سنوات. إلى يوم ١١ من يونيو ١٩٦٧ يوم بدء إعادة تنظيم وبناء القوات
المسلحة المصرية على أسس جديدة في ضوء الدروس المستفادة من كسة وهزيمة
يونيو ١٩٦٧.

لا بد أن يقال عدلاً وبصافاً في السادس من أكتوبر صحته ملحمة جيش وشعب
لتفكدا قرار رفض الهزيمة رغم مرورتها. وكان ذلك هو بداية الطريق للوصول في
النهاية إلى قرار الحرب وقبول التحدي.

لا بد أن يشار وبوضوح إلى أن يوم السادس من أكتوبر هو الابس الأكبر لمعركة
حرب الاستنزاف التي بدأت بمعركة رأس العشي في يوليو ٦٧ ثم توالى بعد ذلك
معارك جديدة بينها معركة إسقاط وإغراق العمرة الإسرائيلية لثلاث في أكتوبر عام
١٩٦٧ ثم هدير المنغمية الثقيلة المتصل على امتداد جبهة القناة على ٦٨، ٦٩ ثم
عمليات العبور المحدودة إلى الشاطئ الشرقي والعودة بالأسرى الإسرائيليين خصوصا
في يوم السبت العشرين. ثم الضربة الكبرى في أسبوع تسقط طائرات العموم
بصواريخ سام ٣ على ١٦٧٠ ومجاح مصر في تحريك حقل الموريج إلى حافة القناة
في ظل قيود الرئيس الرأى جمال عبدالناصر لسيطرة ووجور وفي إطار ترتيب
وقف إطلاق النار في أغسطس ٧٠ على أسس هذه المعركة.

نقلها جبالاً لمصر وجنودها.. لأن ملحق يوم السادس من أكتوبر كان أكبر من أن يوضع في بطر يوم واحد أو قرار واحد، وإنما كان - لحق والتصيف - نجاح عرق وجهد ونماء على امتداد أكثر من ٦ سنوات .. وهي ذات المسافة الزمنية بين الرئيس والرءاء

وعلى أن المناخ الراهن تحت ظلال الديمقراطية التي يوفرها عصر الرئيس مبارك - أحد القادة العظام لمرب أكتوبر - يدعونا إلى تقويم أنفس ومصور على لهذا اليوم المجيد، بحيث يوضع في مكانه الصحيح ويغير عقد أو حسابات تتصد بها قبل العبور أو بما بعده.

وقد دفعني هذه التمهيلات الأمريكية إلى معاودة التدقيق في أرائي عن تلك الأيام المجيدة التي عشنا في قلب ثورة الأحداث مورعاً بين الفترافات وولوجات المقتل وغريرة وإحساس الصعبي.

وأستخلص من هذه الأوراق ثورتين محدثتين:

سكانت الورقة الأولى: مسودة تقدير موقف عن الموقف الإسرائيلي بعد قرار مصر بالاستفتاء عن الخبراء العسكريين السوفيت في يوليو عام ١٩٧٧، وكلها مضمون هذه الورقة في شكل عدة نقاط على النحو التالي

١) ليس بمفطور مصر لسموات عديدة أن تكسر وقف إطلاق النار القائم منذ ٨ أغسطس ١٩٧٠ وفي إطار مبادرة وزير الخارجية الأمريكي ونيم روجرز وبعد أربعة تحريك مصر المصاوريج المضادة للطائرات من طراز سام ٩ وسام ٣ إلى جافة القائد.

٢) أوضاع الجبهة الداخلية المصرية والمحتري الفلن من رأس وإحباط والتفراغ الخي ترتب على طرد الحيراء الصهيونية والخلافت العربية الواسعة وأبرزها قطع مصر لعلاقتها مع الأردن بد قولها إعلان إنشاء المملكة المتحدة لتشمل الضفة

العربية المحتلة. كل هذه عوامل تؤكد أن أنوار السادات لن يجرؤ على مجرد التفكير في اتخاذ قرار بالحرب.

(٣) إن المصريين أول من يعلم ماذا يمثل خط بارليف وماذا يمثله الحائط الفولاذي وما هي طبيعة سطح مياه القناة كقطع مقلية. فضلاً عما يطمح المصريون من حرب ٦٧ على القوة العسكرية الإسرائيلية تدريجياً وتسلحاً

ولم تكن هذه الهنود سرراً مكتوماً وإنما كانت جلجلة تدير الموقف الإسرائيلي اعتماداً على ملف كنت لتسرب على إعداده في هذا الوقت يحمل اسم .. "النواب العدوانية من حلال المبادئ العظيمة"

كان للفرور الإسرائيلي - وقتها - أكبر من أن يطلق !

وكل الصبر والصمت في مصر - وقتها - أمراً محيراً لمن لا يعرفون شيئاً مما يتم من استعدادات حقيقية لاجتور كشفاً أو الإفصاح عنها، مهما علت صيحات الترفيع والاحتجاج لي بهاتفت الكتاب والمفكرين وأصحاب الرأي.

وكان أنوار السادات يكظم غيظه وهو يرى استغفرت أعدوه من ناحية وقتل واحتجاج شعبه من ناحية أخرى.

ولعل هذا هو مغزى القصة التي وجهها الرئيس مبارك في كلمته إلى الأمة عندما قال بالحرف الواحد ثم نحية عرفان وتغدير إلى بطل مصر وشييدها العظيم الرئيس الراحل محمد أنور السادات الذي تعمل ما لا يستطيع بشر أن يفعله كي تثبت للعالم أن مصر إن تكون جثة هامدة بلا حركة. كانت سياسة الصبر والصمت. التي دفع السادات لمن تجرأ الأكبر منها. هي التي أصمت الإسرائيليون عن رؤية الحقيقة حتى بعد أن بدأت ملامح المشور العسكرية على الجبهتين المصرية والسورية تصبوح فوق كل احتمالات الشك والتشكيك في جديّة نواياها منذ صباح يوم ٣ أكتوبر أي قبل دوران عجلة الحرب بـ ٧٢ ساعة كاملة

ولفعل هذا من فورقة التتبية في ملف لور في القتيمة مسودة تقدير موقف عن التقييم
الإسرائيلي لمجمول التحركات المصرية والسورية في الساعات الأخيرة وذلك بتاريخ
لجمعة ٥ أكتوبر ٧٣ لي قيل ٢٤ ساعة فقط من بدء ارتداد الجيوش

حكايا مصون المورقة التتبية في شكل عدة نقاط على النحو التالي

(١) أن بصريح دافيد أليزارو رئيس الأركان الإسرائيلي الذي تم تكليفه بالرد عليه في
عند أهرام الجمعة اليوم ٥ أكتوبر مقروناً بصفة المهرج العسكري للأهرام يمثل
أبرز الإثبات على أن انتهاء الحشد قد أصبحت في نظر المؤسسة العسكرية
الإسرائيلية أكبر من كونها مجرد مشروعات تدرسية من نوع مسحدث في شهر
مايو الماضي.

(٢) أن هناك فيما يبدو انقساماً حاداً في تقييمات إسرائيل المصرية والسورية، وفي حين
نرى الجنرال موشي ديلي وعالية كبار ضباط هيئة الأركان الإسرائيلية أن هذه
الحشود ليست سوى توافع وتداعيات منطقية للمناورة الجوية على الجبهة السورية
خلال شهر سبتمبر التي فقدت فيها سوريا عدداً كبيراً من الطائرات، وبالتالي ليس
للحشد المصري هو مجرد تحركات ظاهرية لإظهار النوايا مع دمشق، بل
حصار الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية ترى في الأمر أكبر من ذلك بكثير
ولن الحشود على الجبهتين تتخذ موضعاً هجومية لاقتل أي شك

(٣) أنه من المتوقع أن تكثف إسرائيل من طلباتها الاستطلاعية وعمليات التنصت
الإلكتروني لمحاولات الحصول على مزيد من المعلومات لكي تكتسب ما إذا كان
هناك هجوم وشيك، معقول أم لا؟

وكأن ملكاني وعجزت إسرائيل عن فهم وتفسير ما وراء طائرات الاستطلاع
والجبهة التنصت، لأن صاحب ملف الضخام الذي تفننت مصر به راحة كمال كوثيا ومكتب
بما يحول دور رؤية الواقع وتجنب المعالجة الاستراتيجية والتقنية المدونة ظهر
السادس من أكتوبر ١٩٧٣.

لقد كان صباح السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ملياً بكل تحدٍ تقني حصوصاً دخل
إسرائيل التي أصبح قلبها على يقين. في ضوء المعلومات السوفيرة لديهم بل
تصربة قاطعة حلال ساعات ولكن ليس يعقدورهم أن يفعلوا أي شيء. لتجنب التصربة
بعد أن هب الوقت.

وكما الرهش الإسرائيلي - في ضوء هذه الورطة - يقوم على أسس يسكن
المصريه بتوجيه صربة قاتلة بعد أن ضاعفت منهم فرصة القيام بصربة إجهاض تنفق
مع نظرية الأس الإسرائيلية التي تقوم على مبدأ الحرب الوقائية.

وكانت المفاجأة التي دهشت إسرائيل - كما قال المشير طنطاوي - هي مفاجأة
للمقاتل المصري الذي استطاع بتدريبه قرائي وروحه القتالية والمعنوية العالية أن
يعوض الفارق للرهب في نوعية المعدات التي تمتلكها إسرائيل ونطق ثقلها

وفي اعتقادي أن المقاتل المصري صنع مفاجئة مبكراً على مراحل بدأت برأس
العش في يونيو ٦٧ ثم إغراق قذمرة ثلاث في أكتوبر ٦٧ ثم بالهجوم الانتحاري
ضد ميناء ثلاث في نوفمبر ٦٩ وفي مطلع عام ٧٠ ثم بمطبات الاقتحام والتعبور
المحدودة خلال حرب الاستنزاف ثم بقدرة الابتكار بدءاً من اختراع قنبلة توأمت بثلاث
عملية العبور في وضع قنهار ومروراً باستخدام خرطوم المياه لفتح الشخرات في
العمائر الخزفية، ووصولاً إلى إجهاض وقتل تقدم الدبابات - لأول مرة في التاريخ
العسكري - بواسطة جندى المشاة الذي يحمل مدفع ٣٠

لقد فوجئ الإسرائيليون على طول امتداد الجبهة بجيوش باكملها تنفذ فرق سطح
المياه، وطلاتهم لا تعجباً بلية نيران، والكل يتسابق من أجل أن يصل شرف أن يكون
بول من يرغى العلم المصري مرة أخرى على الضفة الشرقية

ووجه الإسرائيليون بصربة قتالية غير مسبوقة في شكل قواج وطوفير نكحم
مواقع خط بارليف الحصينة بأجسادها دون خوف أو رهبة

وحما كلى الإمبراطوريون يسمون لإعادة ترتيب أوضاعهم بعد نجاح الصلبة الجوية الأولى فى تكوير جميع مضائق ومراكز القيادة على طول الجبهة وفى صدى سبب خاصة مركز القيادة فى أم خشوب هوجى الإمبراطوريون بدوريات الصناعة - التى قد تم بمقاتلها فى العمق قبل بدء الضربة الجوية بصاعقت - وهى تقطع خطوط الإمداد وتدمر المواقع والتحصينات وتحدث شللاً كاملاً فى معظم وسائل الاتصال.

وتحت نيران آلاف المدافع وبفضل القوة التى وفرتها ضربة الطيران الأولى ونجاح طلائع العبور بالقوات المقاتلة فى احتلال السائر الغربى والاحتحام خط بارليف ورفع العلم للمصرى، بدأت ملحمة المهندسين العسكريين فى بناء الكبارى والجسور لكى يبدأ بعدها تدفق الذبابات، ويصبح العبور حقيقة لا يملك أحد أن يثبته فى قدرتنا على إنجازها.

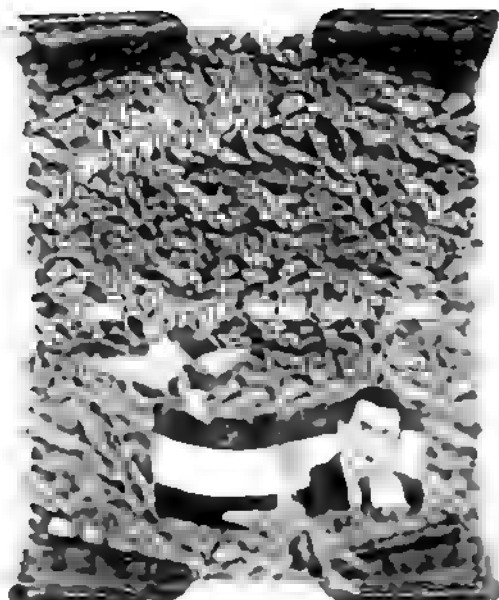
ومع العبور بدأ تلوخ جنيد وأصبح للشرق الأوسط خريطة سياسية وجغرافية جديدة.

لقد أثبت المصريون أن هزيمة عام ١٩٦٧ كانت خطأ عارضاً، وأن عملية إعادة بناء القوات المسلحة التى نصب للرئيس جمال عبدالناصر كانت بمثابة الخطوة الأولى على طريق العبور.

وأثبتت القوات المسلحة فيها كانت ومقاتل ومستغل عند مستوى العلم والأمل الذى يضعه الشعب المصرى فيها - ويصب للرئيس الراحل نور السادات أنه وفر للقوات المسلحة الفصل الأجواء لكى تكون قادرة على تنفيذ القرار، فى إطار صمد ومكتوب، لرمخ قواعد منحصرة لأسلوب القتال بين القيادة المولودة من أجل القرار وبين القيادة العسكرية التى تتحمل مسؤولية التنفيذ والإنجاز.

ولتهنت حالة القلح والارباب، ولم تعد فى نظر العالم جثة هامدة كما كان يروج الإمبراطوريون، وإنما أصبح لكل ينظر لمصر دل وللأرب جدياً نظراً لحرارهم وقدر

وسقطت ركفتي نظرية الأمن الإسرائيلية بعد أن قلقتها الوقت القيام بصربية وفاتية
وبعد أن سقطت لكتوية الحدود الآمنة على طول قناة السويس وعند باب المنصب
وما زال في ملف أكتوبر الكثير والكثير ، فقد كان يوم السادس من أكتوبر بمثابة
ميلاد فجر جديد بعد غرابة ٦ صفوف من ظلام الهزيمة الدامس والحلك السودا



مند أكثر من عشرين عاماً وهناك سؤال يفرس نفسه علينا بحثاً عن تجلده وهذا السؤال يتجدد دائماً موقن كل عام .. مرة في شهر أكتوبر من التقويم الميلادي ومرة في شهر رمضان من التقويم الهجري.

سؤال يقول كيف مستطیع أن تأخذ بأسباب التصبر في حرب أكتوبر - رمضان لكي نوظفها توظيفاً صحيحاً في خدمة الهدف الاستراتيجي أبناء مصر المستقبل

سؤال معروض الأساسي يركز على كيفية تخطيط إدارة الدولة في القطاع المدني لكي تصبح هذه الإدارة على مستوى التحدي والمشاكل والهجوم التي تواجهها بمثل ما استطاعت الإدارة المصممة للمشروع الاستراتيجي في حرب أكتوبر - رمضان أن ترتفع إلى مستوى التحديات والمشاكل والهجوم الرهيبة التي كانت تؤرق مصر منذ بكسة يونيو ١٩٦٧

وبإحدى دي بدء أجد قرأناً على أن أسارع بالقول أن طرح هذا السؤال لا يفي أننا أصعبا هذه السموات سدى لأن ذلك يمثل تحدياً على الحقيقة وإيراطاً في التسلوام !

لقد أجزما الكثير خصوصاً في الآتي عشر عاماً الأخيرة تحت مظلة حكم قرائس مبرك، بعد أن بدأت أوسع صفقات تجديد وإعادة إنشاء لمختلف المرافق والمصانع والمنشآت الحيوية، فضلاً عن فتح الأبواب على مصراعها للاستثمارات للتنمية التي تخلق فرص عمل جديدة وتؤدي الزيادة الإنتاج، وتعود لعمل المنتج قيمته واعتباره بعد أن كانت قد ساءت طبقة المصنفات مفاهيم خطلنة حول الربح والتربح للسهل والتسريع في بطار الهجمة الشرسة للانتعاش الاستهلاكي . ؟

وهذا الذي أجزمناه هو الذي مكنا من أن نقف على أرض صلبة بكظام راسخة رغم ما فرضته علينا المتغيرات العالمية من مصاعب اقتصادية، ومقترنات من أعباء مصاعبة بسبب الزيادة الرهيبة في عدد السكان وبسبب قلمي الطموح والاجتماعية لشعب ارتفع مدخله من ٤٠ مليون مواطن عام ١٩٨٢ إلى ما يزيد على ٥٦ مليون مواطن عام ١٩٩٤

ونكس الذين يطرحون السؤال من لوصية القنية الحسنة والشفقة في قدره مصر وشعبه.
يرون أن الوقت قد حان لكي يسبق بعملنا الوطني لجنة مصاعب أو تصنيف مجتمعها،
بدلاً من انتظارها ثم العجز بعد ذلك عن ملاحظتها !

بوصوح شديد أريد أن أقول أن طرح هذا السؤال واستمرار الإلحاح عليه عند بعد
عدم حيز ذليل على أنها شعب لم يفقد حيويته يزعم كل هذه المصاعب والتحديات وأن
ثاقه هي عند أفضل القوى من كل محاولات التزيين والإحباط التي يروج بها البعض^١

إن همومنا بالفعل كثيرة ولكن أحياناً وطموحاتنا أيضاً أعلام وطموحات كثيرة !
والذين يمتلكون الأمل هم الذين يتدرون على عبور الشوارج وتغطي الموانع
واقحام المصاعب بروح القدرة على المعطاء المتصل .. وذلك هي فلسفة الروح التي
قامت عليها أركان الإدارة الحديثة للمشروع الإنمائي في حرب أكتوبر

والأمل ليس فقط مجرد إحساس .. كما أن القدرة على المعطاء ليست مجرد
شعيرات، ولكن الأمل والمعطاء وجهان لعملة واحدة أسمها العمل بأسلوب صحيح وبغز
كاف.

لحي أقول أن التمثل السليم للإدارة الحديثة التي ننشدها يبدأ من مدى قدرتنا على
المرح بين رصيدة الخيرة المتراكمة وبالأهداف حمرة الاقتحام والمبادرة والابتكار التي
جسدها ملحمة 'أكتوبر - رمضان' وبين قدرة المعطاء التي نملكها أجنال جنيدة علم
وجهداً وحماساً ورغبة في إثبات الذات!

وإذا انتقلنا من التعميم إلى التقصيص فبني نستطيع القول بصراحة وبوصوح بأننا
بحاجة إلى إثبات ملمح فيه وتعبود ملمح بحاجة إليه يمثل ما فعلنا قبل ٢١ عاماً^٢

كما قبل ملحمة العبور قد وصفتنا إلى فتاعة ثامة باستقالة ثواهر الإمكانيات اللازمة
لمصر الفاروق الرهيب في ميزان القوة العسكرية مع إسرائيل، ومع تلك قررب أن
نسمى لنهر المستحيل بحسن توظيف العنصر البشري ويعزم الإفادة وقدره الطوق
والابتكار !

واليوم ونحن نسلم تحديات الطفلة والعلاء والإرهاب وغيرها من المصاعب لامتلاك
في أيدينا منبج المفكرات التي نلزم لإنهاء هذه المشاكل، ولكننا -بالقطع- نملك إرادة
العمل التي يمكن أن نوصفها عن هذا العجز في تكميز الموارد المالية
ومن حسن الحظ أننا لن نبدأ من فراغ !

لقد حققنا بفضل انتصار أكتوبر -رمضان- انتصاراً واسعاً لمعظميه السلام وهذه
السلام فلا بد من بعده بعدة خطواتنا لكامل ترابها الوطني هو مدخلنا الطبيعي إلى التنمية
والبناء والإصلاح وهيمنة من أجل الحاضر والمستقبل

ولقد حققنا أيضاً بفضل انتصار أكتوبر -رمضان- انتصاراً فلسفياً وسياسياً
اجتماعياً خرجت من عبائته مسألة الانفتاح الاقتصادي التي استندت مرحلة حكم
الرئيس مبارك إلى تجري لها توسع عملة ترشيد لكي تخلص ثوب الاستهلاك
الاستهلاكي وترتدي ولاء التنمية الحقيقي بما يصدر لجنداب رأس المال العربي
والأجنبي في المجالات الإنتاجية التي نطمح للقاعدة المربضة من أبناء مصر ونطق
هدف الاستيعاب لأحدث الأساليب الإنتاجية والتكنولوجية دون أن نودى إلى تلقيم
الظاهرة الاستهلاكية.

وبالفعل نحن لا نبدأ من فراغ خصوصاً بعد أن أصبحت السياسة الخارجية لمصر
في خدمة أهداف التنمية في الداخل قطعاً من يمان الرئيس مبارك بمصرورة توظيف
الحرك الخارجي لخدمة أهداف التنمية والتطوير وتأمين المصالح القومية الحيوية

وبعد إلقاء نظرة دقيقة على ملامح التمركز الفلوجي على مدى الـ ١٢ عاماً
الاطيرة هو الذي يؤكد صحة ما نقول، خصوصاً في إطار الجولات والرحلات التي
قام بها الرئيس مبارك لمختلف دول العالم شرقاً وغرباً من أجل إسقاط التدوير وربطه
بحجم المساعدات التي تحصل عليها من الدول الصديقة أو عهد الاتفاقيات الخاصة
بالبيانات التجاري الذي يعود على الاقتصاد الوطني بالقطع، أو جذب لمراف حرجية
للعموم مع في تحديث وسائل الإنتاج وإثقال التكنولوجيا الحديثة في الصناعة
و الزراعة والخدمات.

ثم مثلاً نذهب بعيداً .. أليست دعوة الرئيس مبارك للحوار الوطني تؤكد جدية الدولة في حشد طاقات الوطن لمواجهة تحديات المرحلة الراهنة بعمق درجة التوحد الوطني التي جمعت شعب مصر. وزراء عاصمة تحرير العراق الوطني من نفس الاحتلال وسمح عام الهزيمة ؟!

وبالتصاف في هذه الدعوة من جانب الرئيس مبارك ليست وليدة اليوم، وإيماء هي تأكيد لإصرار الرجل على ترسيخ دعوته الصريحة منذ اللحظة الأولى لتكوينه مسئولية الحكم واعترافه عن ضرورة توسيع دائرة المشاركة العامة في تحسين الأوضاع الاقتصادية والمساهمة في البحث عن طريق لإصلاحها

ولأن الذكرى تنفع المؤمنين، ولأن البعض مازال يشكك أو يتشكك في جدية الدعوة للحوار الوطني فإني سوف أسمح نفسي بأن أسترجع معهم ما قلته للرئيس مبارك منذ ١٢ عام وبالتحديد في ٢٦ من يناير عام ١٩٨٢ في افتتاح المؤتمر العام للحزب الوطني بعد ثلاثة أشهر فقط من توليه مسئولياته الدستورية

إن الرئيس يقول بكل الوضوح أن الحكومة وحدها لا يمكن أن تحقق المعجزات أو أن تأخذ على عاتقها إلقاء بكل متطلبات التنمية، بل يجب أن تكون هناك مشاركة شعبية حقيقية لأن الجهد المطلوب للانطلاق إلى مشارف المرحلة الجديدة يتجاوز طاقات الجهاز الحكومي ويتطلب صفاء كل فرد من أبناء مصر المتطلعين لخدمة هذا للوطن المعذب.

وهو نفسه الذي كرر ذات المعنى في كلمته أمام الاقتصاديين المصريين في افتتاح المؤتمر الاقتصادي القومي يوم ١٢ من فبراير لعام ١٩٨٢ بقوله أننا يجب أن نشترك جميعاً في التنمية لهذه المسئولية لأن الأمر يخصنا جميعاً وكل تكليف بالتقاسم الوطني يعود علينا جميعاً بالخير المباشر ومن ثم ينبغي أن تكون هناك مشاركة جماعية في بحث الأساليب والبدائل الكفيلة بتعزيز قاعدة الإنتاج وزيادة نسبة الانحراف والاستثمار وترشيد الاستهلاك ومحاربة الإسراف في شتى صورها

فهل هناك مجال لتتبع بعد ذلك في أن دعوة الحوار الوطني هي دعوة لصيولة وجذورها عتيقة وإن لم تتخذ شكل الإطار التنظيمي إلا مؤخراً عندما أعلنه الرئيس في خطبه الأخير أمام مجلس الشعب والتورى في نوفمبر الماضي؟^{١٢}

ثم هل هناك أمل في أن دعوة الحوار الوطني تؤكد توفر الأجواء لصحيحة لعملية التحديث التي تحتاجها مصر سواء في الفكر أو على مستويات الأداء؟^{١٣}

وإن بقي دعوة التحديث في إدارة الدولة لكي تكون قادرة على مواجهة التحديات وتلبية المطمحوات ليست من فراغ، وإنما هي دعوة لها جذورها وركائزها التي تعمل مقومات نجاحها إذا صدقت فنياً وتوفرت العزيمة الصانقة والإرادة الصلبة.

وهذا التحديث المنشود ليس مجرد قرارات تصدر وهياكل تنشأ ولكنه ينبغي أن يكون في المقام الأول إصماماً عاماً - شعبياً ورسماً - يفتح ليس أمامنا من سبيل لجور هذه المصائب والتحديات سوى هذا الطريق

وهذا التحديث المنشود الذي أفسده ليس مجرد آلات ومعدات متطورة وأجهزة وتكنولوجيا حديثة ولكنه أوسع من ذلك وأعمق!

نحن بحاجة إلى تحديث في العقول الإدارية التي تحكم دفة تسيير الأمور في كل مناشأة ومرفق!

نحن بحاجة إلى كوافر فاعلية لا تخشى بالروعين لكي تغطي الفساد وإنما تسهل الأمور وتعلم القيود بما تملكه من رصيد النزاهة والشفرة.

نحن بحاجة إلى كوافر تعطي المال والقوة في ضرب المفسونية ومعارية الرشوة ورفض الوساطة والتصرف لمهمل العمل الحقيقية بدلاً من الإصغاء للوشاة (وكذلك الرقة)!

وهذا الذي نؤكد به ونحثو إليه هو الذي توفر للإنارة الصحيحة في المشروع الاستراتيجي لمصلحة الحبور.

وبعير أن توفر هذه العناصر الأسلية للإدارة الحديثة لدولتنا العصرية فهو ما ينبغي
حديثنا عن فكرة الإنجاز وقهر الصناعات والتحديات مجرد أحلام وتساؤل صيغ
هكذا أحلم لمصر في ليلة القدر وفي جيق التفكير الصطوة لاقتصاد العاشر من
رمضان

وهكذا نعلم الصور الجيدة لمصر لكي تتحلى العيون الحداثة والعشرين برصيدها
الحقيقي، وليس برصيدها المتقوس تميها وإجمالاً وتراًسياً وإنما
هكذا أحلم بمصر اليوم وغداً وبعد غد
وصديق الشاعر إذ يقول
ومائيل المطالب بالنسي
ولكن نزع الدنيا غلباً
وعليها أن نعيش في أوطانها بأسباب الخفة والفساد كما أسكننا بها في عام العبور
للمجد، وكان الله معنا منصوراً ومؤيداً ١

إرادة السلام الخائب ١١

وفي ذكرى انتصار أكتوبر المجيد يجدر بنا كعرب أن نلقي نظرة فاحصة على
خريطة المنطقة وما جرى فيها من تحولات لا تقتصر فقط على علامات الحدود المناسبة
وخطوط إطلاق النار وإنما شملت أيضاً طيعة التحولات التكنولوجية والاستراتيجية
ولم تنت لنتمل كذلك المعايير والروية الخاصة بكمية المروج من المأزق التاريخي
الذي يعيشه العالم العربي منذ عام ١٩٤٨ وحتى الآن.

إن أهم نظرة على الخريطة الراهة تعكس دور أفتى تطبيق حجم المجر والقصور
في الجانب العربي ليس فقط في مجال الاستفادة الواجبة من الآثار المادية والمحدية
إلى حلقة حرب أكتوبر، وإنما أيضاً في تلك الفترة العربية على تحويل كل صيد
الإنجاز السياسية والعسكرية التي أفرقتها شجاعة المقاتلين إلى عوامل مسبب
نصعب ونقرص من دعم القوة العربية الشاملة.

وبكاد يكون الإنجاز الوحيد في السلطة العربية هو قدرة الإرادة المصرية على استثمار مغزى النصر في تحرير كامل للتراب الوطني المصري، وفتح الطريق أمام إمكانية مساهمة السلام الشامل في المنطقة والذي مازالت لثروات عربية كثيرة تحجم - دون سبب مفهوم - عن ارتقاؤه حتى لو كان الثمن هو استعادة التراب والاقتراب من تحطه الخروج من المأزق التاريخي الذي صمغته تعقيدات المشكلة الفلسطينية بكل ما صاحبها من تطورات في مسار الصراع العربي الإسرائيلي.

وفيما عدا ذلك الإنجاز الذي حققته مصر، تبدو الخريطة العربية وكأنها تمثل لوحة مرسومة ومعلقة على حائط العالم ليرى فيها المشاهد لأحداث مأساة وعلماء وكأنها مرسومة بخطوط في سريالي غير مفهوم للواقع والأبعاد، فهذه طهارة حرب الخليج التي دخلت عامها السادس وهذه مأساة الحرب الأهلية اللبنانية التي تجاوزت عامها العاشر وتلك هي رسالة السلاح السورية والليبية محزنة في شتى أرجاء المنطقة لتكثيف مخططات غير مفهومة القلم إلا إذا كل ضرب القيادة الشرعية للفلسطينية أصبح هدفاً استراتيجياً ملأاً بنهي كل من دمشق وطرابلس تحققة مخططين بذلك على خط واحد لتصفية القضية الفلسطينية برمتها التي يمثل بقاؤها بخير حل مأزقاً تاريخياً لإسرائيل لا يقل عن ذات المأزق على الجانب العربي.

والسؤال الآن هو أليست كل تلك الشواهد القومية للعجز والتصرف العربي كالفية لواقعة مع النفس تبدأ بوقف كل أسباب الفروقة والصراع وتوجه في اهتمام الفرصة التاريخية المتاحة لتحقيق السلام قبل فوات الوقت وقبل أن تتمكن إسرائيل من ابتلاع كل الأراضي الفلسطينية وتهديدها بكتف عملية استيطان في العصر الحديث^{٢٢}.

لئن الفرصة التاريخية المسددة الآن لتحقيق السلام أليست هدية من السماء بكفى القبول به، لكي مجي تمارها ولكن الأهم هو أن يرتبط القبول باستعداد جاد يستطيع الصمود أمام التحديات والمناورات المصطنعة في معركة السلام وهي بالقطع تحديد و صاورات لا تقل خطورة وحيثاً ودهاء عما يجري في سلطة الحرب وخبثاً ودهاء عما يجري في سلطة الحرب والقتال.

ولأن معركة السلام تكون مسرحاً لتصلب الإراقات قبل العالم العربي يصعب عليه أن يجني شيئاً من تلك الفرصة الترويجية إلا إذا نجح أولاً في توحيد إرادته على طريق الحل بنصر ما استطاع أن يوحد إرادته قبل على طريق الحرب قبل دحوه مرحلة العبور

إن توحيد الإراقة العربية على طريق الحل لا يجهس فقط خطط وإصلاح إسرائيل المبنية على استعالة قويدة وإعما هي تعزز من قدرة التأثير على الولايات المتحدة الأمريكية ونفعها للخروج من دائرة الانحياز الأعمى لإسرائيل فضلاً عما يمثلته اتحاد الكلمة العربية من سقوط تستطيع على الأكل عاترة الضغوط الصهيونية على الإدارة الأمريكية وبالتفاني مثل اتفاقية الثوبى الصهيونى أو على الأكل الحد من تأثيره .

ومن الطبعي أن يكون هناك سؤال آخر هو .. هل هناك ما يجرى على القبول بالمضى على طريق السلام بينما هناك شواهد كثيرة تشير إلى عدم قبول إسرائيل لمخاطر السلام ؟! بل إلى سلوكها الأخير في العلة البشعة ضد قيادة منظمة التحرير الفلسطينية يعكس إسرائيلاً على سبب جهود السلام من قبل أن تبدأ

وهي اعتقدى أن السلوك الإسرائيلي المتطوّر المدعور من تحدى السلام ينبغي أن يكون في مقدمة عوامل الإغراء للجانب العربى بقبول الدخول إلى ساحة المواجهة على ملأنة المفوضات وعلى الجانب العربى أن يضع في اعتباره أن إسرائيل وهي تدألى في طرح شروطها غير المقبولة لإقرار السلام سبق لها أن قطعت نفس الشيء قبل إبرام اتفاقية السلام مع مصر . وطرح مطلب حكمت كافية لنفسه تفاوضات قبل أن تبدأ ولكن مصر فضحت إلى القمة وضمت على الطريق متمسكة بكل حقوقها فأزيلت المستوطنات واستقرت مصر كل موثاء بما فى ذلك المطارات وأرض القلم المصري هرق شرم الشيخ حتى قال عنها ديان أن إسرائيل تفصل التمسك بشرم الشيخ بغير سلام مع مصر ، على أن تترك شرم الشيخ مقليل السلام!

ثم إنه إذا كانت إسرائيل بمسلكها العنقوي وشروطها المتعسرة تستهدف بسف طريق السلام فلماذا تساعدنا من جانبنا على تحقيق ما نطمح ، والوصول إلى ما نريد . أليس من واجبنا أن نحول بينها وبين أن تهرب من المواجهة.

وبدأ انتقاداً بطورة خلطقة إلى التصريح الدولي وطبيعة مواقفه قديمة جداً دون توقع القبول بغيره الفرصة التفاوضية التي يكتفون من كل عوامل التردد والإحجام وذلك في ضوء التواعد التالية :

١) إنه مع التسليم بأن الموقف الأمريكي عزال دون ما نرجو ونتمنى استناداً إلى العدل والعق والشرعية الدولية إلا أنه لا يمكن إغفال نسبة تطويع بعضاً من المروية في الموقف الأمريكي لولها هو القبول من حيث المبدأ بفكرة الحوار مع وفد أردني فلسطيني مشترك وتوقيعها فتحلي عن فكرة الترحيل للمطلق لعقد مؤتمر دولي للسلام بشأن الشرق الأوسط.

٢) أنه لا يمكن إغفال أهمية وفاعلية الدور السوفيتي المنتظر خاصة مع تكرار عمليات التمرز المتبادل بين إسرائيل وموسكو تمهيداً لإعادة العلاقات الدبلوماسية المقطوعة بين البلدين منذ حرب يونيو ١٩٦٧ ، وقد جاءت تصريحات الزعيم السوفيتي جورباتشوف في ختام زيارته قبل أيام لباريس حول استعداد موسكو لإعادة العلاقات مع إسرائيل في إطار صفقة التسوية مشكلة الشرق الأوسط متزامنة مع تصريحات شيمون بيريز رئيس وزراء إسرائيل بتطبيق شرط الموافقة على القبول بفكرة عقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الأوسط بأن يسبق ذلك إعادة العلاقات الدبلوماسية بين إسرائيل والاتحاد السوفيتي .

٣) من بين أهم التطورات الإيجابية دعماً لمعجزة السلام مبادرة السيدة ماجاريت دانتشر رئيسة وزراء بريطانيا بدعوة عضوين من منظمة التحرير الفلسطينية لإجراء حوار في لندن مع سفير جيفري هلو وزير الخارجية البريطاني وصنوبر تلميذ لهذه الخطوة مع جورج شونكر وزير الخارجية الأمريكي الأمر الذي يعتبره

كثير من المراقبين بمثابة نموذج للحوار العقل بين والتحطس ووه أن دنس فلسطيني
مشرك.

٤) إن الواى العالمى بات أكثر تعاطفا مع الحق الفلسطينى بعد ثلاثة أعاق ١١
فيزير بين الملك حسين وياسر عرفات والذى يقوم أساسا على قبول الحل السلمى
للمشكلة مسدا إلى التسمية الدولية معقدة فى قرارات الجمعية العامة للأمم
المنعقدة ومجلس الأمن وباتت قرارا مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، ٣٣٨

وبصل فى جوهر القضية المطروحة للنقاش حول كيفية إحياء وحدة الإرادة العربية
على طريق السلام بنفس الروح التى صنعت وحدة الإرادة العربية على طريق الحرب
خلال مرحلة العبور المجيدة وتساؤل . هل فى ظل تحديات الصراع الدائر الآن بين
أطراف عربية عديدة والذى وصل فى مناطق عديدة إلى حد الصدام بالسلاح وسلك
الدماء وتدمير الممتلكات يمكن الحديث عن توحيد الإرادة وتحقيق ذلك التوحيد لى راس
قبلى يسمح باهتمام الفرصة التاريخية المتاحة لتحقيق السلام؟

والجواب هو أن تحقيق ذلك الهدف ليس بالأمر الهين ولكنه أحيانا ليس بالمستحيل !
إن عناصر التطور والمرونة فى الساحة العربية معروفة وواضحة وهى فى
هجمي وثقل، صلبة الحجم محدودة الأثر ولكنها تعتمد دعما إضافيا لمنطقها من خلال
لدرئى على إرهاب نهار الاعتدال فى المنطقة وهو نهار يمثل بغير أننى مبالغة صبريد
على ٩٠ فى المائة من رفعة الأمة العربية

ولو أن الأنظمة العربية المعتدلة تخلت عن مهانة الإرهاب الذى تفرسه كل من
ليبى وسوريى بالذات، وملكت هذه الأنظمة شجاعة الإعلان عن تأييدها لاعتقام الفرصة
التاريخية لتحقيق السلام مستندة فى ذلك إلى تأييد للرأى العام العربى لها قبل لغة
للمطرب وسباسة المرونة سوت تذهب فى عيب الفريح ولنى يكون لها أى تأثير على
مسار الأحداث

ومن الإنصاف أن نقول بأن تجربة بلشعر عرفات ورفاقه في القيادة الشرعية لمصلحة التحرير الفلسطيني هي تجربة جدية بالاعتدال لأن عرفات ورفاقه لم يذهبوا بتهديد دمشق وطرابلس وقرروا أن يتحركوا القرار الصحيح بفتح قلب لإمكانية تحقيق السلام مستلهمين في ذلك بعض الشعب الفلسطيني ومعقله أهلهم ونوهم تحت أسر الاحتلال الإسرائيلي وكل مااحتلجه العميلة الفلسطينية الآن إضافة إلى نقل مصر وحركتها للراية في المسرح العالمي هو شجاعة لا تقاير إليها غالبية الأنظمة العربية المعاصرة يؤكد به دعمها للاتفاق الأردني الفلسطيني الذي أصبح يمثل حجر الزاوية في أي نصرك قادم لإقرار السلام.

ومواء كانت الوسيلة لدعم قرار الاعتدال تتمثل في قمة عربية موسعة أو قمة عربية محدودة أو حركة دبلوماسية عربية نشطة فإن المهم هو أن يبدأ التحرك لفتح صفحة جديدة تجلب لحزن العالم لنا... ولكي تحظى تلك الصورة للفتنة والمأساة لأوضاع المنطقة في نظر العالم الذي أصبح يستعطف كل صباح على أنباء نقول هرائق في بيروت وجنث في صيدا والمضة دخان في الخليل واعتقالات في غزة وطولكرم ونمر في بغداد وعنهري ونونس وسهيلات ملطومة في الكويت ومذبح في دمشق وبغاري ...

وبعير أن نستطيع بناء إرادة حرب لتكوين مرة أخرى صفوف يظل السلام غلب ولحق صائب وفترب القومي مستباحاً !!

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٩	من الصرية الجوية.. إلى الدولة الصرية الفصل الأول:
٢٣	سقوط الأرقام والأساطير والمستحيلات الفصل الثاني:
٣٣	وأأ.. لكن لم يفهموا! الفصل الثالث:
٤٩	من رفض الهزيمة.. إلى عبور المستحيل الفصل الرابع:
٧٧	حرب الاستنزاف.. المقدمة الضرورية! الفصل الخامس:
١٠٧	صقرية العقل للصري الفصل السادس:
١٢٧	موجات للجور الفصل السابع:
١٥٥	يوم انهيار الجدران الفصل الثامن:
١٦٥	قبل وبعد الاختراق الأمريكي

الصفحة	الموضوع
	الفصل التاسع:
١٩٥	لنضم مقبرة في تاريخ الجيش الإسرائيلي
	الفصل العاشر:
٢١٩	شهادات أمريكية.. ولأوراق شخصية
	الفصل الحادي عشر:
٢٤١	ونبقى دائما بحاجة إلى روح تكوير

دسم الإبداع يدار الكتب ١٩٩٨/٨٩.٩

I.S.B.N 977: 01 - 569٤ - 1

مطابع الورقة المصرية التابعة للكتاب



ومازال نهر العطاء يتدفق. تتفجر منه ينابيع المعرفة والحكمة من خلال
إبداعات رواد النهضة الفكرية المصرية وتواصلهم جيلاً بعد جيل. ومازلنا
تتشبث بنور المعرفة حقاً لكل إنسان ومازلت أعتز بكتاب لكل مواطن
ومكتبة في كل بيت.

سُيِّمت التجربة المصرية «الفرادة للجميع» عن الطوق ودخلت «مكتبة
الأميرة» عاصمتها الخامس يشع نورها ليضئ النفوس ويشرى الوجدان بكتاب
في مختلف الجميع ويشهد العالم للتجربة المصرية بالتألق والجدية
وتعمدها هيئة اليونسكو تجربة رائدة تحدث في كل العالَم الثالث،
ومازلت أعتز بالزبد من لأثر الإبداع الفكري والأدبي والفلسفي لترسخ في
وجدان أهل وعشيرة أبناء وطن مصر المحروسة. مصر الفن، مصر
التاريخ، مصر العلم والفكر والحضارة.

سوزان مبارك

Bibliothèque Alexandrina



0703137



مادة وخمسون قرعة

مكتبة الأميرة
مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٨